





الإهداء

اليك ... يا مفجر العلم والنور في الارض

اليك ... يا رسول الانسانية ...

اليك ... يا خاتم النبيين ...

أرفع الى مقامك العظيم هذا البحث المتواضع عن سيرة سيبتك الامام محمد الباقر

الذي سميته باسمك ولقبته بباقر العلم ...

فكان المجدد لدينك والمحيي لسنتك فليس احد هو اولى بهذا الاهداء منك فتقبل

هذه البضاعة المزجاة

وتلطف علي برضاك ليكون ذخراً لي يوم القي الله

المقدمة

(١)

الامام محمد الباقر (ع) من أفذاذ العترة الطاهرة ، ومن أعلام أئمة أهل البيت (ع) ومن ابرز رجال الفكر والعلم في الاسلام فقد قام . فيما اجمع عليه المؤرخون . بدور إيجابي وفعال في تكوين الثقافة الاسلامية وتأسيس الحركة العلمية في الاسلام ، فقد تفرغ لبسط العلم واشاعته بين المسلمين في وقت كان الجمود الفكري قد ضرب نطاقه على جميع انحاء العالم الاسلامي ، ولم تعد هناك أية نهضة فكرية أو علمية ، فقد منيت الامة بثورات متلاحقة ، وانتفاضات شعبية كان مبعثها تارة التخلص من جور الحكم الاموي واضطهاده ، واخرى الطمع بالحكم ، واهملت من جراء ذلك الحياة العلمية اهمالا تاما فلم يعد لها أي ظل على مسرح الحياة.

وقد ابتعد الامام الباقر (ع) عن تلك التيارات السياسية ابتعادا مطلقا فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم آنذاك ، واتجه صوب العلم فرفع مناره ، وأسس قواعده وأرسى اصوله ، فكان الرائد والمعلم والقائد لهذه الأمة في مسيرتها الثقافية ، وقد سار بها خطوات واسعة في ميادين البحوث العلمية مما يعتبر عاملا جوهريا في ازدهار الحياة الاسلامية وتكوين حضارتها المشرقة في الاجيال التي جاءت بعده.

وكان من أهم ما عنى به الامام أبو جعفر (ع) نشر الفقه الاسلامي الذي يحمل روح الاسلام وجوهره وتفاعله مع الحياة فسهر على احياائه فاقام

مدرسته الكبرى التي زخرت بكبار الفقهاء كأبان بن تغلب ومحمد بن مسلم ، وبريد وأبي بصير الاسدي والفضل بن يسار ، ومعروف بن خربوذ وزرارة ابن اعين ، وهؤلاء الاعلام ممن اجمعت الصحابة على تصديقهم والاقرار لهم بالفقه ، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث أهل البيت (ع) ولو لا هم لضاعت تلك الثروة الفكرية الهائلة التي يعتز بها العالم الاسلامي وهي احدى المدارك الاساسية لفقهاء الشيعة في استنباطهم للأحكام الشرعية.

والشيء الذي يدعو الى الاعتزاز بسيرة الامام هو انه قد تبنى هؤلاء الفقهاء فاشاد بهم ، وعزز مركزهم ، وارجع الأمة الى فتواهم يقول (ع) لأبان بن تغلب :
« اجلس في مسجد المدينة ، وافت الناس فاني أحب أن يرى في شيعتي مثلك »
(١).

وقد قام بتسديد نفقاتهم وما يحتاجون إليه في حياتهم المعاشية ليتفرغوا الى تحصيل العلم وضبط قواعده وتدوينه ، وعهد من بعده الى ولده الامام الصادق (ع) القيام برعايتهم والانفاق عليهم حتى لا تشغلهم الحياة الاقتصادية عن القيام بأداء مهماتهم ... وقد قاموا بدور بناء في تدوين الحديث الذي سمعوه منه ، كما أخذوا يلقون على البعثات الدينية ما رووه عنه ، وقد روى عنه تلميذه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث (٢). كما روى عنه أبان بن تغلب مجموعة كبيرة عنه ، وقد حفلت الموسوعات الفقهية بحشد كبير من رواياتهم عنه فجميع أبواب الفقه من العبادات وسائر العقود والايقاعات مدعمة بالروايات عنه فكان المؤسس والناشر لفقه أهل البيت الذي يحتل الصدارة في الفقه الاسلامي.

(١) النجاشي ص ٢٨ جامع الرواة ١ / ٩ .

(٢) ميزان الاعتدال ١ / ٣٨٣ .

(٢)

ولم يقتصر الامام في محاضراته وبحوثه على الفقه الاسلامي وإنما خاض جميع
الوان العلوم من الفلسفة وعلم الكلام والطب ، أما تفسير القرآن الكريم فقد استوعب
اهتمامه ، فقد خصص وقتا له ، وقد دون أكثر المفسرين ما يذهب إليه وما يروي عن آبائه
في تفسير الآيات الكريمة ، وقد ألف كتابا في التفسير رواه عنه زياد بن المنذر الزعيم
الروحي للفرقة الجارودية (٣).

ويعرض هذا الكتاب إلى بيان ذلك ، وتقديم برامج من تفسيره لبعض الآيات ، ومما
تجدد الإشارة إليه ان الامام (ع) قد تحدث عن أحوال الأنبياء وما لاقوه من الاضطهاد
من فراعنة زمانهم ، كما عرض لبعض حكمهم وآدابهم وعنه أخذ أكثر الباحثين في أحوال
الأنبياء ... وتحدث (ع) بصورة موضوعية وشاملة عن السيرة النبوية وشرح أحوال الرسول
الاعظم (ص) ومغازيه وحروبه.

وقد رواها عنه ابن هشام والواقدي والحلبي وغيرهم من المدونين للسيرة النبوية كما
روى (ع) عن النبي (ص) بسنده عن آبائه مجموعة كبيرة من الاحاديث تتعلق بأداب
السلوك وحسن الاخلاق وما ينبغي ان يتصف به المسلم من الصفات الرفيعة التي تجعله
قدوة لغيره ... وروى بصورة شاملة الأحداث التاريخية التي جرت في العصر الاسلامي
الاول ، وقد نقلها عنه الطبري في تاريخه والبلاذري في انسابه.

وناضر (ع) مع بعض علماء المسيحيين ، والازارقة ، وجادل الملحدين ، وقاوم
الغلاة ، وقد خرج من مناظراته وهو ظافر قد اعترف الخصم

(٣) فهرست الشيخ الطوسي (ص ٩٨).

بقدراته العلمية والعجز عن مجاراته ، ويعرض هذا الكتاب الى ذكر ذلك.
لقد ترك الامام (ع) ثروة فكرية هائلة تعد من ذخائر الفكر الاسلامي ومن مناجم
الثروات العلمية في الارض وليس من المستطاع تسجيل جميع ما أثر عنه من العلوم
والمعارف فان ذلك يستدعي وضع عدة مجلدات ، وانما أشرنا الى بعضها ، وتركنا الباب
مفتوحا لمن يريد أن يبحث بصورة شاملة عن ثرواته العلمية.
وعلى أي حال فان التأريخ لم يعرف أماما كمحمد الباقر (ع) قد وقف حياته كلها
لنشر العلم واداعته بين الناس ، فكان . فيما يقول الرواة . قد أقام في يثرب سادنا أمينا
كالجبل أو كالبحر وهو يغذي رجال الفكر ورواد العلم بفقهاء وعلمه التي تحمل عناصر
التقدم ، وعناصر الحياة لا لهذه الامة فحسب ، وإنما للناس جميعا.

(٣)

وكما كان الامام الباقر (ع) من عمالقة الفكر والعلم في الاسلام فقد كان من أبرز
أئمة المسلمين فيما أوتي من عظيم الاخلاق والتجرد من كل نزعة مادية أو أنانية ، فكان
في سلوكه يمثل روح الاسلام وفكره وانطلاقه في هداية الناس وتهذيب أخلاقهم.
ويجمع المؤرخون انه كان مشغولا في أكثر اوقاته بذكر الله ، وانه كان ينفق ليلاليه
ساهرا في الصلاة لله ومناجاته شأنه شأن آبائه الذين هم مصابيح الهداية والتقوى في
الارض ، وقد تخرج الامام في حياته كأشد ما يكون التحرج ، فزهد في الدنيا ، وابتعد عن
جميع زخارفها ، واتجه بقلبه وعواطفه نحو الله فأثر طاعته على كل شيء ، وعلى كل ما
يقربه إليه زلفى ، فلم ينقاد لأية نزعة من نزعات الهوى ، وانما تحرر منها تحررا كاملا ، ولم
يعد لها أي سلطان عليه.

لقد كانت سيرة الامام تحاكي سيرة جده الرسول الاعظم (ص) في جميع مكوناتها وذاتياتها ، ولا يكاد يقرأها أحد إلا ويذهب به الاعجاب كل مذهب ، ويمضي به الاكبار الى غير حد.

(٤)

وامتحن الامام الباقر (ع) وهو في غصارة الصبا امتحانا شاقا وعسيرا ، فقد شاهد رزايا كربلا وما جرى على العترة الطاهرة من صنوف القتل والتنكيل ، فقد جرت امامه عملية القتل الجماعي بوحشية قاسية لعترة النبي (ص) ولم يتأثم الجيش الاموي في قتل الاطفال الابرياء والنساء والشيوخ ، والتمثيل الآثم بجثمان الامام العظيم ، وغير ذلك من الكوارث التي تدوب من هولها القلوب ، وقد حمل أسيرا مع أسارى أهل البيت الى ابن مرجانة فبالغ في اذلالهم واحتقارهم ، وظهر الشماتة والحقد بقتله لعترة النبي (ص) وذريته ، وحملهم الى الطاغية الفاجر يزيد بن معاوية فقابلهم بمزيد من الاحتقار والتوهين.

وقد وعى الامام الباقر (ع) تلك الاحداث المؤلمة فملئت قلبه ألما عاصفا وطبعت في نفسه اللوعة والحزن ، وظلت ملازمة له طول حياته فلم يهنئ بعيش ولم تطب له الحياة ، قد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير.

ومن الكوارث التي دهمته وهو في غضون الصبا واقعة الحرة التي انتهك فيها جيش يزيد حرمة مدينة الرسول (ص) فاستباح الاعراض والاموال وازهاق النفوس ، ولم تبق حرمة لله إلا انتهكها ، ولم ينج من أهوال تلك الكارثة الأليمة الا الامام زين العابدين (ع) لوصية عهد بها يزيد الى جلاده المسرف الأثيم مسلم بن عقبة ، وتركت هذه الصور الحزينة في نفس الامام شعورا انبعاثيا طافحا بالاسى والحزن.

(٥)

وكان عصر الامام من أدق العصور في الاسلام فقد كانت الحياة فيه بشعة شديدة الظلام ومرهقة كأشد ما يكون الارهاق ، فقد تفجرت البلاد الاسلامية ببركان من الثورات كانت نتيجة لسوء السياسة الاموية التي لم تضع نصب أعينها مصلحة الشعوب الاسلامية ، وانما راحت تتصرف بوحى من رغباتها الخاصة من دون أن تولي أي اهتمام بصالح الأمة ، فقد وضعت عليها الضرائب الثقيلة ، وشدت في أمر الخراج وسلبت ثروات الامة ، وانفقتها على شهواتها وملازمها ، واستبدت كأشر ما يكون الاستبداد في جميع شئونها. ولا بد لنا أن نذكر الحكومات التي عاصرها الامام ، ونعرض الاحداث السياسية التي جرت في ذلك العصر ، ويجب أن نلاحظها بدقة وامعان فهي مما تمس الحياة الاجتماعية والفكرية في ذلك العصر الذي نشأ فيه الامام ، ومن الطبيعي أن الباحث الذي يهمل ذلك فانه من غير الممكن أن يتوصل الى دراسة الشخصية التي يبحث عنها أو يهتدي الى فهمها حسب الدراسات الحديثة.

ان من الامانة للعلم والرغبة في الحق اظهار تلك الاحداث والتدليل على مصادرها ، ومناقشة المصادر التي لم تخضع للحق وانما كانت خاضعة للأهواء التي هي أبعد ما تكون عن الواقع ، فان الدراسة بهذا اللون . فيما نحسب . تعود على القراء بمزيد من الفائدة.

(٦)

ولم تحظ المكتبة العربية بدراسة عن هذا الامام العظيم الذي هو من عناصر الثقافة والتكوين الحضاري لهذه الامة ، فانه ليس من الوفاء في شيء ان نهمل حياة عظمائنا في حين أن الأمم الحية قد عنت بتخليد

عظماؤها والاشادة بهم وابرار مآثرهم الى العالم للتدليل على مدى اصالتها وما تملكه من القيم الكريمة يقول العقاد : « ان الاوربيين قد وجدوا من علمائهم من يشيد بعظماؤهم ويستقصي نواحي مجدهم بل قد دعتهم العصبية أحيانا أن يتزايدوا في نواحي هذه العظمة ، ويعملوا الخيال في تبرير العيب وتكميل النقص تحميسا للنفس واثارة لطلب الكمال ، أما نحن فقد كان بيننا وبين عظماننا سدود وحواجز حالت بين شبابنا والاستفادة منهم ». ومن هو أحق بالاشادة من الامام محمد الباقر (ع) الذي هو من ابرز القادة الطليعيين لهذه الامة ، وأحد عباقرة هذه الدنيا ، والذي كان من بعض مآثره وخدماته تحرير النقد العربي والاسلامي من السيطرة الخارجية ، وجعله مستقلا بنفسه غير مرتبط بالامبراطورية الرومانية بما سنذكره تفصيلا في غضون هذا الكتاب.

وقد عنى القدامى بالبحث عن سيرة الامام أبي جعفر فألف الجلودي عبد العزيز بن يحيى المتوفى سنة (٣٠٤ هـ) كتابا اسماه « اخبار أبي جعفر الباقر »^(٤) ذكر فيه أحواله وشؤونه الا أنا لم نعثر عليه في خزانة المخطوطات التي حفلت بها مكتباتنا العامة. ولعله يوجد في خزائن المخطوطات الاخرى في العالم أو انه قد ضاع في ضمن المخطوطات الكثيرة التي خسرها العالم العربي والاسلامي.

(٧)

وقد ساعدني التوفيق . والحمد لله . فتشرفت بالبحث عن سيرة هذا الامام العظيم ومن الحق اني لم أر صورة أروع ولا أنظر منه ، فهو يمثل

(٤) الذريعة ١ / ٣١٥ ، الاعلام ٧ / ١٥٣ .

جميع القيم الانسانية التي يعتز بها كل انسان.

وقد عكفت على مراجعة جملة كبيرة من المصادر المخطوطة والمطبوعة التي عرضت لترجمته وتدوين بعض مآثره وحكمه ، وأنا واثق كل الوثوق أن الباحث المتبع يجد اضعاف ما كتبه عن حياته مما قد خفي عليّ ، ولا ازمع أنني احطت بترجمته أو دونت جميع ما أثر عنه ، وانما القيت اضواء على شخصيته ، وتركت الباب مفتوحا لغيري من الباحث للكشف عن حياته.

وقبل أن انهي هذا التقديم أود أن اذكر بمزيد من الشكر ما قام به ولدنا السيد الجليل السيد عبد الرسول بن السيد رضا الحسيني الصائغ من المساهمة في الانفاق على طبع هذا الكتاب سائلا منه تعالى أن يوفقه لكل مسعى نبيل وما التوفيق الا بيد الله يهبه لمن يشاء من عباده.

٦ / ١١ / ١٩٧٧ م . ١٣٩٧ هـ

باقر شريف القرشي

الوليد العظيم

واستقبل أهل البيت (ع) بمزيد من الفرح والسرور الوليد المبارك الذي ازدهرت به الحياة الفكرية والعلمية في الاسلام ، وكان ابتهاجهم به كأعظم ما يكون الابتهاج لانه أول مولود التقت به عناصر السبطين والنيرين الحسن والحسين ، وامتزجت به تلك الاصول الكريمة التي أعز الله بها العرب والمسلمين ، أما الاصلاب ، الكريمة والارحام المطهرة التي تفرع منها فهي :

الام :

أما أمه فهي السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الامام الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وتكنى أم عبد الله ^(١) وكانت من سيدات نساء بني هاشم ، وكان الامام زين العابدين (ع) يسميها الصديقة ^(٢) ويقول فيها الامام أبو عبد الله الصادق (ع) : « كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها » ^(٣) وحسبها سموا أنها بضعة من ريحانة رسول الله ، وأنها نشأت في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وتربى الامام الباقر (ع) في حجرها الطاهر ، فأفرغت عليه اشعة من روحها الزكية ، وغذته بمثلها الكريمة ، حتى صارت من خصائصه وذاتيته.

ولم تتوفر لنا أية معلومات عن المدة التي عاشها مع أمه فقد أهملت المصادر التي بأيدينا ذلك ، ولم تشر إليه بقليل ولا بكثير ، كما لم تتوفر

(١) تهذيب اللغات والاسماء ١ / ٨٧ ، وفيات الاعيان ٣ / ٣٨٤ ، المحبر (ص ٥٧) تأريخ اليعقوبي ٢ / ٦٠ ، اعيان الشيعة ١ / ٤ / ٤٦٤ .

(٢) ضياء العالمين الجزء الثاني من مخطوطات مكتبة الحسينية الشوشترية تأليف أبي الحسن العاملي ، الدر النظيم من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩) .

(٣) أصول الكافي ١ / ٤٦٩ .

لنا أية معلومات عن سائر شئونها.

الاب :

أما الأب فهو سيد الساجدين وزين العابدين ، ومن المع سادات المسلمين فقها وعلما وتخرجوا في الدين ، وسندكر عرضا موجزا لشؤونه في البحوث الآتية.

الوليد العظيم :

واشرفت الدنيا بمولد الامام الزكي محمد الباقر الذي بشر به النبي (ص) قبل ولادته ، وكان أهل البيت (ع) ينتظرونه بفارغ الصبر لانه من أئمة المسلمين الذين نص عليهم النبي (ص) وجعلهم قادة لأمته ، وقرنهم بمحكم التنزيل وكانت ولادته في يثرب في اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٦ هـ)^(٤) وقيل سنة (٥٧ هـ) في غرة رجب يوم الجمعة^(٥) وقد ولد قبل قتل جده الامام الحسين (ع) بثلاث سنين^(٦) وقيل بأربع سنين كما أدلى (ع) بذلك^(٧) وقيل بسنتين. وأشهر^(٨) وهو قول شاذ لا يعنى به.

(٤) وفيات الاعيان ٣ / ٣١٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤ ، نزهة المجلس ٢ / ٣٦ .

(٥) دلائل الامامة (ص ٩٤) دائرة المعارف لفريد وجدي ٣ / ٥٦٣ .

(٦) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٨٤ ، أخبار الدول (ص ١١١) وفيات الاعيان ٣ / ٣١٤ .

(٧) تاريخ يعقوبي ٢ / ٦٠ .

(٨) عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب من مخطوطات مكتبة الامام الحكيم تسلسل (٩٧٥).

وقد أجريت له فور ولادته المراسيم الشرعية من الاذان والاقامة في اذنه كما أجريت له بعض المراسيم الاخرى في اليوم السابع من ولادته من حلق رأسه والتصديق بزنة شعره فضة على المساكين ، والعق عنه بكبش والتصديق به على الفقراء.

وكانت ولادته في عهد معاوية والبلاد الاسلامية تعج بالظلم ، وتموج بالكوارث والخطوب من ظلم معاوية وجور ولاته الذين نشروا الارهاب وأشاعوا الظلم في البلاد ، وقد تحدث الامام الباقر عن تلك المظالم الرهيبة ، وسنذكر حديثه في غضون هذا الكتاب.

تسميته :

وسماه جده رسول الله (ص) بمحمد ، وكناه بالباقر قبل أن يخلق بعشرات السنين ، وكان ذلك من أعلام نبوته كما يقول بعض المحققين ، وقد استشف (ص) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم واذاعته بين الناس فبشر به أمته ، كما حمل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري وسنلمع الى ذلك فيما يأتي.

كنيته :

أما كنيته فهي : « أبو جعفر »^(٩) ولا كنية له غيرها ، لقد كني بولده الامام جعفر الصادق (ع) الذي بعث الروح والحياة في هذه الامة وفجر ينابيع الحكمة في الارض.

لقابه :

أما القابه الشريفة فقد دلت على ملامح شخصيته العظيمة ونزعاته الرفيعة وهي :

(٩) دلائل الامامة (ص ٩٤) .

١ . الأمين :

٢ . الشبيه : لأنه كان يشبه جده رسول الله (ص) (١٠).

٣ . الشاكر :

٤ . الهادي :

٥ . الصابر :

٦ . الشاهد : (١١)

٧ . الباقر : (١٢) وهذا من أكثر ألقابه ذيوعا وانتشارا ، وقد لقب هو وولده الامام

الصادق (بالباقرين) كما لقبا (بالصادقين) من باب التغليب (١٣).

ويكاد مجمع المؤرخون والمترجمون للإمام على أنه انما لقب بالباقر لانه بقر العلم

أي شقه ، وتوسع فيه فعرف أصله وعلم خفيه (١٤) ، وفيه يقول الامام الرضى :

يا باقر العلم لاهل التقى وخير من لبي على الاجبل (١٥)

وكأنهم نظروا في ذلك الى ما أثر عنه من سعة العلوم والمعارف فجعلوا هذا اللقب

مشعرا بها ، وقيل انما لقب به لكثرة سجوده فقد بقر جبهته

(١٠) الدر النظيم في مناقب الائمة من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين ضياء العالمين الجزء الثاني
مخطوط ، اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٤٦٤ .

(١١) جنات الخلود ، وناسخ التواريخ .

(١٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤ ، نزهة الجليس ٢ / ٣٦ ، مرآة الجنان ١ / ٢٤٧ ، دائرة معارف وجدي ٣ /
٥٦٣ .

(١٣) جامع المقال للشيخ الطريحي من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

(١٤) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٣) عمدة الطالب (ص ١٨٣) .

(١٥) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٣) .

أي فتحها ووسعها^(١٦) وقيل انما لقب بذلك لقوله : « استصرخي الحق وقد حواه الباطل في جوفه ، فبقرت عن خاصرته ، واطلعت الحق من حجبه حتى ظهر وانتشر بعد ما خفى »^(١٧) ولكن المشهور والذائع بين المؤرخين هو المعنى الاول دون غيره.

تحيات النبي الى الباقر :

ويجمع المؤرخون والرواة على أن النبي (ص) حمل الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري تحياته ، الى سبطه الامام الباقر ، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدي إليه رسالة جده ، فلما ولد الامام وصار صبيا يافعا التقى به جابر فأدى إليه تحيات النبي (ص) وقد روى المؤرخون ذلك بصور متعددة وهذه بعضها :

١ . ما رواه آبان بن تغلب عن أبي عبد الله (ع) قال : ان جابر ابن عبد الله الانصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلا منقطعاً إلينا أهل البيت ، وكان يقعد في مجلس رسول (ص) وهو معتجر^(١٨) بعمامة سوداء ، وكان ينادي : يا باقر العلم ، يا باقر العلم ، فكان أهل المدينة يقولون : جابر يهجر ، فكان يقول : والله ما أهجر ، ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول : إنك ستدرك رجلا مني اسمه اسمي ، وشمائله شمائلي يقر العلم بقرا ، فذاك الذي دعاني الى ما أقول : قال : فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال : يا غلام اقبل فأقبل ،

(١٦) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ٥ / ٧٨ من مصورات مكتبة الامام الحكيم.

(١٧) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان الجزء الخامس مخطوط.

(١٨) معتجر : وهو وضع العمامة على الرأس.

ثم قال له : ادبر فادبر ، ثم قال : شمائل رسول الله (ص) والذي نفسي بيده ، يا غلام ما اسمك؟ قال : اسمي محمد بن علي بن الحسين فجعل يقبل رأسه ، ويقول : بأبي أنت وأمي أبوك رسول الله (ص) يقرؤك السلام ... قال : فرجع محمد بن علي الى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر ، فقال له : يا بني قد فعلها جابر قال : نعم قال : ألزم بيتك يا بني .. « (١٩).

أما محتويات هذه الرواية فهي .

أ . أن شمائل الامام الباقر (ع) وملامحه كانت تضارع شمائل النبي (ص).

ب . ان النبي (ص) هو الذي سمي سبطه بمحمد ، واضفى عليه لقب الباقر ، وأنه ييقر العلم بقرا.

ج . ان الامام زين العابدين (ع) قد خاف على ولده مما أخبر به جابر عن النبي (ص) في شأنه ، ويعود السبب في ذلك الى أن الحكومة الاموية قد فرضت الرقابة الشديدة على الامام زين العابدين فكانت تحصي عليه انفاسه ، وتتعرف على من يخلفه ويقوم مقامه من بعده لتتنكل به فخشى (ع) على ولده من أن يناله الامويون بسوء أو مكروه.

٢ . ما رواه ابن عساكر ان الامام زين العابدين (ع) ومعه ولده الباقر دخل على جابر بن عبد الله الانصاري ، فقال له جابر : من معك يا ابن رسول الله؟ قال : معي ابني محمد فاخذه جابر وضمه إليه وبكى ثم قال : اقترب اجلي ، يا محمد ، رسول الله (ص) يقرؤك السلام فسئل وما ذاك؟ فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : للحسين بن علي يولد لابن هذا ابن يقال له علي بن الحسين ، وهو سيد العابدين إذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ، ويولد

(١٩) أصول الكافي « ١ / ٤٦٩ - ٤٧٠ » رجال الكشي (ص ٢٧ - ٢٨).

لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد اذا رأته يا جابر فاقرأه مني السلام ، يا جابر اعلم أن المهدي من ولده ، واعلم يا جابر ان بقاءك بعده قليل .. » (٢٠)

٣ . ما رواه تاج الدين بن محمد نقيب حلب بسنده عن الامام الباقر ٧ قال : دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه . فقال لي من أنت؟ وذلك بعد ما كف بصره ، فقلت له : محمد بن علي بن الحسين ، فقال : بأبي أنت وأمي ادن مني فدنوت منه فقبل يدي ثم اهوى الى رجلي فاجتذبتها منه ، ثم قال : إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقلت وعلى رسول الله (ص) السلام ورحمة الله وبركاته ، وكيف ذلك يا جابر؟ قال : كنت معه ذات يوم فقال : لي يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلا من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب له الله النور والحكمة فاقرأه مني السلام ... » (٢١).

٤ . ما ذكره صلاح الدين الصفدي قال : « كان جابر يمشي بالمدينة ويقول يا باقر متى القاك؟ فمر يوما في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبيا في حجرها فقال لها : من هذا؟ فقالت : محمد بن علي بن الحسين فضمه الى صدره ، وقبل رأسه ويديه ، وقال : يا بني جدك رسول الله (ص) يقرؤك السلام ثم قال : يا باقر نعتت الى نفسي فمات في تلك الليلة. » (٢٢)

٥ . ما ذكره بعض الاسماعيلية أن النبي (ص) قال : لجابر إنك ستلحق ولد ولدي هذا وأشار الى الحسين فاذا أدركته فاقرأه عنى السلام ، وقل : له يا باقر العلم ابقره. ففعل ذلك .. » (٢٣).

(٢٠) تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤١ من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين

(٢١) غاية الاختصار (ص ٦٤).

(٢٢) الوافي بالوفيات ٤ / ١٠٢ .

(٢٣) مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والاسرار السامية (ص ٩٩) لمؤلف مجهول.

٦ . ما رواه الحافظ نور الدين الهيثمي عن أبي جعفر (ع) قال أتاني جابر بن عبد الله وأنا في الكتاب فقال : اكشف عن بطنك فكشفت عن بطني فقبله ثم قال : ان رسول الله (ص) أمرني أن اقرأ عليك السلام. « (٢٤)

هذه بعض الروايات وهي قد اتفقت على أن النبي (ص) حمل جابر ابن عبد الله الانصاري تحياته الى الامام الباقر (ع) وقد استشف (ص) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم واذاعته بين الناس وانه من جملة اوصيائه الذين يفجرون الحكمة والنور في الارض.

ملاحظة :

أما ملامحه الشريفة فهي حسب ما يقول جابر بن عبد الله الانصاري كانت كملامح رسول الله (ص) وشمائله (٢٥) وكما شابهه جده النبي (ص) في هذه الظاهرة فقد شابهه في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين.

ووصفه بعض المعاصرين له فقال : إنه كان معتدل القامة اسمر اللون (٢٦) رقيق البشرة له خال ، ضامر الكشح ، حسن الصوت مطرق الرأس (٢٧).

ذكاؤه المبكر :

وكان (ع) في طفولته آية من آيات النبوغ والذكاء ، ويقول الرواة إن جابر بن عبد الله الانصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه ... وقد بهر جابر من سعة علوم الامام ومعارفه وطفق يقول :

(٢٤) مجمع الزوائد ١ / ٢٢ .

(٢٥) أصول الكافي ١ / ٤٦٩ .

(٢٦) اخبار الدول (ص ١١١) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٢) .

(٢٧) اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٤٧١ .

« يا باقر لقد أوتيت الحكم صبيا ... » (٢٨)

وقد عرف الصحابة ما يتمتع به الامام منذ نعومة اظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها ويقول المؤرخون ان رجلا سأل عبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقف على جوابها فقال للرجل : اذهب إلى ذلك الغلام . وأشار الى الامام الباقر . فأسأله ، وأعلمني بما يجيبك فبادر نحوه وسأله فاجابه (ع) عن مسألته وخف الى ابن عمر فاخبره بجواب الامام ، وراح ابن عمر يبيدي اعجابه بالامام قائلا : « انهم أهل بيت مفهمون » (٢٩).

لقد خص الله أئمة أهل البيت (ع) بالعلم والفضل ، ووهبهم الكمال المطلق الذي يهبه لأنبيائه ورسله ، فكان كل فرد منهم لا تخفى عليه أية مسألة تعرض عليه ، ويقول المؤرخون ان الامام كان عمره تسع سنين وقد سئل عن أدق المسائل فأجاب عنها.

هيئته ووقاره :

وبدت على ملامح الامام (ع) هيبة الأنبياء ووقارهم ، فما جلس معه أحد إلا هابه وأكبره وقد تشرف قتادة وهو فقيه أهل البصرة بمقابلته فاضطرب قلبه من هيئته وأخذ يقول له :

« لقد جلست بين يدي الفقهاء وأمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك. » (٣٠).

لقد كان الامام بقية الله في أرضه ، وتجلت في شخصيته سمات اوليائه واحبائه الذين اضىف عليهم الهيبة والوقار ، وممن غمرتهم هيبة الامام الشاعر

(٢٨) علل الشرائع (ص ٢٣٤).

(٢٩) المناقب ٤ / ١٤٧ .

(٣٠) اثبات الهداة ٥ / ١٧٦ .

المغربي يقول في وصفه له :

يا ابن الذي بلسانه وبيانه هدي الانام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدمه التوراة والانجيل
لو لا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا : محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا إنه لم يأت به برسالة جبريل (٣١)
وروى المؤرخون أن الامام (ع) لم ير ضاحكا ، وإذا ضحك يقول : « اللهم لا
تمقتني » (٣٢) لقد ابتعد عن كل ما ينافي الوقار وسمو الشخصية ، وكان البارز من صفاته
ذكر الله ، ففي جميع أوقاته كان لسانه مشغولا بذكر الله ، وسنذكر ذلك عند البحث عن
مظاهر شخصيته.

نقش خاتمه :

أما نقش خاتمه فهو : « العزة لله جميعا » (٣٣) وكان يتختم بخاتم جده الامام
الحسين (ع) وكان نقشه « إن الله بالغ أمره » (٣٤) وذلك مما يدل على انقطاعه التام إلى
الله وشدة تعلقه به.

إقامته :

وأقام الامام (ع) طيلة حياته في يثرب دار الهجرة ، فلم يرحها إلى بلد آخر ، وقد
كان فيها المعلم الاول ، والرائد الاكبر للحركات العلمية والثقافية ، وقد اتخذ الجامع
النبوي مدرسة له فكان فيه يلقي بحوثه على تلاميذه.

(٣١) المناقب ٤ / ١٨١ .

(٣٢) صفة الصفوة ٢ / ٦٢ ، تذكرة الخواص (ص ٣٤٩) .

(٣٣) حيلة الاولياء ٣ / ١٨٩ .

(٣٤) أعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ١٦٩ .

فى ظلال الحسين وعلى

نشأ الامام أبو جعفر (ع) في بيت الرسالة ومهبط الوحي ، ومصدر الاشعاع في دنيا الاسلام ، وكان جده الامام الحسين (ع) وأبوه الامام زين العابدين يغذيانه بالمثل الكريمة ، ويفيضان عليه ما استقر في نفسيهما من الخير والهدى ، ويعلمانه السلوك النير والاتجاه السليم ليكون قدوة لهذه الأمة ... وفيما يلي عرض لنشأته في ظلال جده وأبيه.

في ظلال جده :

وعنى الامام الحسين (ع) بتربية حفيده فأفرغ عليه أشعة من روحه المقدسة التي أضاءت آفاق هذا الكون ، وكان فيما يرويه المؤرخون . يجلسه في حجره ، ويوسعه تقبيلا ، ويقول له :

« إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ... »^(١).

وهو اشعار من الجدل لحفيده بأن النبي (ص) ينتظر منه القيام بدوره القيادي لأمتة أن يفجر في ربوعها ينابيع الحكمة ، ويذيع فيها العلم ، ويهديها إلى سواء السبيل وشاهد الامام الباقر (ع) وهو في غضون الصبا جده الامام الحسين (ع) أيام المحنة الكبرى التي طافت به حينما أبتلي بطاغية زمانه ، وفرعون هذه الأمة يزيد بن معاوية الذي كان يشكل أعظم خطر على الاسلام ، وقد دعاه لبيعته ، والخنوع لحكمه ، فصرخ (ع) في وجهه ، وانطلق في مسيرته الخالدة ، ليرفع كلمة الله عالية في الارض ، ويؤدي رسالته الاسلامية بأمانة واخلاص ، فضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه بتلك التضحية المشرقة التي أقام بها مجد الاسلام ، وقضى بها على خصومه واعدائه ، وقد زحرت بالقيم الكريمة والمثل العليا ، وتفاعلت مع عواطف

(١) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٨ ، سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٤١ من مصورات مكتبة الحكيم.

الناس ومشاعرهم وهي تفيض بالعطاء السمع ، وتقدم أروع الدروس عن التضحية في سبيل الحق والواجب وستبقى ندية عاطرة في جميع الاحقاب والآباد وهي تمثل شرف الانسان وسمو قصده.

وقد جرت فصول تلك المأساة الخالدة أمام الباقر وهو في غضون الصبا ، يقول (ع) : « قتل جدي الحسين ولي أربع سنين ، واني لأذكر مقتله ، وما نالنا في ذلك الوقت » (٢)

وقد روى (ع) الكثير من فصولها ، وروى الطبري بسنده عنه بعض صورها ، كما الف جماعة من أعلام أصحابه كتبوا اسموها (مقتل الحسين) دونوا فيها ما سمعوه منه ، ومن غيره أهوال كارثة كربلاء ، ذكر الكثير منها ابن النديم في فهرسته وعلى أي حال فان تلك المأساة الخالدة قد تركت . من دون شك . في نفسه اعظم اللوعة والحزن ، وظلت مآسيها واشجانها ملازمة له طوال حياته.

في ظلال ابيه :

عاش الامام أبو جعفر (ع) في كنف أبيه الامام زين العابدين (ع) ما يزيد على (٣٤ عاما) وقد لازمه وصاحبه طيلة هذه المدة فلم يفارقه ، وقد تأثر بهديه المشرق الذي يمثل هدي الأنبياء والمرسلين ، فما رأى الناس مثل الامام زين العابدين (ع) في تقواه وورعه وزهده ، وشدة انقطاعه واقباله على الله ... ونلمع الى بعض أحواله وشئونه لأن سيرته قد انطبعت في قرارة نفس الامام الباقر وارتسمت في اعماق ذاته ، وفيما يلي ذلك :

(٢) تاريخ البيهقي ٢ / ٦١ .

اكبار وتعظيم :

واجتمع رجال الفكر والعلم في عصر الامام زين العابدين على تعظيمه واكباره وتقديمه بالفضل على غيره وهذه بعض كلماتهم.

١ . سعيد بن المسيب .

وغمرت هبة الامام وعظمته سعيد بن المسيب فراح يقول : « ما رأيت قط افضل من علي بن الحسين ، وما رأيت قط إلا مقت نفسي ، ما رأيت يوما ضاحكا .. »^(٣).

٢ . الزهري :

وهام الزهري بحب الامام يقول : « ما رأيت قرشيا أفضل منه »^(٤) وقال : « ما رأيت أفقه من علي بن الحسين »^(٥).

٣ . زيد بن اسلم :

يقول زيد بن اسلم : « ما رأيت مثل علي بن الحسين »^(٦).

٤ . عمر بن عبد العزيز :

وقال عمر بن عبد العزيز لما أتاه نعي الامام : « ذهب سراج الدنيا ، وجمال الاسلام ، وزين العابدين »^(٧).

٥ . أبو حازم :

يقول أبو حازم : « ما رأيت هاشميا أفضل من علي بن الحسين »^(٨).

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ / ٤٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٠٥ ، وفي الحلية (ما رأيت هاشميا أفضل من علي بن الحسين) .

(٥) حلية الاولياء ٣ / ٣٠٩ .

(٦) طبقات الفقهاء (ص ٣٤) .

(٧) تاريخ يعقوبي ٢ / ٤٨ .

(٨) حلية الاولياء ٣ / ١٤١ .

٦ . مالك :

يقول مالك : « لم يكن في أهل بيت رسول الله (ص) مثل علي بن الحسين »^(٩).

٧ . جابر بن عبد الله :

وممن هام بحب الامام الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري يقول : « ما رؤي من أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين. »^(١٠)

٨ . الواقدي :

يقول الواقدي : « كان علي بن الحسين من أروع الناس وأعبدهم واتقاهم لله عز وجل .. »^(١١)
وحكت هذه الكلمات انطباعات هؤلاء الاعلام من الامام ، فقد اقرؤا جميعا على تقديمه بالفضل والعلم على غيره من ابناء الأسرة النبوية . في عصره . التي تمثل الكمال المطلق للإنسان.

سمو اخلاقه :

أما معالي أخلاقه فانها نفحة من روح الله يهتدي بها الحائر ويسترشد بها الضال وقد حاكى بهذه الظاهرة جده الرسول (ص) الذي امتاز على سائر النبيين بسمو اخلاقه . وكان (ع) . فيما أجمع عليه المؤرخون . يقابل كل من اساء إليه بالعفو والصفح الجميل ، ويغدق عليه ببره ومعروفه ، ليقلع من نفسه جذور البغي والاعتداء على الغير ، وهذه بعض البوادر التي أثرت عنه .

(٩) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٠٥ .

(١٠) الامام زين العابدين (ص ٧٣) .

(١١) البداية والنهاية ٩ / ١٠٤ .

أ . يقول المؤرخون : إن اسماعيل بن هشام المخزومي كان واليا على يثرب ، وكان من أعظم المبغضين والحاقدين على آل البيت (ع) وكان يببالغ في إيذاء الامام زين العابدين ، ويشتم آباءه على المنابر ، تقريبا الى حكام دمشق ، ولما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بادر الى عزله والوقية به لهنات كانت بينه وبينه قبل أن يلي الملك والسلطان ، وقد أوعز بايقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه ، وفزع هشام كأشد ما يكون الفرع من الامام (ع) لكثرة إساءته له ، وقال : ما أخاف إلا من علي بن الحسين فانه رجل صالح يسمع قوله فيّ ، ولكن الامام عهد إلى أصحابه ومواليه ان لا يتعرضوا له بمكرهه ، وخف إليه فقابله ببسمات فياضة بالبشر ، وعرض عليه القيام بما يحتاج إليه في محنته قائلا له :

« يا ابن العم عافاك الله لقد ساءني ما صنع بك فادعنا إلى ما احببت .. »

وذهل هشام ، وراح يقول بإعجاب :

(**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) فيمن يشاء .. » (١٢)

ب . ومن معالي اخلاقه هذه البادرة التي ترفعه الى مستوى لم يبلغه أي مصلح كان عدا آباءه ، كما تدلل على امامته .

لقد روى المؤرخون أنه كان في كل يوم من شهر رمضان يذبح شاة ويطبخها ويوزعها على الفقراء والمحرومين ، وفي يوم حمل غلامه اناء فيه شيء من المرق وكان يغلى من شدة الحرارة فعثر الغلام باحد اطفال الامام ، فتوفي الطفل في الوقت ، فارتفعت الصيحة من العلويات ، وكان الامام يصلي فلما انفلت من صلاته أخبر بوفاة ولده فاسرع (ع) الى الغلام فرآه يواعد من شدة الخوف ، فقابله بلطف وحنان ، وقال له :

« لقد ظننت بعلي بن الحسين الظنون ، ظننت أنه يعاقبك ويقتص

(١٢) وسيلة المال في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨) .

منك .. اذهب فأنت حر لوجه الله ، وهذه أربعة آلاف دينار هدية إليك ، واجعلني في حل من الخوف الذي داخلك من أجلي ... » (١٣).

أي نفس ملائكية هذه النفس ، إنها لتفوق نفوس عباد الله الصالحين الذين امتحن الله قلوبهم بالايمان ... لقد ورث هذه الاخلاق العظيمة من جده الرسول العظيم (ص) الذي أسس مكارم الاخلاق في الارض.

ج . ومن معالي اخلاقه أنه كان خارجا من المسجد فالتقى به رجل من شائنيه فقابل الامام بالسب والشتم فثار في وجهه بعض موالي الامام وأصحابه فنهرهم (ع) وأقبل على الرجل بلطف قائلا :

« ما ستر عليك من أمرنا أكثر ... الك حاجة نعينك عليها .. »

واستحيا الرجل وودّ أن الارض قد وارته ، وبان عليه الانكسار والندم ، وبادر نحوه الامام (ع) فالقى عليه خميصة ، وأمر له بألف درهم ، وطفق الرجل يقول :

« اشهد أنك من بني الرسل!! » (١٤).

هذه بعض البوادر من معالي اخلاقه التي تفيض بالرحمة والحلم ، ونكران الذات ... والحق ان اخلاق أهل البيت (ع) مدرسة تقوم على الشرف والنبل وعلى كل ما يسمو به الانسان.

نشره للعلم :

وانصرف الامام زين العابدين (ع) بعد كارثة كربلاء الى نشر العلم واذاعته بين الناس ولم يقتصر على علم الحديث والفقہ ، وإنما عنى بالأخلاق والآداب والفلسفة والحكمة. وقد أمد الفكر الاسلامي بطاقات هائلة من العلم والحكمة وآداب

(١٣) صفة الصفوة.

(١٤) وسيلة المآل في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨).

السلوك حفلت بها صحيفته ، ورسالته في الحقوق ، وغيرهما من موسوعات الحديث وكتب الاخلاق ، وقد قام بدور إيجابي وبناء في ابراز مثل الاسلام وقيمه وتعاليمه.

حثه على طلب العلم :

وكان (ع) يحث المسلمين على طلب العلم ، ويدعوهم الى المبادرة في تحصيله لأنه الاداة الخلاقة لتطورهم وازدهار حياتهم يقول (ع) : « لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج ، وخوض اللجج ». وأوصى (ع) بعض أصحابه ببسط العلم ونشره ، وأن لا يتجبر على من يعلمه ، يقول (ع) :

« فان أنت احسنت في تعليم الناس ، ولم تتجبر عليهم زادك الله من فضله ، وإن أنت منعت علمك ، وأخرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهائه ، ويسقط من القلوب محللك. » (١٥)

تكريمه لطلاب العلوم :

وكان (ع) يعتني بطلاب العلوم ويرفع مكانتهم ، فاذا رأى أحدا منهم ربح به وقال له : « مرحبا بوصية رسول الله (ص) » ويقول الامام الباقر (ع) كان أبي زين العابدين اذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه ، وقال : مرحبا بكم أنتم ودائع العلم ، ويوشك اذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين (١٦).

(١٥) مكارم الاخلاق (ص ١٤٣) لرضي الدين الطبرسي.

(١٦) الدر النظيم (ص ١٨١) الانوار البهية (ص ١٠٣).

احتفاف القراء به :

واحتف القراء بالامام زين العابدين ، وكانوا لا يفارقونه فقد كانوا يكتسبون منه العلوم والمعارف والآداب ، وتحدث سعيد بن المسيب عن مدى ملازمتهم للإمام يقول : إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين ، فخرج وخرجنا معه الف راكب^(١٧).

عنته للموالي :

وكان الامام زين العابدين (ع) يعطف على الموالي كأشد ما يكون العطف ، فكان يشتريهم ، ويشترى نساءهم ، ويعتقهم جميعا لينعموا بالحرية والكرامة ، وإذا اعتقهم منحهم الأموال الطائلة ، والثراء العريض ليستغنوا عما في أيدي الناس .
وقد تبني طائفة من الموالي فجعل يغذيتهم بأنواع العلوم والمعارف ، وقد تخرج على يده مجموعة منهم كانوا من كبار العلماء في ذلك العصر ، وكان ذلك هو السبب في تزعم الموالي للحركة العلمية في تلك العصور ، كما ان ذلك هو السبب في انتشار الولاء لأهل البيت (ع) عندهم ، وانضمامهم لكل حركة سياسية تدعو الى التخلص من الحكم الاموي ، وارجاع الخلافة لاهل البيت (ع) الذين كانوا الملجأ لكل بائس ومحروم .

عبادته وتقواه :

وكان الامام زين العابدين من رهبان هذه الامة في عبادته وتقواه . وقد لقب بذي الثغفات لكثرة سجوده ، كما لقب بالمتهجد ، وزين العابدين ، وسيد العابدين^(١٨) والسجاد وهي تشير الى كثرة عبادته ، وعظيم اقباله على الله ، وقد روى المؤرخون أنه إذا توضأ اصفر لونه ، فيقول له

(١٧) البحار ٢ / ٨٣ .

(١٨) الدر النظيم (ص ١٧٩) .

أهله : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول لهم : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟^(١٩) وقد دخل عليه ولده الباقر فرآه قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، فقد اصفر لونه من السهر ورمصت عيناه من البكاء ودبرت جبهته من كثرة السجود ، وورمت ساقاه من القيام في الصلاة ، فلم يملك ولده نفسه من البكاء ، وكان الامام زين العابدين في شغل عنه ، فلما بصر بولده أمره ان يناوله بعض الصحف التي فيها عبادة جده الامام أمير المؤمنين (ع) فناوله تلك الصحف فجعل يتأمل فيها ، ثم تركها ضجرا وراح يقول :

« من يقوى على عبادة علي ابن أبي طالب » :

وكان^(٢٠) (ع) إذا قام للصلاة بين يدي الله توجه بقلبه ومشاعره نحو الخالق العظيم ، فلا يشغله أي شأن من هذه الحياة ، ويقول الامام الباقر (ع) : كان أبي اذا وقف للصلاة لم يشتغل بغيرها ، ولم يسمع شيئا لشغله بها وقد سقط بعض ولده فانكسرت يده ، فصاح أهله وجيء بالمجبر فجبر يده والصبي يصرخ من شدة الالم ، والامام لم يسمع فلما اصبح ورأى الصبي قد شدت يده فسأل عن ذلك فأخبره أهله بذلك^(٢١).

وقد أجهده العبادة أي اجهاد ، فقد حمل نفسه من أمرها رهقا ، وقد خاف عليه أهله ، فراحوا يتوسلون إليه ليخفف من عبادته ، وهو يأبى ذلك ، يقول الامام الباقر (ع) : لما رأت فاطمة بنت الامام أمير

(١٩) درر الابدكار في وصف الصفوة الاخيار من مصورات مكتبة الامام الحكيم.

(٢٠) أعلام الورى (ص ٣٦٠) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ١٥١ . ١٥٢) الدر التنظيم (ص ١٨٠).

(٢١) الدر التنظيم (ص ١٧٩).

المؤمنين ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة اقبلت الى جابر بن عبد الله الانصاري فقالت له :

« يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقا ، ومن حقنا عليكم ان إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهدا أن تذكروه الله وتدعوه الى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ، ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه مما دأب على نفسه في العبادة .. »

وانطلق جابر الى الامام زين العابدين فوجده في محرابه قد أضتته العبادة ، واجهدته الطاعة ونهض الامام فاستقبل جابر ، واجلسه إلى جنبه ، وسأله سؤالا حفيا عن حاله ، واقبل جابر عليه قائلا :

« يا ابن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم ، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ .. »
فاجابه الامام بلطف وحنان قائلا :

« يا صاحب رسول الله ، أما علمت أن جدي رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، فلم يدع الاجتهاد له وتعبد . بأبي وأمي . حتى انتفخ ساقه ، وورم قدمه ، وقد قيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ... »

ولما نظر جابر الى الامام لا يغنى معه قول يميل به من الجهد والتعب ، طفق يقول له : « يا ابن رسول الله ، البقيا على نفسك ، فانك من أسرة بهم يستدفع البلاء ، وبهم تستكشف الادواء ، وبهم تستمطر السماء ... »
فاجابه الامام بصوت خافت :

« لا أزال على منهاج أبي مؤتسيا بهما حتى القاهما ... »

وبهر جابر ، وأقبل على من حوله قائلاً :

« ما رأي من أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب ، والله لذرية الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب!! إن منهم لمن يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ... » (٢٢)

لقد كان الامام زين العابدين امام المتقين والمنيبين فقد اجتهد في عبادته وأخلص في طاعته ، ولم يؤثر عن القديسين مثل ما أثر عنه من الاقبال على الله.

صدقاته وبره :

وكان الامام زين العابدين من أبر الناس بالضعفاء ، وأرفقهم بالمساكين ، وأرحمهم للبتائسين ، وكان يؤثر اصحاب الفاقة على نفسه وأهله ، وقد اجمع المؤرخون انه كان يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ، ويقول : إن صدقة السر تطفئ غضب الرب (٢٣) وكان يعول بمائة بيت في المدينة (٢٤) وكان اذا ناول الفقير الصدقة قبله ثم ناوله (٢٥) وإنما كان يفعل ذلك لئلا يبدو على الفقير أثر الذل والانكسار ، ويقول المؤرخون : ان الامام أبا جعفر (ع) لما غسل أباه نظر بعض من كان حاضراً تغسيله الى مواضع المساجد من ركبتيه ، وظاهر قدميه كأنهما مبارك البعير من كثرة

(٢٢) الامام زين العابدين (ص ٧٢ - ٧٣) لاحمد فهمي ، مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ١٤٨ .

(٢٣) حلية الاولياء ٣ / ١٣٦ .

(٢٤) حلية الاولياء ٣ / ١٣٦ .

(٢٥) حلية الاولياء ٣ / ١٣٦ .

سجوده إلا أنهم نظروا الى عاتقه فوجدوا مثل ذلك الاثر عليه فسألوه عن ذلك فقال (ع) :
« اما انه لو كان حيا ما حدثتكم عنه ، كان لا يمر به يوم من الايام إلا اشبع فيه
مسكينا فصاعدا ما أمكنه ، فاذا كان الليل نظر الى ما فضل عن قوت عياله يومهم ذلك
فجعلله في جراب فاذا هداً الناس وضعه على عاتقه ، وتخلل المدينة وقصد قوما لا يسألون
الناس الحافا فوصلهم من حيث لا يعلمون من هو ، ولا يعلم بذلك أحد من أهله غيري ،
فاني كنت أطلعت على ذلك منه يرجو بذلك فضل اعطاء الصدقة بيده ، ودفعها سرا ،
وكان يقول : صدقة السر تطفئ غضب الرب (٢٦).

ويروي الامام الباقر (ع) بعض مبررات أبيه فيقول : كان أبي ربما يشتري مطرف الخز
بخمسين دينارا فيشتو فيه ، ويدخل به المسجد فاذا كان الصيف أمر فيتصدق به ، أو يبيع
فيتصدق بثمنه (٢٧).

لقد كان الامام زين العابدين (ع) نسخة لا ثاني لها في تأريخ الانسانية ، فان
مقاييسه الخلقية ، وفضائله النفسية لترفعه الى مستوى لم يبلغه أي انسان عدا آباءه.

رائعة الفرزدق :

وحج الامام زين العابدين (ع) بيت الله الحرام ، وكان قد حج هشام بن عبد الملك
، وقد جهد هشام على استلام الحجر فلم يستطع لزحام الناس على الحجر ، ونصب له
منبر فجلس عليه ، وجعل ينظر الى طواف الناس ، واقبل الامام زين العابدين ليؤدي طوافه
، فلما بصر به الحجاج غمرتهم هيئته التي تحكي هيبته جده رسول الله (ص) وتعالى
الاصوات

(٢٦) دعائم الاسلام ٢ / ١٨٨ .

(٢٧) دعائم الاسلام ٢ / ١٥٦ .

بالتهليل والتكبير ، وانفرج الناس له سماطين ، وكان السعيد من يراه ، والسعيد من يقبل يده ، ويلمس كتفه ، فانه بقية الله في ارضه ، وذهل اهل الشام ، وبهروا ، وتطلعت إليه أعناقهم وأبصارهم فان هشام المرشح للخلافة بعد أبيه مع ما احيط به من هالة التكريم من أهل الشام واحتفاف الشرطة به ، فانه لم ينل أي لون من الوان الحفاوة من الحجاج ، وبادر أحد اصحابه فقال له :

« من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة؟ »

وتميز هشام من الغيظ ، وانتفخت أوداجه فصاح بالرجل « لا اعرفه .. »
وإنما انكر معرفته للإمام مخافة أن يرغب فيه الناس ، وكان الفرزدق حاضرا ، فلم يملك أهابه فقال لاهل الشام :

« أنا اعرفه »

« من هو يا أبا فراس؟ »

وصاح هشام بالفرزدق قائلا :

« أنا لا أعرفه » « بلى تعرفه »

ونفض فانشد هذه الرائعة التي كانت أشد وقعا على هشام من ضرب السيوف وطعن الرماح قائلا :

هذا سليل حسين وابن فاطمة	بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها :	الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يرقى الى ذروة العز الذي قصرت	عن نيلها عرب الاسلام والعجم

يكداد يمسكه عرفان راحته
يغضي حياء ويغضي من مهابته
بكفه خيزران ريحها عبق
من جده دان فضل الأنبياء له
ينشق نور الهدى عن نور غرته
مشتقة من رسول الله نبعته
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
الله شرفه قدما وفضله
فليس قولك من هذا بضائره
كلتا يديه غياث عم نفعهما
حمال ائقال أقوام اذا فدحوا
لا يخلف الوعد ميمون نقييته
من معشر حبههم دين وبغضهم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
هم الغيوث إذا ما ازمة ازمت
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
يأبى لهم أن يحل النذل ساحتهم
أي الخلائق ليست في رقابهم
من يشكر الله يشكر أولية ذا

وثار هشام وود أن الارض قد خاست به ، ولا يسمع هذه القصيدة

العصماء التي دلت على واقع الامام العظيم ، وعرفته لاهل الشام الذين جهلوه وجهلوا آباءه ، وأمر بالوقت باعتقال الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة ، وبلغ ذلك الامام زين العابدين فبعث إليه باثني عشر الف درهم فردها الفرزدق ، واعتذر من قبولها ، وقال : إنما قلت فيكم غضبا لله ورسوله فردها الامام عليه فقبلها ، وجعل الفرزدق يهجو هشاما وكان مما هجاه به :

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعين له حواء باد عيوبها (*)

الحزن العميق :

ولم ينكب أحد في هذه الدنيا بمثل ما نكب به الامام زين العابدين ٧ فقد عانى أهوال كارثة كربلاء ، وشاهد فصول تلك المأساة الخالدة في دنيا الاحزان ، وكان مريضا قد ألمت به العلل والامراض ، وقد ادمت قلبه تلك المشاهد الحزينة فكانت تبعثه على الاستمرار في البكاء واللوعة ، وكان حزنه يزداد تحرقا وتأججا كلما تقدمت الايام حتى براه الحزن ، وبلغ من عظيم حزنه انه ما قدم له طعام ولا شراب إلا مزجه بدموع عينيه حزنا على أبيه (٢٨) وألح عليه بعض مواليه ان يخلد الى الصبر ويخفف لوعة المصاب فقال له : اني اخاف عليك أن تكون من الهالكين ، فاجابه الامام برفق ولطف قائلا :

« يا هذا إنما اشكو بثي وحزني الى الله ، واعلم ما لا تعلمون ، ان يعقوب كان نبيا فغيب الله عنه واحدا من اولاده وعنده اثنا عشر ولدا ، وهو يعلم أنه حي فبكى عليه حتى أبيضت عيناه من الحزن ، وأني نظرت

* نهاية الارب ٢١ / ٣٢٧ - ٣٣١ .

(٢٨) حياة الامام الحسين ٣ / ٣٢٧ .

إلى أبي وإخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟! واني لا أذكر
مصراع ابن فاطمة إلا خنقتني العبرة ، واذا نظرت الى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن يوم
الطف من خيمة الى خيمة ، ومناذي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين .. »
لقد كانت تلك المشاهد المفجعة التي تم تمثيلها على صعيد كربلا تبعثه على
الحزن والأسى حتى عد من البكائين الخمسة الذين مثلوا الحزن والبكاء على مسرح الحياة
في جميع الاحقاب والآباد.
وكان الامام الباقر (ع) ينظر الى هذا الحزن المرهق الذي حل بأبيه فيجزع كأشد ما
يكون الجزع وربما شاركه في بكائه ولوعته.

وصاياہ لولده الباقر :

وزود الامام العظيم ولده الباقر وسائر ابنائه بوصايا تربوية حفلت بالآداب العالية
والقيم الكريمة التي تضمن لمن عمل بها السلامة والراحة ، وتهيئ له جوا من الطمأنينة ،
والبعد عن مشاكل هذه الحياة .. وهذه بعضها :

١ . قال (ع) لولده الباقر : « يا بني لا تصحبن خمسة ، ولا تحادثهم ، لا تصحبن
الفاسق فانه يبيعك بأكلة فما دونها ، قلت : يا أبت وما دونها؟ قال : يطمع فيها ثم لا
ينالها ، ولا تصحب البخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، ولا تصحب الكذاب فانه
بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ، ويقرب منك البعيد ، ولا تصحب الاحمق فانه يريد أن
ينفعك فيضرك ، وقد قيل : عدو عاقل خير من صديق أحمق ، ولا تصحب قاطع رحم
فانه ملعون في كتاب الله في ثلاثة مواضع : في سورة محمد قال تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ
تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) (٢٩) وفي سورة الرعد حيث يقول تعالى : (وَالَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ). (٣٠)

وفي سورة الأحزاب حيث يقول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا .) (٣١) .. « (٣٢)

وقد حذر الامام (ع) في هذه الوصية من مزاملة هؤلاء الاشخاص المصابين في
اخلاقهم خوفا من انتقال امراضهم النفسية الى من يصحبهم فان للصحة أثرا فعلا في
تكوين السلوك الشخصي للفرد.

٢ . وأوصى (ع) ولده الامام الباقر بهذه الوصية القيمة قال له : « افعل الخير الى
كل من طلبه منك فان كان أهلا فقد أصبت موضعه ، وإن لم يكن باهل كنت أنت اهله ،
وان شتمك رجل عن يمينك ثم تحول الى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره ... » (٣٣).

وحفلت هذه الوصية بمكارم الاخلاق التي طبعت عليها نفوس أهل البيت (ع) فان
الحث على فعل الخير ، والصفح عن المسيء كل ذلك من ذاتياتهم ومن أبرز ما عرفوا به.

٣ . قال الامام الباقر (ع) : كان أبي علي بن الحسين يقول لولده :

« اتقوا الكذب الصغير منه ، والكبير في كل جد وهزل لأن الرجل اذا

(٢٩) سورة محمد : آية ٢٢ و ٢٣ .

(٣٠) سورة الرعد : آية ٢٥ .

(٣١) سورة الأحزاب : آية ٥٧ .

(٣٢) الاتحاف بحب الأشراف (ص ٥٠) .

(٣٣) تحف العقول (ص ٢٨٢) .

كذب في الصغير اجترأ على الكبير ... » (٣٤).

لقد ربي الامام (ع) ولده بمحاسن الاعمال وغرس في نفوسهم النزعات الشريفة ،
ونهاهم عن كل ما يوجب انحطاط الانسان في سلوكه.

٤ . وأوصى (ع) ولده الامام الباقر بهذه الوصية الرفيعة قال (ع) :

« يا بني العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والعقل ترجمان العلم ، واعلم أن
العلم ابقى ، اللسان أكثر هدرا ، وان اصلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين بهما اصلاح
شأن المعاش ملء مكتال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل (٣٥) لأن الإنسان لا يتغافل عن شيء قد
عرفه ففطن له ، واعلم أن الساعات تذهب عمرك ، وأنت لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى
وإياك والأمل الطويل فكم من مؤمل لا يبلغه ، وجامع مال لا يأكله ، ومانع مال سوف
يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه اصابه حراما وورثه واحتمل اصره ، وباء بوزره
وذلك هو الخسران المبين. » (٣٦)

هذه بعض وصاياه وقد حفلت بالآداب الرفيعة والحكم القيمة والتوجيه السليم ، ولم
يضعها لأبنائه فقط ، وإنما وضعها للناس جميعا على اختلاف قومياتهم وأديانهم.

أدعيته لولده :

أما أدعية الامام على وجه العموم فانها تمثل جانبا أصيلا ومشرقا من جوانب التربية
الاسلامية ، وهي من افضل الوسائل لتهديب النفوس ، وتقويم الاخلاق.
لقد رأى الامام العظيم الأمة . في عصره . قد غمرتها سحب قاتمة من التدهور الديني
والخلقي والاجتماعي فوضع أدعيته التي عرفت

(٣٤) وسائل الشيعة ٣ / ٢٣٢ .

(٣٥) أثرت هذه الكلمة الذهبية في كثير من المصادر الى الامام الباقر.

(٣٦) كفاية الأثر (ص ٣١٩) للخزاز.

با (السجادية) ليعالج بها الأمراض النفسية ، ويعيد للأمة ما فقدته من أرصدها الروحية والفكرية ، وهي من اثن الثروات الاسلامية بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة .
ان ادعية الامام (ع) تتفجر بالعلم والحكمة ، وتفيض بروح الايمان والاسلام ، وتمد الأمة بما تحتاجه من التعليم لضمان توازنها الاجتماعي والفردى ، .. وكان من بين ادعيته الشريفة هذا الدعاء الذي خص به ولده يقول (ع) : « اللهم ومنّ علي ببقاء ولدي ، وباصلاحهم لي ، وبامتاعي بهم ، الهى : امدد لي في اعمارهم ، وزد في آجالهم ، ورب لي صغيرهم ، وقولي ضعيفهم ، واصح لي أبدانهم واديانهم ، واخلاقهم ، وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كل ما عنيت به من أمرهم ، وادرر لي وعلى يدي ارزاقهم ، واجعلهم ابرارا اتقياء ، بصراء سامعين مطيعين لك ولأوليائك محبين مناصحين ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين آمين .

اللهم أشدد بهم عضدي ، وأقم بهم أودي ، وكثر بهم عددي ، وزين بهم محضري ، واحي بهم ذكري ، واكفني بهم في غيبي ، واعني بهم على حاجتي ، وأجعلهم لي محبين ، وعلى حديين مقبلين ، مستقيمين لي مطيعين غير عاصين ، ولا عاقين ولا مخالفين ، ولا خاطئين ، واعني على تربيتهم وتأديبهم ، وهب لي من لدنك معهم أولادا ذكورا ، واجعل ذلك خيرا لي ، واجعلهم لي عوناً على ما سألتك ، واعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ، فانك خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا ، ورغبتنا في ثواب ما أمرتنا ورهبتنا عقابه ، وجعلت لنا عدوا يكيدنا سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه اسكنته صدورنا ، واجريته مجاري دماننا ، لا يغفل ان غفلنا ، ولا ينسى ان نسينا ، يؤمننا عقابك ، ويخوفنا بغيرك ، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها ،

وان هممنا بصالح ثبطنا عنه ، يتعرض لنا بالشهوات ، وينصب لنا بالشبهات ... إن وعدنا كذبنا ، وإن منانا اخلفنا ، وإلا تصرف عنا كيده يضلنا وإلا تقنا خباله يستزلنا.

اللهم : فاقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده في المعصومين بك ... اللهم فاعطني كل سؤلي ، واقض لي حوائجي ، ولا تمنعني الاجابة ، وقد ضمنتها لي ، ولا تحجب دعائي عنك وقد امرتني به ... وامن عليّ بكل ما يصلحني في دنياي وآخرتي ما ذكرت منه وما نسيت ، أو أظهرت أو اخفيت ، أو اعلنت أو اسررت ، واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي اياك ، المنجحين بالطلب إليك غير الممنوعين بالتوكل عليك ، المعوذین بالتعوذ بك ، والراغبين في التجارة عليك ، المجارين بعزك ، الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك ، الواسع بجودك وكرمك ، المعزين من الذل بك ، والمجارين من الظلم بعد لك ، والمعافين من البلاء برحمتك ، والمغنين من الفقر بغناك ، والمعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتقواك ، والموفقين للخير والرشد والصواب بطاعتك ، والمحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك ، التاركين لكل معصيتك ، الساكنين في جوارك.

اللهم : اعطنا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك واعدنا من عذاب السعير واعط جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي في عاجل الدنيا وآجل الآخرة انك قريب مجيب ، سميع عليم ، عفو ، غفور ، رءوف رحيم ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .. » (٣٧)

(٣٧) الصحيفة السجادية دعاء (٢٥).

لقد وضع الامام العظيم مناهج التربية ، و اخلاق الاسلام بهذا الدعاء الشريف الذي هو من نفحات النبوة ، ومن عبقات الامامة ، ومن الصفحات المشرقة من تراث أهل البيت (ع) ، فقد عنى فيه الامام بتربية ابنائه تربية تقوم على تهذيب الاخلاق ، وتطهير النفوس من الزيف والآثام ... لقد دعا لهم بالصحة في الأديان ، والمعافة من اقرار ما حرمه الله ، ودعا لهم بالاستقامة والتوازن في سلوكهم ليكونوا قرة عين له ، وعونا له على شئون هذه الحياة ، ومن الطبيعي أن الأب إنما يسعد بولده فيما إذا استقامت اخلاقه وكان صالحا في هديه وسلوكه ، وأما إذا شذ عن ذلك فإنه يحول حياة أبويه الى جحيم لا تطاق.

في ذمة الخلود :

واجهد الامام العظيم نفسه في العبادة ، واخلص في طاعته لله كأعظم ما يكون الاخلاص ، فلم ير الناس مثله في تقواه وورعه ، وشدة تخرجه في الدين ... لقد كانت حياته مدرسة للتقوى ومدرسة للأيمان ، ومنطلقا للتهذيب والاصلاح ، وقد اكبره الناس أي اكبار لأنه بقية النبوة ، وبقية الله في أرضه ، فكان السعيد من يراه ، والسعيد من يحظى بمجالسته ، والحديث معه ، وشق ذلك على الامويين الذين كانوا من أحقد الناس على الأسرة النبوية ، فقد هالهم واقض مضجعهم اجماع الناس على اكباره وتحديثهم عن سعة علومه ومعارفه ، وذيوخ مثله التي تعنو لها الجباه ، وكان من اعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك فقد روى الزهري ان الوليد قال له : لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا ^(٣٨) واجمع رأي

(٣٨) حياة الامام علي بن الحسين (ص ٤٢٦).

هذا الخبيث الدنس على اغتيال الامام حينما آل إليه الملك والسلطان ، ونعرض فيما يلي الى ذلك مع ذكر الاحداث التي رافقت سم الامام.

سمه :

وقام الوليد بن عبد الملك بأخطر جريمة فى الاسلام ، فقد بعث سما قاتلا الى عامله على يثرب ، وأمره ان يدسه الى الامام (٣٩) ونفذ عامله ذلك ، وحينما سقى السم أخذ يعانى اقسى الآلام وأشدها ، وبقي حفنة من الايام على فراش المرض يبيث شكواه الى الله ، وتزاحم الناس على عيادته ، وهو (ع) يحمد الله ويشكره على ما رزقه من الشهادة على يد شرار بريته.

نصه على امامة الباقر :

وعبد (ع) بالامامة الى ولده الباقر ونص عليه يقول الزهري دخلت إليه عائدا فقلت

له :

« إن وقع من أمر الله ما لا بد منه ، فالى من نختلف بعدك؟ » فنظر الامام إليه

برفق وقال له :

« الى ابني هذا . واثار الى ولده الباقر . فانه وصي ووارثي وعيبة علمي ، هو معدن

العلم وبقاره .. »

« هلا أوصيت الى أكبر ولدك؟ .. »

« يا أبا عبد الله ليست الامامة بالكبير والصغر ، هكذا عهد إلينا

(٣٩) نور الابصار (ص ١٢٩) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ٢٣٣) الاتحاف بحب الاشراف (ص

٥٢) الصواعق المحرقة (ص ٥٣) جدول مصباح الكفعمي (ص ٢٧٦) .

رسول الله (ص) وهكذا وجدناه مكتوبا في اللوح والصحيفة .. «
« يا ابن رسول الله عهد إليكم نبيكم أن تكونوا الأوصياء بعده؟ .. »
« وجدنا في الصحيفة واللوح اثني عشر اسما مكتوبة في اللوح امامتهم واسماء
آبائهم وامهاتهم ، ثم قال : ويخرج من صلب محمد ابني سبعة من الاوصياء منهم المهدي
.. » (٤٠)

ودخل عليه جماعة من اعلام شيعته فدلهم على امامة ولده الباقر ، ونصبه مرجعا
وعلما لأمة جده ، ثم دفع إليه سफطا وصندوقا فيه مواريث الأنبياء ، وكان فيه سلاح رسول
الله (ص) وكتبه (٤١).

وصيته لولده الباقر :

وعهد الامام زين العابدين (ع) الى وصيه وسيد ولده الامام الباقر (ع) بما أهمه
وكان من جملة ما أوصى به .

١ - إنه قال له : اني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة لم أفرعها بسوط ، فاذا
نفقت فادفنها ، لا تأكل لحمها السباع ، فان رسول الله (ص) قال : ما من بغير يوقف
عليه موقف عرفه سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة ، وبارك في نسله ، ونفذ الامام
الباقر ذلك (٤٢).

٢ - إنه أوصاه بهذه الوصية القيمة التي تكشف عن الجوانب المشرقة من نزعات
أهل البيت (ع) فقد قال له : « يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ،
فقد قال لي : يا بني إياك وظلم من لا يجد

(٤٠) كفاية الأثر للخزاز ، اثبات الهداة ٥ / ٢٦٤ .

(٤١) بصائر الدرجات (ص ١٤٦) اثبات الهداة ٥ / ٢٦٨ .

(٤٢) محاسن البرقي ٢ / ٦٣٥ .

عليك ناصرًا إلا الله» (٤٣).

٣ - إنه عهد إليه ان يتولى غسله وتكفينه (٤٤) وسائر شئونه حتى يواريه في مقبره الأخير.

الى الرفيق الأعلى :

وثقل حال الامام ، واشتد به النزع ، وقد أخبر أهل بيته أنه في غلس الليل سوف ينتقل الى جنة المأوى ، وقد اغمي عليه ثلاث مرات فلما أفاق قرأ سورة (الواقعة) وسورة (إنا فتحنا) ثم قال (ع) : « الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الجنة نتبؤا منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين .. » (٤٥).

ثم ارتفعت تلك الروح العظيمة الى بارئها كما ترتفع أرواح الأنبياء والمرسلين ، تحفها ملائكة الرحمن ، وتحفها الطاف الله وتحياته ورضوانه. لقد سمت روحه الى جنة المأوى بعد أن أضاءت آفاق هذا الكون ، وأشرقت بها عوالم الدنيا ، وذلك بما تركته من سيرة ندية يهتدى بها الحائر ، ويرشد بها الضال.

تجهيزه :

وقام الامام أبو جعفر بتجهيز جثمان أبيه فغسل جسده الطاهر ، وقد رأى الناس مواضع سجوده كأنها مبارك الأبل من كثرة سجوده لخالقه ، ونظروا الى عاتقه كأنه مبارك الأبل أيضا ، فسألوا الباقر عن ذلك فأخبرهم

(٤٣) الخصال (ص ١٨٥) الامالي (ص ١٦١).

(٤٤) الخرائج (ص ٢٠).

(٤٥) روضة الكافي.

أنه من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه ويضع فيه الطعام ويوزعه على الفقراء والمحرومين.

وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه ، وصلى عليه الصلاة المكتوبة.

تشبيعه :

وشيع الامام بتشيع حافل لم تشهد له يثرب نظيرا ، فقد شيعه البر والفاجر وبكاه الناس جميعا ، فقد فقدوا بموته الخير الكثير ، وفقدوا تلك الروحانية التي لم يخلق لها مثيل ، وقد ازدحم الناس على الجثمان المقدس فالسعيد من يحظى برفعه ، ومن الغريب ان سعيد بن المسيب أحد الفقهاء السبعة في المدينة لم يفز بتشيع الامام والصلاة عليه ، وانكر عليه حشرم مولى اشجع ، فقال له سعيد : أصلي ركعتين في المسجد أحب الي من ان اصلي على هذا الرجل الصالح في البيت الصالح^(٤٦) وقد حرم سعيد من الفوز بتشيع الامام الذي هو اتقى انسان خلقه الله بعد آبائه الطاهرين.

في مقره الأخير :

وجيء بالجثمان العظيم في وسط هالة من التكبير والتحميد الى بقيع الغرقد فحفروا له قبرا بجوار قبر عمه الزكي الامام الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة ، وأنزل الامام الباقر جثمان أبيه فواراه في مقره الأخير ، وقد وارى معه البر والتقوى والحلم ، ووارى روحانية الأنبياء والملتقين.

وبعد الفراغ من دفنه هرع الناس نحو الامام الباقر (ع) وهم يرفعون له تعازيهم الحارة ويشاركونه في لوعته واساه ، والامام مع أخوته وسائر بني هاشم يشكرونهم على ذلك. وانصرف الامام أبو جعفر (ع) إلى بيته بعد أن وارى أباه في بقيع

(٤٦) رجال الكشي (ص ٧٦).

الغرق وهو غارق في البكاء ، وقد احتف به بنو هاشم ، وابناء الصحابة ، وسائر وجوه المسلمين وهم يذرفون الدموع على الامام زين العابدين ، ويعددون مزاياه ومآثره ، ويذكرون بمزيد من الأسى والخسارة العظمى التي منى بها المسلمون بفقده.

وقد تسلم الامام الباقر (ع) بعد وفاة أبيه القيادة الروحية والمرجعية العامة للعالم الاسلامي ، فقد انتقلت إليه الامامة ، والزعامة الدينية عند الشيعة (٤٧) ، وأخذ منذ تلك اللحظة ينشر العلم ، ويلقى على العلماء الدروس الخاصة في شئون الشريعة الاسلامية واحكام الدين.

وقد عاش الامام الباقر (ع) في كنف أبيه (٣٩ سنة) حسبما ذكره أكثر المؤرخين (٤٨) وقد وهم المستشرق روابت م. رونلدس حيث ذكر ان عمره حينما انتقلت إليه الامامة كان (١٩ سنة) (٤٩) فان ذلك نشأ من قلة التتبع وعدم التثبت في شئون التاريخ الاسلامي.

اسطورة :

من الموضوعات ما رواه ابن عساكر في تأريخه بأسناده عن محمد بن جعفر السامري قال ما نصه : سمعت أبا موسى المؤدب يقول : قال قيس ابن النعمان : خرجت يوما الى بعض مقابر المدينة فاذا أنا بصبي جالس عند قبر بيكي بكاء شديدا ، وإن وجهه ليلقي شعاعا من نور فأقبلت

(٤٧) العقد الفريد ٥ / ٢٠٤ .

(٤٨) جاء في تاريخ الأئمة (ص ٥) لابن أبي الثلج البغدادي انه اقام مع أبيه (٣٥ سنة) إلا شهرين.

(٤٩) عقيدة الشيعة (ص ١٢٣) .

عليه ، فقلت : أيها الصبي ما الذي اعقلت له من الحزن حتى افردك بالخلوة في مجالب الموتى والبكاء على أهل البلاء ، وأنت بغرارة^(٥٠) الحداثة مشغول عن اختلاف الأزمان ، وحنين الأحران؟! فرفع الصبي رأسه ، وطأطأه واطرق ساعة لا يحيد جوابا ثم رفع رأسه وهو يقول :

ان الصبي صبي العقل لا صغر ازرى بذي العقل فينا لا ولا كبر
ثم قال لي : يا هذا إنك خلي الذرع من الفكر ، سليم الاحشاء من الحرقة ، آمنت تقارب الأجل بطول الأمل ، ان الذي أفردني بالخلوة في مجالب أهل البلاء يذكرني قول الله عز وجل « إذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » فقلت : بأبي أنت وأمي من أنت؟ فاني لأسمع كلاما حسنا ، فقال : إن من شقاوة أهل البله قلة معرفتهم بأولاد الأنبياء ، أنا محمد بن علي بن الحسين ، وهذا قبر ابي فأني انس أنس من قربه؟ وأي وحشة تكون معه؟ ثم أنشأ يقول :

ما غاض دمعي عند نازلة إلا جعلت لها البكا سببا
إنني احل ثرى حللت به من أن أرى بسواك مكتوبا
فاذا ذكرتك سانحتك به من الدموع اذا ما فاض فأنسكبا
قال قيس : فانصرفت ، وما تركت زيارة القبور منذ ذاك^(٥١) والذي يدل على وضع هذه الرواية انها ذكرت ان الامام كان صبيا بعد وفاة أبيه ، ومما اجمع عليه المؤرخون ان عمره الشريف في ذلك الوقت كان تسعا وثلاثين سنة مع أن التأمل في فصولها يوحي بانها من الموضوعات.

(٥٠) الغرارة : هي الحداثة في السن.

(٥١) تأريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ - ٤٥ .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الامام محمد الباقر في ظلال جده وأبيه ، وقد ورث
منهما أجل ما تورثه الاصول للفروع ، فقد ورث منهما العلم والحكمة وفصل الخطاب.

اخوته وابناؤه

أما البحث عن شئون السادة من أخوان الامام الباقر وابنائهم ، ومدى علاقتهم معه فإنه ضروري حسب الدراسات الحديثة لأنه يكشف جانبا من جوانب حياته في ظلال أسرته التي تعد من المكونات التربوية للشخص . حسبما يقول علماء التربية . وفيما يلي ذلك .

أخوته :

أما علاقة الامام بأخوته فقد كانت وثيقة للغاية تسودها المحبة والألفة واجتناب هجر الكلام ومره ، وقد قيل له :

« أي اخوانك أحب إليك؟ »

فأجاب (ع) أنه لا يفرق بينهم ، وأنه يكن لهم جميعا اعظم المودة والاخلاص قائلا :

« أما عبد الله فيدي التي ابطش بها ^(١) واما عمر فبصري الذي ابصر به ، وأما زيد فلساني الذي انطق به ، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما .. » ^(٢) .

لقد توفرت في اخوان الامام (ع) جميع النزعات الكريمة من الورع والتقوى ، والصلاح ، قد غداهم أبوهم الامام زين العابدين (ع) بهديه ، وأفاض عليهم أشعة من روحه فأنارت قلوبهم بجوهر الاسلام وواقع الايمان ، ونقدم عرضا موجزا لبعض شئونهم :

زيد الشهيد :

أما زيد الشهيد فهو ملئ فم الدنيا في فضله وعلمه وشممه وإبائه ،

(١) عبد الله : هو أخو الامام الباقر لأمه وأبيه .

(٢) سفينة البحار ٢ / ٢٧٣ .

وهو أحد أعلام الأسرة النبوية الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض ، وقدموا أرواحهم قرايين خالصة لوجه الله ليحققوا العدالة الاسلامية ، ويعيدوا بين الناس حكم القرآن ، ويقضوا على معالم الظلم الاجتماعي التي أوجدها الحكم الاموي بين الناس ، ونلمع الى بعض سيرته وشئونه.

ولادته :

كانت ولادة زيد الشهيد سنة (٧٨ هـ)^(٣) وقيل سنة (٧٥ هـ)^(٤) ولما بشر به أبوه الامام زين العابدين (ع) أخذ القرآن الكريم وفتحته متفائلا به فخرجت الآية الكريمة (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ**)^(٥) فطبقه وفتحته ثانيا فخرجت الآية (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)^(٦) وطبق المصحف ثم فتحه فخرجت الآية (**وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ**)^(٧) وبهر الامام وراح يقول :

« عزيت عن هذا المولود وانه لمن الشهداء .. »^(٨)

لقد تنبأ الامام (ع) بشهادة ولده واحاط أصحابه علما بها ، فلم يخامرهم شك في ذلك.

(٣) تهذيب ابن عساكر ٦ / ١٨ .

(٤) الحدائق الوردية ١ / ١٤٣ .

(٥) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٦) سورة آل عمران : آية ١٦٩ .

(٧) سورة النساء : آية ٩٥ .

(٨) الروض النضير ١ / ٥٢ .

نشأته :

نشأ زيد في بيوت النبوة والامامة ، وتغذى بلباب الحكمة ، فكان أبوه الامام زين العابدين الذي هو أفضل انسان في عصره يتعاهده بالآداب ، ويرسم له طرق الهداية والخير ، فتأثر بسلوكه ، وانطبع في دخائل نفسه نزعاته المشرقة ، فكان البارز من صفاته . فيما يقول المؤرخون . الزهد والورع ، والتخرج في الدين ، فلم يتبع قيادة نفسه وإنما أثر رضا الله وطاعته على كل شيء.

وقد لازم منذ نعومة اظفاره أخاه الامام الباقر الذي هو خليفة أبيه ووصيه ، ووارث علومه ، ومن الطبيعي ان لهذه الصحبة أثرا فعالا في سلوكه وتكوين شخصيته ، فقد كان في هديه يضارع هدي آباءه الذين طهرهم الله من الرجس والزيغ وأبعدهم عن مآثم هذه الحياة.

عبادته وتقواه :

وأخلص زيد في العبادة والانابة لله ، فكان من أبرز المتقين في عصره يقول عاصم بن عبيد العمري : « رأيتته وهو شاب بالمدينة يذكر الله فيغشى عليه ، حتى يقول القائل ما يرجع الى الدنيا »^(٩) وكان يعرف عند أهل المدينة بحليف القرآن^(١٠) وقد أثر السجود بوجهه^(١١) لكثرة صلاته طوال الليل^(١٢) لقد اتجه بعواطفه ومشاعره نحو الله ، وسلك

(٩) مقاتل الطالبين (ص ١٢٨).

(١٠) مقاتل الطالبين (ص ١٣٠).

(١١) مقاتل الطالبين (ص ١٢٨).

(١٢) الخرائج والجرائح (ص ٣٢٨).

كل ما يقربه إليه زلفى .

علمه وأدبه :

وكان زيد من علماء عصره البارزين ، وكان موسوعة في الحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب ، وعلم الكلام ، وقد سأل جابر الامام الباقر (ع) عن زيد فأجابه (ع) « سألتني عن رجل ملئ ايمانا وعلما من أطراف شعره الى قدمه . »^(١٣).

وقال (ع) فيه : « ان زيدا أعطي من العلم بسطة »^(١٤) وقد تحدث زيد عن سعة علومه ومعارفه حينما أعد نفسه لقيادة الأمة ، والثورة على الحكم الأموي ، يقول : « والله ما خرجت ، ولا قمت مقامي ، هذا ، حتى قرأت القرآن ، وأتقنت الفرائض واحكمت السنة والآداب ، وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل ، وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ، والخاص والعام ، وما تحتاج إليه الأمة في دينها مما لا بد لها منه ، ولا غنى عنه وأني لعلى بينة من ربي ... »^(١٥).

لقد كان زيد من اعلام الفقهاء ومن كبار رواة الحديث ، وقد أخذ علومه من أبيه الامام زين العابدين (ع) ومن أخيه الامام الباقر (ع) الذي بقر العلم حسبما أخبر عنه جده الرسول (ص) وقد غذياه بانواع العلوم وأخذ عنهما أصول الاعتقاد والفروع والتفسير ، فكان من الطراز الأول في فضله وعلمه ...

(١٣) مقدمة مسند الامام زيد (ص ٨).

(١٤) مقدمة مسند الامام زيد (ص ٧).

(١٥) الخطط والآثار للمقرئبي ٢ / ٤٤٠ .

وإن من أوهى الأقوال ما ذهب إليه الشهرستاني من انه تتلمذ لواصل بن عطاء واخذ عنه الاعتزال يقول : « أراد . يعني زيدا . أن يحصل الاصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الاصول لواصل بن عطاء رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب (ع) في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان علي يقين من الصواب ، وإن أحد الفريقين منهما كان علي خطأ لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال .. » (١٦)

أما هذا الرأي فلا يحمل أي طابع من التوازن والتحقيق فان زيدا لم يقتبس علومه من واصل ، وإنما أخذها من أبيه وأخيه اللذين أضاءا الحياة الفكرية والعلمية في الاسلام. وقد استمد الفقهاء ورؤساء المذاهب الاسلامية علومهم مما أخذوه من أئمة اهل البيت (ع) أما مباشرة او من أحد تلامذتهم ، فكيف يذهب زيد الى واصل (١٧) لأخذ العلم عنه؟ ويذهب الشيخ أبو زهرة الى ان التقاء زيد بواصل كان التقاء مذاكرة وليس التقاء تلميذ عن استاذ فان السن متقاربة ، وزيد كان ناضجا ... واضاف قائلا : إنه تلقى فروع

(١٦) الملل والنحل المطبوع على هامش الفصل ٢ / ٢٠٨ .

(١٧) كان واصل بن عطاء الثغ قبيح اللثغة في الرء ، فكان يخلص كلامه من الرء وفيه يقول الشاعر :
ويجعل البر قمحا في تصرفه وخالف الرء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله فعاد بالغيث اشفاقا من المطر
جاء ذلك في وفيات الاعيان ٥ / ٦٠ .

الاحكام من أسرته ، وفي المدينة مهد علم الفروع^(١٨).

لقد أخذ زيد علومه من أبيه وأخيه ، وكان من اعلام الفقهاء في عصره وقد روى عنه أبو خالد الواسطي مجموعة في الفقه تتناول العبادات والمعاملات اسمها (مسند الامام زيد) وقد ذكرنا ما يواجه هذا الكتاب من المؤخذات في دراستنا عن عقائد الزيدية^(١٩).
أما مكانة زيد الأدبية فقد كان من الطراز الأول في الأدب والبلاغة وكان يشبه جده الامام أمير المؤمنين (ع) في فصاحته وبلاغته^(٢٠) ويقول المؤرخون : إنه جرت بين زيد وبين جعفر بن الحسن منازعة في وصية فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد فاذا انفصلا وتفرق الناس فيكتبون ما قالاه : ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض والنادر من الشعر والسائر من المثل وكانا أعجوبة دهرهما واحدوثة عصرهما^(٢١) وكان سيبويه يحتج بما أثر عن زيد من الشعر ، ويستشهد به فيما يذهب إليه واعترف خصمه الطاغية هشام بقدراته الأدبية ، وبراعته في الكلام فقال : « إنه حلو اللسان ، شديد البيان ، خليق بتمويه الكلام »^(٢٢) وقد حفلت مصادر الأدب والتاريخ

(١٨) الامام زيد (ص ٢٢٥) لمحمد أبو زهرة.

(١٩) طبع بعض هذا الكتاب في المسائل الدينية التي تصدر في كربلا والبعض الآخر لا يزال مخطوطا.

(٢٠) الحدائق الوردية ١ / ١٤٤ .

(٢١) زهر الآداب ١ / ٨٧ .

(٢٢) تأريخ يعقوبي ٢ / ٣٩٠ .

بالشيء الكثير من روائع حكمه وهي من غرر الكلام العربي.

اكبار الامام الباقر لزيد :

وكان الامام الباقر (ع) يجعل أخاه زيدا ويكبره ، ويحمل له في دخائل نفسه أعمق الود ، وخالص الحب لأنه من افذاذ الرجال ، وصورة حية للبطولات النادرة ، وقد روى المؤرخون صوراً من ألوان ذلك الود والاكبار ، وهذه بعضها :

١ - إنه قال له : « لقد انجبت أم ولدتك يا زيد ، اللهم اشدد ازري بزيد » (٢٣) وهذا يدل على مدى إكبار الامام وتعظيمه لزيد.

٢ - روى سدير الصيرفي قال : كنت عند أبي جعفر الباقر (ع) فدخل زيد بن علي فضرب أبو جعفر على كتفه وقال له : « هذا سيد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه » (٢٤) ودل ذلك على دعوة الامام الى نصرته والذب عنه ، والحكم بشرعية ثورته.

٣ - روى المؤرخون عن رجل من بني هاشم قال : كنا عند محمد بن علي بن الحسين وأخوه زيد جالس فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمد بن علي : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر فكيف قال الانصاري لأخيه؟ فانشده :

لعمرك ما أن أبو مالك بـوان ولا بضـعيف قـواه
ولا بألـد لـه نـازع يعادي أخاه اذا ما نهاه

(٢٣) عمدة الطالب ٢ / ١٢٧ من مصورات مكتبة الامام الحكيم تسلسل ٤٢ .

(٢٤) عمدة الطالب ٢ / ١٢٧ ، غاية الاختصار (ص ٣٠) .

ولكنه غير مخالفه كريم الطبايع حلو نثاه (٢٥)
وإن سـدته سـدت مطواعه ومهما وكلت إليه كفاه
فوضع أبو جعفر يده على كتف زيد وقال له :

« هذه صفتك يا أخي واعيدك بالله أن تكون قتيل العراق » (٢٦).

ومعنى هذه الأبيات التي وصف بها الامام أخاه أنه كان قوي الشكيمة صلب الارادة ، ماضي العزيمة ، وانه منقاد لأخيه ، كريم في طبائعه ، وإنه مهما وكل إليه من أمر عظيم فإنه اهل للقيام به ، ولا يتصف بهذه الصفات إلا أفذاذ الناس ، وعمالقة الدهر .
لقد اضفى الامام (ع) على أخيه اسمى النعوت ، ومنحه وده الخالص ، ولم يكن بذلك مدفوعا بدافع الأخوة فان مقامه الروحي بعيد كل البعد من الاندفاع وراء العواطف والرغبات ، وإنما رأى أخاه من أروع صور التكامل الانساني فمنحه هذا اللون من الود والتكريم.

مع هشام بن عبد الملك :

وعرف هشام بن عبد الملك بالحقده على الأسرة النبوية ، والبغض لها ، وقد عهد للمباحث ورجال الأمن بمراقبة العلويين والتعرف على تحركاتهم والوقوف على نشاطاتهم السياسية ، وقد احاطته استخباراته علما بسمو مكانة زيد ، وأهمية مركزه الاجتماعي ، وما يتمتع به من القابليات الفذة التي اوجبت احتفاف الجماهير حوله ، وتطلعهم الى حكمه ، وأخذ هشام يبغى له الغوائل ويكيد له في غلس الليل وفي وضح النهار ، وعهد الى عامله على يثرب بأشخاصه إليه ، ولما شخص الى دمشق حجبه عنه

(٢٥) وفي رواية (حلو نثاه).

(٢٦) زهر الآداب ١ / ١١٨ .

مبالغة في توهينه والاستهانة به ، وقد احتف به أهل الشام لما رأوا ما اتصف به من سمو الخلق ، وبلغ النطق وقوة الحججة ، والتحرج في الدين ، وبلغ ذلك هشاما فتميز من الغيظ فاستشار بعض مواليه ، وطلب منه الرأي للحط من شأنه وتوهينه أمام أهل الشام فأشار عليه أن يأذن للناس اذنا عاما ، ويحجب زيدا ثم يأذن له في آخر الناس فاذا دخل عليه وسلم فلا يرد عليه سلامه ولا يأمره بالجلوس ، وحسب أن ذلك موجب للحط من شأنه والتوهين بشخصيته وفعل هشام ذلك ، فلما دخل زيد وسلم لم يرد عليه سلامه فثار زيد في وجهه . فيما يقول بعض المؤرخين . وخاطبه بعنف قائلا :

« السلام عليك يا أحول فانك ترى نفسك أهلا لهذا الاسم ... »^(٢٧) ونسفت هذه الكلمات جبروت الطاغية ، واطاحت بغلوائه ، فصاح بزید : « بلغني أنك تذكر الخلافة ، وتتمناها ، ولست أهلا لها ، وأنت ابن أمة .. »

وانبرى زيد يسخر منه ، ويدلي بحجته في تفنيد قول هشام قائلا : « ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم اسماعيل أمة لأم اسحاق فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا ، وجعله أبا للعرب ، وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمد (ص) ... »^(٢٨).

وفقد هشام توازنه امام هذا المنطق الفياض ، وسرت الرعدة في أوصاله فراح يتهجم على الامام محمد الباقر (ع) فقال له :

« ما يصنع أخوك البقرة؟ .. »

(٢٧) تهذيب ابن عساکر ٦ / ٢٢ .

(٢٨) الكامل لابن الأثير ٥ / ٨٤ .

ولا يلجأ الى هذا المنطق الرخيص إلا كل جاهل يعوزه الدليل ، والبرهان وشعر زيد
بألم حينما سب أخاه فالتفت الى الطاغية قائلاً :

« سماه رسول الله الباقر ، وتسميه البقرة ، لشد ما اختلفتما لتخالفنه في الآخرة كما
خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار .. » (٢٩)

وزعزت هذه الكلمات عرش الطاغية وبرزته امام أهل الشام كأقذر مخلوق لا
يستحق أن يكون شرطياً فكيف يكون خليفة على المسلمين؟ مع مخالفته لرسول الله
(ص)؟ وفقد هشام صوابه فصاح بجلاوزته ان يخرجوا زيدا من مجلسه (٣٠) وخرج زيد وقد
ملئ قلب هشام غيظا والما ، وراح الطاغية يقول لأسرته :

« ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا ، لا لعمرى ما انقرض قوم هذا خلفهم
... » (٣١)

وخرج زيد وقد امتلأت نفسه حماسا وعزما على اعلان الثورة على الحكم الأموي
الذي كفر بجميع القيم الانسانية واستهان بكرامة الناس ، وقد أعلن زيد شرارة الثورة بكلمته
الخالدة التي اصبحت شعارا للثوار ونشيدا لهم على الخوض في ميادين الكفاح والنضال
قائلاً :

« ما كره قوم حر السيوف إلا ذلوا .. »

وقد جرت هذه المقابلة بين زيد وبين هشام في حياة الامام الباقر (ع) ولم تشر
المصادر التي بايدينا الى السنة التي وقعت فيها وعلى أي حال فمنذ تلك اللحظة عزم زيد
على الثورة ، والقيام بمناهضة الحكم الأموي ،

(٢٩) شرح النهج ١ / ٣١٥ ، عمدة الطالب (ص ٨٣) .

(٣٠) الكامل ٥ / ٨٤ .

(٣١) عمدة الطالب .

يقول بعض شيعته دخلت عليه فسمعته يتمثل بقول الشاعر :

ومن يطلب المجد للمنع بالقنا يعيش ماجدا أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم
وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا آل همدان ظالم^(٣٢)
ودل هذا الشعر على تصميمه على الثورة ، والخوض في ميدان الكفاح المسلح
ليعيش ماجدا كريما تجتنبه المظالم ، ويصد عنه كيد المعتدين ... لست أيها الثائر العظيم
ظالما ولا باغيا وإنما أنت منقذ ومحرر للأمة العربية والاسلامية من الظلم والجور
والاستبداد.

مشروعية الثورة :

والشيء المحقق ان زيدا لم يفجر ثورته الكبرى أشرا ولا بطرا ، ولا ظالما ، ولا
مفسدا ، وإنما كان يبغي وجه الله ، ويلتمس الدار الآخرة ، فقد رأى ظلما شائعا ، وجورا
شاملا ، ورأى حكام بني أمية لم يبقوا لله حرمة إلا انتهكوها ، فخرج داعيا الى الله ، وطالبا
بالحق ، يقول الرواة : إنه لما ازمع على الخروج جاءه جابر بن يزيد الجعفي فقال له : إني
سمعت أباك أبا جعفر يقول : إن أخي زيد بن علي خارج ومقتول ، وهو على الحق ،
فالويل لمن خذله ، والويل لمن حاربه ، والويل لمن يقتله ، فقال له زيد :
« يا جابر لم يسعن أن أسكت ، وقد خولف كتاب الله تعالى ، وتحوكم بالجبت
والطاغوت ، وذلك اني شاهدت هشاما ، ورجل عنده يسب رسول الله (ص) فقلت :
للساب ، ويلك يا كافر اما اني لو تمكنت منك

(٣٢) مقاتل الطالبين (ص ١٢٩) .

لاختطفتم روحك وعجلتكم الى النار ، فقال لي هشام : مه جليسننا يا زيد ، فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه ، وجاهدته حتى افنى .. » (٣٣)

وأثنى الامام أبو عبد الله الصادق (ع) على عمه ثناء عاطرا ، ومجد ثورته الاصلاحية فكان فيما يقول الرواة : قد قال لاصحابه : لا تقولوا : خرج زيد ، فان زيدا كان عالما ، وكان صدوقا ، ولم يدعكم الى نفسه ، إنما دعاكم الى الرضا من آل محمد (ع) ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه انما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه (٣٤) وقد دفع (ع) الى عبد الرحمن بن سيابة ألف دينار وأمره أن يقسمها في عيال من أصيب مع زيد (٣٥).

ولو كانت الثورة غير مشروعة لما صنع ذلك فان شأنه أسمى من أن يندفع وراء التيارات العاطفية.

وشجبت بعض الروايات ثورة زيد ، ووسمتها بأنها غير مشروعة إلا ان سيدنا الاستاذ الامام الخوئي قد عرض (٣٦) إليها فأثبت ان سندها ضعيف لا يمكن التعويل عليها في الطعن بشخصية زيد وثورته.

وعلى أي حال فقد أحدثت ثورة زيد تحولا اجتماعيا وفكريا في المجتمع الاسلامي وهيأته الى الثورة على الحكم الأموي فلم تمر إلا سنين يسيرة

(٣٣) تيسير المطالب (ص ١٠٨ - ١٠٩) .

(٣٤) روضة الكافي .

(٣٥) الأمالي للمجلسي ٥٤ .

(٣٦) معجم رجال الحديث ٧ / ٣٥٠ - ٣٥٨ .

وإذا بالرايات السود تخفق في خراسان ، وهي تزحف الى احتلال الاقاليم الاسلامية ، وتطهرها من عملاء السلطة الاموية حتى اطاحت بالعرش الأموي ، وقضت على معالم زهوه وجبروته.

الثورة الكبرى :

وثار زيد على الحكم الأموي بوحي من عقيدته التي تمثل روح الاسلام وهديه ، فقد رأى باطلا يحيى ، وصادقا يكذب ، وأثرة بغير تقى ، ورأى جورا شاملا ، واستبدادا في أمور المسلمين فلم يسعه السكوت ، يقول بعض شيعته : خرجت معه الى مكة فلما كان نصف الليل ، واستوت الثريا قال لي :

« أما ترى هذه الثريا؟ أترى أحدا ينالها؟ ... »

« لا ».

« والله لوددت أن يدي ملصقة بها فاقع الى الارض أو حيث أقع فاتقطع قطعة قطعة ، وان الله يصلح بين أمة محمد (ص) ... » (٣٧)

ودل حديثه على مدى نزعته الاصلاحية واخلاصه العظيم لأمة جده (ص) وتفانيه في سبيل الاصلاح العام.

وروى عيسى بن عبد الله عن جده محمد بن عمر بن علي (ع) قال : كنت مع زيد بن علي حين بعث بنا هشام الى يوسف بن عمر ، فلما خرجنا من عنده ، وسرنا حتى كنا بالقادسية قال زيد : اعزلوا متاعي عن أمتعتكم ، فقال له ابنه : ما تريد أن تصنع؟ قال : أريد أن ارجع الى الكوفة ، فو الله لو علمت أن رضى الله عز وجل عني في أن أقدح ناراً

(٣٧) مقاتل الطالبين (ص ١٢٩).

بيدي حتى اذا اضطرت رميت نفسي فيها لفعلت!! ولكن ما أعلم شيئاً ارضى لله عز وجل
عني من جهاد بني أمية (٣٨).

إنه لم يفجر ثورته الكبرى طمعا بالخلافة والملك ، وإنما كان يبغي وجه الله والدار
الآخرة ، وقد رأى أن مناهضة أولئك الظالمين من اعظم ما يقربه الى الله.

ويمم زيد وجهه نحو الكوفة لأنها المركز العام للشيعة ، وان أهلها طلبوا منه القدوم
إليهم ليأخذ منهم البيعة على مناهضة الحكم الاموي والاطاحة به ، ويقول المؤرخون إن
جماعة من المخلصين لزيد حذروه من القدوم الى الكوفة ، وعذلوه من الوثوق بالكوفيين
لما عرفوا به من الغدر ونقض العهود إلا انه لم يعن بذلك فانه لم يجد موطناً تتوفر فيه
الإستراتيجية للثورة سوى الكوفة ، وجعل زيد يتمثل بقول عنتر العبسي :

بكرت تخوفني المنون كأنني اصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها أن المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل (٣٩)

ودل هذا الشعر على عزمه وتصميمه على الخوض في ميادين الكفاح المسلح ، وانه
يسعى بكل جرأة واقدام ليحتسي كأس المنية ولا يعيش ذليلاً مضاماً شأنه شأن جده الامام
الحسين سيد الاحرار والأبوة في الاسلام.

ولما انتهى زيد الى الكوفة بادر أهلها إليه فرحبوا به ترحيباً حاراً ، وأسرعوا إليه
يباعونه حتى بلغ عدد المبايعين خمسة عشر الفا ، وقيل أكثر من ذلك وباعه الفقهاء
والقضاة واعلام الفكر والأدب كالأعمش ، وسعد

(٣٨) تيسير المطالب (ص ١٠٨ - ١٠٩) .

(٣٩) الروض النضير ١ / ٧٥ .

ابن كدام ، وقيس بن الربيع والحسن بن عماره وغيرهم^(٤٠) وسئل ابو حنيفة عن خروج زيد فقال : « ضاهى خروج رسول الله (ص) يوم بدر » وقال : « لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه أمام بحق ، ولكن اعينه بمال »^(٤١).

أما صيغة البيعة التي أخذها زيد على من بايعه فهي : « إنا ندعوكم الى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفياء بين أهلهم ، ورد المظالم ، ونصرة أهل الحق ... »^(٤٢).

وتعطي هذه الصيغة صورة عن المبادئ الاصلية التي ثار من أجلها زيد وهي :

١ . الدعوة الى احياء كتاب الله ، وسنة نبيه ، فقد اقتصتهما السياسة الأموية عن واقع الحياة.

٢ . جهاد الظالمين من حكام بني أمية الذين ساسوا المسلمين بالظلم والجور وارغموهم على ما يكرهون.

٣ . الدفاع عن حقوق المستضعفين ، وتوفير العطاء للمحرومين ، فقد حرّموا من جميع حقوقهم الشرعية طيلة الحكم الأموي.

٤ . قسمة الفياء ، وسائر الحقوق المالية على المسلمين بالسواء ، فقد نهبها الامويون ، وانفقوها على ملاذهم ورغباتهم الخاصة.

٥ . نصرة دعاة الحق الذين يعنون بشئون الأمة ، ويسهرون على

(٤٠) مقاتل الطالبين.

(٤١) الكامل ٥ / ٥٦ .

(٤٢) مقاتل الطالبين.

صالحها ، وهم الهداة من أهل البيت (ع).
لقد ثار زيد من أجل أن يحقق هذه الاهداف العظيمة في ربوع الوطن الاسلامي
الكبير ، وينقذ الأمة من عسف الامويين وظلمهم وبطشهم.
وبعد ما توفرت لزيد القوة العسكرية الهائلة التي يبلغ عددها . فيما يقول بعض
المؤرخين . أربعين الفا ، رأى أن يفجر الثورة ، ويزحف بجيوشه الى احتلال الكوفة
والاطاحة بالحكم الأموي.
وانطلقت جيوشه من جبانة سالم^(٤٣) وهي تهتف بجماعة زعيمها العظيم زيد وسقوط
الحكم الاموي ، وتنادي بشعار الشيعة « يا منصور امت »^(٤٤) ولما رأى زيد الرايات
تخفق على رأسه قال : « الحمد لله الذي هداني والله اني كنت استحي من رسول الله
(ص) أن أرد الحوض ولم أمر بمعروف »^(٤٥) وخطب في جيوشه فقال لهم : « عليكم
بسيرة أمير المؤمنين علي بالبصرة والشام لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا
مغلقا ، والله على ما نقول وكيل . »^(٤٦)
وبدأت الحرب في ليلة شديدة البرد^(٤٧) لسبع بقين من المحرم سنة (١٢٢ هـ)
وجرت مناوشات واصطدام مسلح بين اتباع زيد وبين الجيوش الاموية تحت قيادة والي
الكوفة يوسف بن عمر .

(٤٣) انساب الاشراف ٣ / ٢٠٣ .

(٤٤) الطبري ٨ / ٢٧٣ .

(٤٥) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ من مصورات مكتبة الحكيم .

(٤٦) الحدائق الوردية ١ / ١٤٨ .

(٤٧) انساب الاشراف ٣ / ٢٠٢ .

الخيانة والغدر :

وخان أهل الكوفة بزید وغدروا به بعد ما عاهدوا الله على نصرته والذب عنه فقد اسلموه عند الوثبة ، وتركوه مع القلة من اصحابه في ميدان الجهاد ، ولما رأى زيد تخاذلهم راح يقول :

« فعلوها حسينية ».

لقد غدروا به كما غدروا بجده الحسين من قبل ، وايقن زيد بفشل ثورته ، واستبان له ان لا ذمة لأهل الكوفة ، ولا وفاء لهم ، وقد خاض مع اصحابه الحرب في شوارع الكوفة وازقتها ، وابلى في المعركة بلاء حسنا ، وما رأى الناس قط فارسا اشجع منه (٤٨).

في ذمة الخلود :

وأبدى زيد من البسالة والبطولة ما يفوق حد الوصف ، فقد اخذ يلاحق الجيوش وينزل بها أفدح الخسائر ، ولم يستطع الجيش الاموي أن يصمد أمام الضربات المتلاحقة التي يصبها عليهم زيد ، وكان يحمل عليهم زيد ، ويتمثل بقول الشاعر :

أذل الحياة وعزز الممات وكلا أراه طعاما وبـيلا
فان كان لا بد من واحد فسيري الى الموت سيرا جميلا
لقد آثر زيد عز الممات على ذل الحياة كما أثر ذلك آباؤه فلم يخضع للذل والعبودية ومات عزيزا تحت ظلال السيوف والرماح.

ولما جنح الليل رمي زيد بسهم غادر فأصاب جبهته (٤٩) ووصل الى

(٤٨) انساب الاشراف ٣ / ٢٠٢ .

(٤٩) يراجع في تفصيل الحادث المؤلم الى زيد الشهيد للمقزم ، وثورة زيد بن علي لناجي حسن ، والى عقائد الزيدية للمؤلف .

دماغه الشريف الذي ما فكر إلا في صالح الانسان وسعادته.

وحلت الكارثة بأصحابه ، وهاموا في تيارات مذهلة من الأسى والحزن ، وطلبوا له طبييا فانتزع منه السهم فتوفى من فوره ، وقد انطفئت بذلك الشعلة الوهاجة التي كانت تضيء الطريق وتوضح القصد للمسلمين.

لقد استشهد زيد من أجل أن يحقق العدالة الاجتماعية في الارض ، ويحقق للمسلمين الفرص المتكافئة ، ويوزع خيرات الارض على الفقراء والمحرومين الذين كفرت السلطة الأموية بجميع حقوقهم.

ويقول المؤرخون : إن أصحاب زيد حاروا في موارد جثمانه خوفا عليه من السلطة التي لا تتورع من التمثيل الآثم به ، وبعد المداولة صمموا على مواراته في نهر هناك فانطلقوا الى النهر فقطعوا ماءه وحفروا فيه قبرا وواروا الجسد الطاهر فيه ، ثم أجروا الماء ، وانصرفوا وهم يذرفون الدموع على القائد العظيم الذي تبنى حقوق المظلومين والمضطهدين.

وكان مع أصحاب زيد أحد عيون السلطة يراقب تحركاتهم فبادر مسرعا الى الكوفة واخبر حاكمها بموضع الدفن ، فأمر بنبش القبر واخراجه منه فاخرج ، وحمل الى قصر الكوفة ، وأمر بصلبه منكوسا في سوق الكناسة وعمدوا الى احتزاز رأسه الشريف ، وارسل هدية الى طاغية الشام هشام ابن عبد الملك ، وأمر الرجس بوضع الرأس في مجلسه ، وأمر جميع من يدخل عليه أن يطأه بحذائه^(٥٠) مبالغة في توهينه ، وجعلت الدجاج تنقر دماغه وفي ذلك يقول الشاعر :

أطردوا السديك عن ذؤابة زيد طال ما كان لا تطأه الدجاج^(٥١)

(٥٠) شرح ابن أبي الحديد.

(٥١) النزاع والتخاصم (ص ٧).

ابن بنت النبي اكرم حل ق الله زين الوفود والحجاج
حملوا رأسه الى الشام ركضا بالسرى والبكور والادلاج (٥٢)
وأمر الطاغية بنصب الرأس الشريف على باب دمشق ، ثم أرسل الى المدينة (٥٣)
فنصب عند قبر النبي (ص) يوما وليلة (٥٤) ثم أرسله الى مصر كل ذلك لاداعة الخوف
والارهاب بين الناس ، واعلامهم على قدرة السلطة على سحق أية معارضة تقوم ضدها.
وكتب طاغية دمشق الى السفاك يوسف بن عمر حاكم الكوفة بان يلقى زيدا
مصلوبا ، ولا ينزله عن خشبته قاصدا بذلك اذلال العلويين والاستهانة بشيعتهم ، وقد فاته
ان ذلك قد أوقد نار الثورة في نفوسهم ، وزادهم عزما وتصميما على التضحية في سبيل
مبادئهم.

وقد افتخر الامويون بابقاء جثة زيد مصلوبة ، وقد اعتر بذلك وغد من عملائهم وهو
الحكيم بن عياش يقول :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب
حفنة من التراب في فيه فان زيدا إنما صلب دفاعا عن حقوق المظلومين
والمضطهدين ، وصلب من أجل أن يحقق العدالة الاجتماعية في الارض ، ويقضي على
الغبين الاجتماعي والتلاعب بمقدرات الأمة وخيراتها.
ولما بلغ هذا الشعر الامام أبا عبد الله الصادق تألم كأشد ما يكون التألم ورفع يديه
بالدعاء قائلا : « اللهم ان كان عبدك كاذبا فسلط

(٥٢) أنساب الاشراف ٣ / ٢٩٢ .

(٥٣) الطبري ٨ / ٧٧ .

(٥٤) عمدة الطالب (ص ٢٥٨) .

عليه كلبك « واستجاب الله دعاء الامام فافترسه أسد وهو يدور في سلك الكوفة ولما انتهى خبره الى الامام سجد لله شاكرا وهو يقول : الحمد لله الذي أنجزنا وعده (٥٥).

التنكيل بأنصار زيد :

وامعنت السلطة الاموية بعد ما قضت على ثورة زيد في اشاعة الذعر والخوف في الكوفة ، فأخذت البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، وعمدت الى التنكيل القاسي بانصار زيد فاشاعت فيهم القتل والاعدام ، واسرفت في ذلك الى حد بعيد ، وتعدى التنكيل من الرجال الى النساء ، وكان ذلك محظورا حتى في العرف الجاهلي إلا ان الامويين قد استباحوا ذلك في سبيل أهدافهم السياسية ، ويقول المؤرخون : ان الطاغية السفاك يوسف ابن عمر أمر بالقاء القبض على امرأة كانت قد اعانت زيدا ، ولما مثلت عنده أمر بقطع يدها ورجلها ، فطلبت قطع رجلها أولا حتى تجمع عليها ثيابها فما استجابوا لها فقطعوا يدها ورجلها ، وأخذ ينزف دمها حتى ماتت ، ثم انه أمر باحضار زوجها وضرب عنقه ، فنفذ فيه ذلك (٥٦) كما أوعز بالقاء القبض على امرأة كانت قد زوجت بنتها الى زيد ، فأمر بشق ثيابها ، وجلدها بالسياط ، فجلدت وتوفيت تحت السياط ، ورموا بجثتها في الصحراء ، فأخذها قومها ودفنوها في مقابرهم (٥٧).

واقترف الطاغية كثيرا من أمثال هذه الجرائم التي تنم عن انسان ممسوخ ، ميت

الضمير والاحساس.

(٥٥) السيرة الحلبية ١ / ٣٢٧ .

(٥٦) انساب الاشراف ٣ / ٢٥٥ .

(٥٧) أنساب الاشراف ٣ / ٢٥٥ .

سخط المسلمين :

وسخط المسلمون لمقتل الشهيد العظيم زيد ، ونقموا على بني أمية كأشد ما تكون
النقمة فقد انتهكوا في قتله حرمة الرسول (ص) التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل
شيء.

فلم تمض حفنة من السنين على اقرار الامويين لمجزرة كربلا الرهيبة ، وإذا بهم قد
عمدوا الى قتل زيد الذي هو من أعلام الأسرة النبوية ، ولم يكتفوا بقتله ، وانما نبشوا قبره
وصلبوه على الجذع ، ولم يسمحوا بمواراته لاطهار التشفي الأثم باهل البيت (ع) وقد
خالفوا بذلك ما أمر به النبي (ص) من المودة لأهل بيته ، كما خالفوا ما أمر به الاسلام
من احترام الاموات وتحريم المثلة بهم.

لقد كانت فاجعة زيد المروعة من الاحداث الجسام التي دعر منها المسلمون ،
واستعظموها وقد اندفع شعراؤهم الى رثائه بما صور مدى الحزن واللوعة التي مني بها
المسلمون يقول الفضل بن العباس :

إلا يا عين لا ترقى وجودي	بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابن النبي أبو حسين	صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويمسي	بنفسي اعظم فوق العمود
تعدي الكافر الجبار فيه	فأخرجه من القبر اللحيد
فظلوا ينبشون أبا حسين	خضيبا بينهم بدم جسيد
فطال به تلعبهم عتوا	وما قدروا على الروح الصعيد
وجاور في الجنان بني أبيه	واجدادا هم خير الجدود
فكم من والد لأبي حسين	من الشهداء أو عم شهيد
ومن أبناء اعمام سيلقى	هم أولى به عند الورود

دماء معشر نكثوا أباه حسينا بعد توكيد العهد
فسار إليهم حتى أتاهم فما أرعوا على تلك العقود (٥٨)
هذه بعض القصيدة وقد صور فيها الشاعر حزنه العميق على الشهيد العظيم الذي
ثكل به المسلمون فهو يطلب من عينيه أن يجودا بالدموع ، ولا يضنا عليه ، وذلك لعظم
الخطب الفادح ، ثم هو يستعظم كأشد ما يكون الاستعظام على اخراج زيد من قبره وصلبه
، ولكن مما يهون عليه الخطب انهم وان تلاعبوا بجسد الثائر العظيم إلا انهم لم يقدروا
على ارغام روحه الطاهرة التي صارعت الباطل وقاومت المنكر والجور ، وانها قد أقامت
في الجنان مع أرواح الشهداء الخالدين الذين صرعوا في كربلاء دفاعا عن حقوق المظلومين
والمضطهدين ، ثم انه بعد ذلك ينعى على أهل الكوفة غدرهم بزید ، كما غدروا من قبل
بجده الحسين (ع) فكان الغدر من خصائص الكوفيين وذاتياتهم ، وقد قيل :

« الكوفي لا يوفى »

وممن رثى زيدا بذوب روحه أبو ثميلة الأبار يقول :

أبا الحسين أعار فقدك لوعة من يلق ما لاقيت منها يكمد
فغدا السهاد ولو سواك رمت به الأقدار حيث رمت به لم يشهد
ونقول : لا تبعد وبعدهك دلؤنا وكذلك من يلق المنية يبعد
كنت المؤمن للعضائم والنهي ترجى الأمر الامة المتأود
فقتلت حين رضيت كل مناضل وصعدت في العلياء كل مصعد
فطلبت غاية سابقين فنلتها بالله في سير كريم المورد
وابى إلهك أن تموت ولم تسر فيهم بسيرة صادق مستنجد

(٥٨) مقاتل الطالبين (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

والقتل في ذات الاله سجية منكم وأحرى بالفعال الامجد
والناس قد أمنوا وآل محمد من بين مقتول وبين مشرد
نصب اذا القى الظلام ستوره رقد الحمام وليهم لم يرقد
يا ليت شعري والخطوب كثيرة أسباب موردها وما لم يورد
ما حجة المستبشرين بقتله بالامس أو ما عذر أهل المسجد (٥٩)

وقد رسم الشاعر في هذه الابيات شجونه واحزانه المرهقة على زيد الثائر العظيم ،
وذكر الخسارة العظمى التي منيت بها الامة بفقدائها لزيد ، فقد كان المؤمل لشدائدها
وازماتها ، و اضاف إنه بشهادته قد أنار الطريق للمناضلين والاحرار ، وملاً قلوبهم رضا
ومسرة بنهضته الجبارة التي استهدفت القضايا المصرية لامته ، وقد نال زيد بشهادته الغاية
القصوى التي نالها الشهداء الممجدون من آباءه الذين رفعوا راية الحق ملطخة بدمائهم
الزكية ... و اضاف ان الله أبى لزيد أن يموت ، ولا يسير بين الناس بسيرة المنقذين
والمحررين لامتهم وأوطانهم ، فان القتل في سبيل الله كانت سجية العلويين وقد أثر عن
بعضهم أنه قال : « القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة ».

وعرض أبو ثميلة في ابياته الاخيرة الى المحن القاسية التي عانها العلويون من حكام
بني أمية والتي كان منها انهم قد حرموا من الأمن فانهم بين مقتول ومشرد يطارده الرعب
والفزع والخوف ، في حين أن الطير ترقد في ليلها آمنة مطمئنة وآل النبي (ص) لم يرقدوا
في ليلهم خوفا من بني أمية ، وندد بالمستبشرين بقتل زيد الذي ثار لتحقيق العدالة
الاجتماعية في الارض ، كما ندد بالذين بايعوه ، وخذلوه ، فدخلوا جامع الكوفة ، وقد
طلب منهم

(٥٩) مقاتل الطالبين (ص ١٥٠) .

أن يقوموا بنجدته وحماية ثورته ، فلم يستجيبوا له .

حرق الجثمان العظيم :

وبقي جثمان زيد مرفوعا على أعواد المشانق ، وهو يضيء للناس طريق الحرية والكرامة ، ويدفعهم الى التمرد على الذل والخنوع ، ويبعث في نفوسهم روح الثورة على الظلم والجور ، وقد وضعت عليه السلطة الحرس ، وعددهم اربعمائة ، وجعلت الرقابة في كل ليلة لمائة رجل ، وبنيت للحرس حول الجذع بناية خوفا من أن يختلس الجثمان العظيم ، ويوارى في التراب (٦٠).

ولما هلك الطاغية هشام ، وولي الحكم من بعده الوليد بن يزيد فاجر بني أمية كتب الى حاكم الكوفة يوسف بن عمر كتابا يأمره بأن ينزل الجثمان المقدس من الخشبة ويحرقه بالنار (٦١) وقام السفاك بتنفيذ ما عهد إليه ، فأحرق الجسد الطاهر الذي ثار ليظهر الارض من الظالمين ويعيد للإنسان كرامته ، وحقه في الحياة.

وبعد ما أحرق الجثمان العظيم عمد الباغي يوسف بن عمر فذره في الفرات وهو يقول « والله يا أهل الكوفة لادعنكم تأكلونه في طعامكم ، وتشربونه في مائكم .. » (٦٢) لقد كان جزاء النبي (ص) الذي حرر أمته من حياة التيه في الصحراء ، ان عمد الامويون الى قتل ذريته وعترته ، والتمثيل بهم تمثيلا آثما لا مبرر له سوى انهم كانوا يطالبون بحقوق الأمة ، وامنها ورثائها.

(٦٠) انساب الاشراف ٣ / ٢٥٦ .

(٦١) مقاتل الطالبين (ص ١٤٧) .

(٦٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٩١ .

مع المسعودي :

بقي هنا شيء ، وهو ان المؤرخ الكبير المسعودي ذكر أن زيدا شاوور أخاه أبا جعفر في الخروج الى العراق لأعلان الثورة على الأمويين ، فإشار عليه الامام بأن لا يركن لأهل الكوفة لأنهم أهل غدر ومكر ، فقد قتلوا جده الامام أمير المؤمنين (ع) وطعنوا عمه الحسن ، وقتلوا جده الحسين ، فأبى زيد الا ما عزم عليه من المطالبة بالحق ، فقال له أبو جعفر : اني أخاف أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة ، وودعه أبو جعفر واعلمه أنهما لا يلتقيان^(٦٣) ويشعر كلامه بأن الامام الباقر (ع) كان حيا حال خروج زيد ، كما فهم ذلك بعض من كتب عن زيد ، وهذا لا واقع له فان الامام أبا جعفر توفي سنة (١١٤ هـ)^(٦٤) واستشهد زيد سنة (١٢٢ هـ) ولعل المسعودي أراد أن زيدا في ذلك الوقت حدثته نفسه بالخروج على بني أمية ، وهذا له مجال من الصحة ... وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حياة زيد وثورته التي هي من ألمع الثورات في ذلك العصر وأكثرها عطاء للمجتمع.

الحسين الأصغر :

الحسين الاصغر بن الامام زين العابدين ، أمه أم ولد^(٦٥) وكان من مفاخر الأسرة النبوية في فضله وتقواه ، وسائر مواهبه ، وفيما يلي بعض شئونه :

(٦٣) مروج الذهب ٣ / ١٣٩ .

(٦٤) تاريخ ابن الاثير ٤ / ٢١٧ البستان الجامع لعماد الدين الاصفهاني مصور في مكتبة الحكيم.

(٦٥) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ من مصورات مكتبة الحكيم.

علمه :

كان من العلماء البارزين في عصره ، وقد روى حديثا كثيرا عن ابيه ، وعمته السيدة فاطمة بنت الامام الحسين (ع) ، وأخيه الامام أبي جعفر (ع) ^(٦٦) وروى عنه محمد ابنه الحديث الوارد عن رسول الله (ص) في الاخبار عن قتل ولده الامام الحسين (ع) ^(٦٧).

حلمه ووقاره :

وكان الحسين حليما وقورا تمثلت فيه هية المتقين والصالحين ، وعلت وجهه اسارير النور ، ووصفه الامام أبو جعفر فقال : « وأما الحسين فحليم يمشي على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما. » ^(٦٨)

تقواه وورعه :

كان ورعا تقيا شديد الخوف من الله يقول سعيد صاحب الحسن بن صالح : لم أر أحدا اخوف من الله من الحسن بن صالح حتى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن علي بن الحسين فلم أر أشد خوفا منه ، كأنما أدخل النار ثم أخرج منها لشدة خوفه ^(٦٩).
وروى احمد بن عيسى عن أبيه قال : كنت أرى الحسين بن علي بن الحسين يدعو فكنت أقول : لا يضع يده حتى يستجاب له في الخلق اجمعين ^(٧٠).

(٦٦) الارشاد (ص ٣٠٢).

(٦٧) معجم رجال الحديث ٦ / ٤٤ .

(٦٨) سفينة البحار ٢ / ٢٧٣ .

(٦٩) الارشاد (ص ٣٠٢).

(٧٠) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ .

لقد نشأ الحسين في مركز الورع والتقوى ، ومعدن الحكمة والفضيلة في الاسلام ، وقد غذاه أبوه الامام زين العابدين بمثله وكمالاته النفسية ، فكان كأبيه في اقباله على الله ، وزهده في الدنيا ، وتحرجه في الدين.

وفاته :

توفى في يثرب عن عمر يناهز (٥٧ عاما)^(٧١) وقيل (٧٤ عاما)^(٧٢) ودفن ببيع الغرقد مجاورا لأبيه زين العابدين وأخيه الباقر.

عبد الله الباهر :

ابن الامام زين العابدين (ع) وهو أخو الامام الباقر لأمه وأبيه ، وهو من مفاخر ابناء الأئمة الطاهرين في علمه وورعه وتقواه ، ونعرض - بايجاز - لبعض شئونه.

لقبه :

لقب بالباهر لجماله وحسنه ، ويقول المؤرخون إنه ما جلس مجلسا إلا بصر جماله^(٧٣) وما رآه أحد إلا هابه ، وأكبره.

علمه :

كان من العلماء البارزين فقد عني بتربيته أبوه زين العابدين فغذاه بعلمه وفضله ، ويقول المؤرخون : إنه كان من فقهاء أهل البيت (ع) وروى عن آباءه عن رسول الله (ص) أخبارا كثيرة ، وحدث الناس ،

(٧١) معجم رجال الحديث ٦ / ٤٤ .

(٧٢) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ .

(٧٣) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

وحملوا عنه الآثار^(٧٤) كما روى مرسلًا عن جده الامام أمير المؤمنين (ع) وعن جده لامه الامام الحسن (ع) وروى عنه عمارة بن غزيرة ، وموسى ابن عقبة ، وعيسى بن دينار ، ويزيد بن أبي زياد ، وعده ابن حيان في الثقات ، وصحح الترمذي والحاكم حديثه^(٧٥).

ولايته على صدقات النبي :

وتولى عبد الله بالنيابة عن إخوانه صدقات النبي (ص) وصدقات الامام أمير المؤمنين (ع)^(٧٦) وتوزيع واردتهما على حسب ما جاء في وصية النبي (ص) والامام أمير المؤمنين.

وفاته :

انتقل الى حظيرة القدس ، وعمره سبع وخمسون سنة^(٧٧) ولم تعين المصادر التي بأيدينا السنة التي توفى فيها والمكان الذي دفن فيه.

عمر الاشراف :

ابن الامام زين العابدين (ع) وأمه أمة اشتراها المختار بمائة الف درهم ، وبعث بها الى الامام زين العابدين فأولدت له عمرا وزيدا وعليها^(٧٨) وكان عمر الاشراف من أفاضل الناس وخيارهم ، أما اخباره وشعونه فهي :

(٧٤) الارشاد (ص ٣٠٠) وذكر بعض الاحاديث التي رويت عنه.

(٧٥) تهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٤ .

(٧٦) الارشاد (ص ٣٠٠) .

(٧٧) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

(٧٨) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

كنيته :

يكنى أبا علي ، وقيل أبا جعفر^(٧٩) وقال الشيخ يكنى أبا حفص .

لقبه :

لقب بالأشرف بالنسبة الى عمر الأطراف عم أبيه وذلك لما ناله من شرف وفضيلة بالنسبة لولادة جده الحسين (ع) من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) بخلاف عمر الاطراف فانه نال الشرف من طرف أبيه الامام أمير المؤمنين ، هذا ما قاله السيد المهنا ، وعلق عليه سيدنا الامام الخوئي بقوله : « اقول : وهو أشرف من الاطراف بحسبه وفضله وورعه أيضا .. »^(٨٠)

علمه :

وكان عالما فاضلا عده الشيخ من أصحاب أخيه الامام الباقر ، وقد روى عن أبيه ، وروى عنه فطر بن خليفة^(٨١) .

ولايته على صدقات النبي :

تولى صدقات النبي (ص) وصدقات جده الامام أمير المؤمنين (ع) ويقول الحسين بن زيد : رأيت عمر عمي يشترط على من ابتاع صدقات علي أن يثلم في الحائط كذا وكذا ، لا يمنع من دخله أن يأكل^(٨٢) ودل

(٧٩) معجم رجال الحديث ١٣ / ٥٤ .

(٨٠) معجم رجال الحديث ١٣ / ٥٤ .

(٨١) معجم رجال الحديث ١٣ / ٥٤ .

(٨٢) سفينة البحار ٢ / ٢٧٣ .

ذلك على سخائه ونبله ، وسمو انسانيته.

وفاته :

انتقل الى الرفيق الأعلى وعمره خمس وستون سنة (٨٣) ولم تشر المصادر التي عثرنا عليها الى السنة التي توفى فيها والمكان الذي دفن فيه فقد اهملت ذلك.

علي :

ابن الامام زين العابدين ، توفي بينبع (٨٤) ودفن بها ، وعمره ثلاثون سنة (٨٥) ولم نعثر على ترجمة ملمة بحياته ، فقد اهملت مصادر التراجم والنسب البحث عنه ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن السادة الابرار من أخوان الامام.

ابناء الامام الباقر :

اما ابناء الامام الباقر فكانوا من حسنات الأسرة النبوية ، ومن مفاخر ابناء المسلمين في هديهم وصلاتهم وابتعادهم عن مآثم هذه الحياة ، قد رباهم الامام بمكارم اخلاقه ، وغرس في نفوسهم نزعاته الكريمة ، ومثله العليا فكانوا امتدادا مشرقا لذاته العظيمة التي طبق شذاها العالم ...

(٨٣) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٧ .

(٨٤) بينبع : يقع عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة الى البحر ، وهي لبني الامام الحسن ، فيها عيون عذاب غزيرة ، وقال بعضهم إنه حصن به نخيل ، وماء وزرع ، وبها وقوف للإمام أمير المؤمنين (ع) يتولاها ولده ، معجم البلدان ٥ / ٤٥٠ .

(٨٥) عمدة الطالب ٢ / ورقة ١٢٩ .

أما ذريته الطاهرة من الذكور فهم :

١ . ابراهيم

ابن الامام الباقر (ع) وأمه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الاخنس الثقفي (٨٦) ولم نقف على أية معلومات عنه.

٢ . الامام جعفر

هو سيد ولد أبيه ، ووصيه ، والامام القائم من بعده ، وكان من مفاخر هذه الدنيا ، وفي طليعة عباقرة العالم ، وذلك بما حققه على الصعيد الفكري والعلمي من التطور الهائل في الميادين العلمية والتي كان منها الابداع في علم الكيمياء الذي القى بحوثه على جابر بن حيان مفخرة الشرق العربي ، ويعتبر هذا العلم الأداة الخلاقة للتقدم التكنولوجي في العالم ، ولا تزال الكثير من النظريات التي أدلى بها الامام في هذا الفن لم تكتشفها العلوم الحديثة وما توصل لمعرفة الاختصاصيون (٨٧).

أما البحوث الفلسفية والكلامية فيعتبر الامام الصادق من الرواد الاوائل فيها وقد تخرج على يده فيها هشام بن الحكم الذي يعتبر الانموذج الرائع في هذه البحوث. أما الفقه الاسلامي فانه المؤسس له والواضع لقواعده وأصوله بعد آباءه الطاهرين ، وقد عنى بهذا العلم عناية بالغة ، فوجه جل اهتمامه نحوه

(٨٦) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ٥ / ٧٨ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٠.

(٨٧) أعلن ذلك الدكتور محمد يحيى الهاشمي في كتابه الامام الصادق ملهم الكيمياء.

وقد حفلت الموسوعات الفقهية بما أثر عنه بحيث يعد معظم أبواب الفقه وفروعه قد روي عنه.

وإذا نظرنا الى سائر العلوم الاسلامية الاخرى كعلم الحديث والتفسير والاخلاق وغيرها فنجد اكثرها قد أخذ عنه ... ولا يعرف التأريخ الانساني من هو اعظم منه علما وفضلا عدا آباءه (ع) أما الحديث عن نواحي شخصيته مفصلا فانه يستدعى موسوعة كبيرة.

٣ . عبد الله

ابن الامام الباقر (ع) وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر^(٨٨) قام بتربيته أبوه وعنى بتهديبه فكان من افاضل العلويين ، وانبههم ، وقد توفى شهيدا سقاه السم رجس من أرجاس بني أمية ، يقول المؤرخون إنه دخل عليه ، فاجس منه عبد الله خيفة فقال له : « لا تقتلني اكن لله عليك عينا ، واكن لك على الله عونا »^(٨٩).

فلم يعن به الاموي واجبره على تناول السم ، فلما سقي تقطعت امعاؤه ، ولم يلبث إلا قليلا حتى فارق الحياة^(٩٠) لقد مضى الى الله شهيدا شأنه شأن آباءه الذين أجهزت عليهم القوى الشريرة والنفوس الآثمة الحاقدة على ذوي الاحساب الاصيلة التي رفعت منار الكرامة الانسانية.

(٨٨) الارشاد (ص ٣٠٣) .

(٨٩) المراد بقوله : « اكن لك على الله عونا » أي اكن لك شفيعا عند الله .

(٩٠) غاية الاختصار (ص ٦٤) سفينة البحار ١ / ٣٠٩ .

٤ . علي

ابن الامام الباقر (ع) عاش في كنف أبيه ، وتربى على هديه ، وسلوكه فنشأ مثالا للفضل والكمال ، لقب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه توفى بالقرب من بغداد في قرية من اعمال الخالص ، أدلى بذلك محب الدين ابن النجار في تأريخه قال : « مشهد الطاهر يقع في قرية من اعمال الخالص قريبة من بغداد ظهر فيها قبر قديم عليه صخرة فيها مكتوب : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ضريح الطاهر علي بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) » وقد انقطع باقي الصخرة فبنى عليه قبة من لبن ، ثم عمره بعد ذلك شيخ من الكتاب يقال له : علي بن نعيم كان يتولى كتابة ديوان الخالص ، فزوقه وزخرفه ، وعلق فيه قناديل من الصفر ، وبنى حوله رحبة واسعة ، وصار من المشاهد التي تزار . « (٩١)

ونقل عن صاحب رياض العلماء أن قبره في (كاشان) وعليه قبة رقيقة عظيمة وله كرامات ظاهرة (٩٢).

٥ . عبد الله

وأمه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية (٩٣) توفي في حياة أبيه (٩٤)

(٩١) غاية الاختصار (ص ٦٣) .

(٩٢) سفينة البحار ١ / ٣٠٩ .

(٩٣) الارشاد (ص ٣٠٣) النفحة العنبرية للسيد كاظم يمانى من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة ، ولم يذكر عبد الله في جمهرة انساب العرب ، ولا في عمدة الطالب ولا في مرآة الزمان فقد خلت هذه المصادر من ذكره .

(٩٤) الصراط السوي (ص ١٩٤) .

ولم نعثر له على ترجمة وافية في المصادر التي بأيدينا.

السيدات من بناته :

أما السيدات من بناته فهن : السيدة زينب ، وأمها أم ولد ، والسيدة أم سلمة ^(٩٥) وأمها أم ولد ، وهي أم اسماعيل بن الأرقط ، وقد مرض ولدها اسماعيل فهرعت الى الامام الصادق فرعة ، فأمرها أن تصعد فوق البيت ، وتصلي ركعتين ، وتدعو الله بهذا الدعاء : « اللهم انك وهبته لي ، ولم يك شيئاً ، اللهم واني استوهبكه فاعرنيه ... » ^(٩٦) ففعلت ذلك فعافاه الله.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن السادة الابرار من ابناء الامام (ع).

(٩٥) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ٥ / ٧٨ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٠ ، وفي النسخة العنبرية بناته : زينب الكبرى وزينب الصغرى ، وأم كلثوم.
(٩٦) سفينة البحار ١ / ٣٠٩ .

أكبار و تعظیم

واجتمع رجال الفكر والعلم من المعاصرين للإمام وغيرهم من الباحث والمؤلفين على تعظيم الامام الباقر (ع) والاعتراف له بالفضل والتفوق العلمي على غيره وقد اتفقت كلماتهم على أنه أسمى شخصية علمية عرفها العالم العربي والاسلامي ، وهذه بعض كلماتهم التي تحمل انطباعاتهم عنه.

١ . الامام الصادق :

قال الامام أبو عبد الله الصادق (ع) : « كان أبي خير محمدي يومئذ على وجه الارض .. »^(١)
ومعنى ذلك ان الامام الباقر (ع) كان أفضل مسلم . في عصره . في علمه وتقواه ، وتخرجه في الدين ، وغير ذلك مما يسمو به الانسان المسلم.

٢ . محمد بن المنكدر :

وكان محمد بن المنكدر ممن عاصر الامام زين العابدين وولده الامام الباقر ٨ ، وقد أدلى بانطباعاته عنه يقول : « ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفا لفضله وغزارة علمه وحلمه حتى رأيت ابنه محمدا .. »^(٢)

٣ . سديف المكي :

وسديف المكي من أصحاب الامام أبي جعفر ، وقد اتصل به ، وهو ممن أبدى أكباره واعجابه به يقول : « ما رأيت محمديا قط

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩ .

(٢) روضة الكافي ، وقريب منه في الاتحاف بحب الاشراف (ص ٥٣) وتهذيب التهذيب ٩ / ٣٥٢ .

يعدله « (٣) .

٤ . هشام بن عبد الملك :

أما هشام بن عبد الملك فكان من اعظم الحاقدين على الامام ومن ألد أعدائه إلا انه اعترف بسمو مكانة الامام ، وعظيم شأنه فقد خاطبه قائلاً : « يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك .. » (٤)

٥ . المنصور الدوانيقي :

وتحدث الامام الباقر (ع) عن قائم آل محمد (ص) ومهدي هذه الأمة وكان في المجلس المنصور الدوانيقي فبهر من ذلك ، وراح يحدث سيف بن عمير بما سمعه من الامام قائلاً : « لو حدثني أهل الارض كلهم ما قبلت منهم ، ولكنه محمد بن علي .. » (٥) ودل هذا الكلام على مدى اكباره وتعظيمه للإمام ، فلو حدثه أهل الارض جميعا بمقالة الامام لما قبل منهم وصدقهم ، ولكن الامام حدثه بذلك وهو . حسب اعترافه . يفوق الناس جميعا في صدقه ووثاقته .

٦ . عبد الله بن عطاء :

وتحدث عبد الله بن عطاء عن اكبار العلماء وتعظيمهم للإمام (ع) وتواضعهم أمامه يقول : « ما رأيت العلماء عند أحد اصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي لتواضعهم له ، ومعرفتهم بحقه ، وعلمه ، واقتباسهم

(٣) أمالي الصدوق (ص ٢٩٧) .

(٤) ضياء العالمين الجزء الثاني في ترجمة الامام الباقر .

(٥) الفرائد الغوالي ٦ / ١٤٣ .

منه ، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة على جلالته وسنه ، وهو بين يديه يتعلم منه ، ويأخذ عنه كالصبي بين يدي المتعلم .. » ^(٦) وأدلى مرة أخرى عن مشاهدته للحكم عند الامام قال : « رأيت الحكم عنده كأنه عصفور مغلوب على أمره .. » ^(٧)

ولا بد لنا من وقفة قصيرة عند الحكم بن عتيبة لنرى مكانته ومنزلته العلمية ليتبين لنا مدى سعة علوم الامام (ع) وسمو مكانته عند العلماء ... لقد كان الحكم . فيما يقول الرواة . من أجل علماء عصره وانبهم شأننا يقول مجاهد بن رومي : رأيت الحكم في مسجد الخيف ، وعلماء الناس عيال عليه ، ونقل جرير عن المغيرة ان الحكم إذا قدم المدينة أخلوا له سارية النبي (ص) يصلي إليها ^(٨) وقال : ابن سعد : كان ثقة ثقة فقيها عالما رفيعا كثير الحديث .

وإذا كان الحكم وهو بهذه المنزلة من سعة العلم وجلالة القدر كأنه الصبي المغلوب على أمره بين يدي الامام فلا بد أن يكون اعلم أهل عصره واكثرهم احاطة في جميع العلوم ، وهذا ما تذهب إليه الشيعة وتدلل عليه من سعة علوم الامام .

٧ . جابر بن يزيد :

وجابر بن يزيد الجعفي من أشهر علماء المسلمين ، ومن أجل رواة

(٦) عيون الاخبار وفتون الآثار (ص ١٤) وقريب منه جاء في كل من حلية الأولياء ٣ / ١٨٦ ، شذرات

الذهب ١ / ١٤٩ ، تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٣ امرأة الجنان ١ / ٢٤٨ .

(٧) تهذيب التهذيب ٢ / ١٣٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢ / ١٣٤ .

الحديث ، وهو ممن تتلمذ عند الامام أبي جعفر (ع) وروى عنه سبعين ألف حديث .
حسبما يقول الذهبي . وكان ممن عرف مقام الامام ووقف على مكانته فكان إذا حدث
عنه يقول : « حدثني وصي الاوصياء ، ووارث علم الأنبياء »^(٩).

٨ . جابر بن عبد الله :

واشتهر الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري بالولاء لأهل البيت (ع)
والتفاني بحبهم ، وهو الذي حمل تحيات النبي (ص) الى الامام أبي جعفر (ع) . كما
ذكرنا ذلك . وهو ممن وعى مكانة الامام (ع) فكان يجعله ويعظمه والامام صبي يافع فكان
إذا خاطبه قال له : « أنت ابن خير البرية ، وجدك سيد شباب أهل الجنة .. »^(١٠).

٩ . ابن حجر الهيتمي :

قال شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي : « أبو جعفر محمد الباقر ، سمي
بذلك من بقر الأرض أي شقها ، وأثار مخبأاتها ومكائنها ، فلذلك هو اظهر من مخبآت
كنوز المعارف ، وحقائق الاحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة
، أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ، ورافعه
، صفا قلبه ، وزكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة الله
وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في
السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة .. »^(١١)

(٩) مناقب ابن شهرآشوب ٤ / ١٨٠ .

(١٠) بحار الانوار ١١ / ٦٤ .

(١١) الصواعق المحرقة (ص ١٢٠) .

وحددت هذه الكلمات بعض الجوانب المشرقة من حياة الامام أبي جعفر (ع) والتي كان منها قيامه بابرار كنوز المعارف ، وحقائق الاحكام بعد أن خفى أمرها على الناس ، وهذا ما سنتحدث عنه في البحوث الآتية.

١٠ . ابن كثير :

وترجم ابو الفداء الحافظ ابن كثير الامام الباقر وقال فيه : « هو تابعي جليل القدر كثير ، أحد أعلام هذه الأمة علما وعملا وسيادة وشرفا ... سمي الباقر لبقره العلوم ، واستنباطه الحكم ، وكان ذاكرا خاشعا ، صابرا ، وكان من سلالة النبوة ، رفيع النسب ، عالي الحسب ، وكان عارفا بالخطرات ، كثير البكاء والعبرات ، معرضا عن الجدل والخصومات ... » (١٢)

وتحدث ابن كثير عن سعة علوم الامام ، وعبادته وصبره ، وسمو حسبه ونسبه ، وكثرة بكائه من خشية الله ، واعراضه عن الجدل والخصومات ونال الامام (ع) بهذه الصفات اعجاب العلماء واكبارهم وتقديرهم.

١١ . عبد الحميد الحنبلي :

قال عبد الحميد بن العماد الحنبلي في ترجمته للامام : « كان من فقهاء المدينة وقيل : له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وتوسع فيه ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية .. » (١٣).

١٢ . النبهاني :

قال الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني : « محمد الباقر بن علي زين

(١٢) البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩ .

(١٣) شذرات الذهب .

العابدين بن الحسين أحد أئمة ساداتنا آل البيت الكرام ، وأحد أعيان العلماء الاعلام ...
« (١٤)

١٣ . القرماني :

وترجم احمد بن يوسف القرماني الامام قال : « إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم ...
وكان خليفة أبيه من بين أخوته ووصيه ، والقائم بالامامة من بعده ، ولم يظهر عن أحد من
أولاد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن ، والسير وفنون الآداب ما ظهر
عن أبي جعفر ، روى عند معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين .. » (١٥)

١٤ . الذهبي :

وترجم الذهبي في كثير من مؤلفاته الامام (ع) الا إنه شذ في بعض أقواله ، وفيما
يلي ذلك :

أ . قال : « كان الباقر سيد بني هاشم في زمانه فضلا وعلمًا وسؤددا » (١٦)

ب . قال : « كان الباقر سيد بني هاشم في زمانه اشتهر بالباقر من قولهم : « بقر
العلم » يعني شقه فعلم اصلا وخفيه ... » (١٧)

ج . قال : « كان الباقر أحد من جمع بين العلم والعمل ، والسؤدد والشرف والثقة
والرزانة ، وكان أهلا للخلافة ، وهو أحد الأئمة الاثني

(١٤) جامع كرامات الأولياء ١ / ٩٧ .

(١٥) أخبار الدول (ص ١١١) .

(١٦) تذهيب الكمال ٣ / ق ٤ / ٢٦٢ مخطوط .

(١٧) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤ .

عشر الذين تبجلهم الشيعة الامامية ، وتقول : بعصمتهم ، وبمعرفتهم بجميع الدين .
ولقد كان أبو جعفر اماما مجتهدا ، تاليا لكتاب الله ، كبير الشأن ، ولكن لا يبلغ
في القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعه ، ولا في الحفظ
ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب . «^(١٨) وانحرف الذهبي عن الحق في تقديمه لابن
كثير ، وأبي الزناد وربيعه وقاتادة وابن شهاب على الامام فان هؤلاء الاعلام لا يقاسون
بتلاميذه كزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وجابر بن يزيد الجعفي فان ما أثر عنهم من
الفضل والعلم يفوق بكثير مما أثر عن ابن كثير وجماعته ، وقد كان قتادة قد خاصمه
الامام واحتج عليه فولى منهزما لا يعرف ما يقول ، ولا يدري كيف يتخلص مما هو فيه
... ولكن الذهبي كان يملك ضميرا متحجرا مترعا بالكراهية والحقد على آل النبي (ص)
وشيعتهم كما أعلن ذلك في كثير من بحوثه ، وما أبدع ما قيل فيه :
سميت بالذهبي اليوم تسمية مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب

١٥ . محمد بن أبي بكر :

قال محمد بن أبي بكر : المعروف بابن حماد دكين المتوفى سنة (٧٠٠ هـ) : «
سيدنا الامام محمد بن الامام زين العابدين (ع) برز بالفضل في العلم والزهد ، والسؤدد ،
وكان نبيه الذكر ، عظيم القدر ، جليل الشأن ، لم يظهر عن أحد من ولد الحسن
والحسين (ع) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن
أبي جعفر ، روى عنه علماء الدين وبقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء
المسلمين ، وصار

(١٨) سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٤١ من مصورات مكتبة الامام الحكيم.

بالفضل علما تضرب به الامثال ، وتسير بوصفه الآثار والاشعار ... » (١٩)

١٦ . محمد الجزري :

قال محمد بن محمد الجزري : « محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر ، لأنه بقر العلم . أي شقة . وعرف ظاهره وخفيه ، وكان سيد بني هاشم علما وفضله وسنة ... » (٢٠).

١٧ . كمال الدين الشافعي :

قال كمال الدين الشافعي : « هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ، ورافعه ومتوفى دره وراضعه ، صفا قلبه ، وزكا عمله ، وطهرت نفسه ، وشرفت اخلاقه ، وعمرت بطاعة الله أوقاته ، ورسخت في مقام التقوى قدمه وظهرت عليه سيماات الازدلاف ، وطهارة الاحتباب فالمناقب تسبق إليه ، والصفات تشرف به ... » (٢١)

١٨ . ادريس القرشي :

قال الداعي إدريس القرشي : « محمد بن علي أول من حاز شرف الأصلين واجتمعت له ولادة الحسن والحسين ، ونشأ على الفضل والطهارة والرئاسة والسيادة والعلم . واحتذى سيرة آباءه الطاهرين ، ولم يزل في درجات الفضائل منتقلا ، وللمفاخر السامية متوغلا ... » (٢٢)

(١٩) روضة الاعيان في مشاهير اخبار الزمان من مصورات مكتبة الحكيم.

(٢٠) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢٠٢ .

(٢١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول .

(٢٢) عيون الاخبار وفتون الآثار (ص ٢١٢) .

١٩ . جمال الدين :

قال جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي : « أبو جعفر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي سيد بني هاشم في زمانه ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم ... » (٢٣)

٢٠ . محمد الصبان :

قال محمد الصبان : « وأما محمد الباقر فهو صاحب المعارف ، وأخو الدقائق واللطائف ، ظهرت كراماته ، وكثرت في السلوك اشاراته ، ولقب بالباقر لأنه بقر العلم أي شقه فعرف اصله وخفيه .. » (٢٤)

٢١ . ابن أبي الحديد :

قال عبد الحميد بن أبي الحديد : « كان محمد بن علي الباقر سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه ، وهو الملقب بالباقر لقبه به رسول الله (ص) ولم يخلق بعد ، وبشر به ، ووعد جابر برؤيته .. » (٢٥)

٢٢ . الشيخ المفيد :

قال الشيخ المفيد : « كان الباقر محمد بن علي بن الحسين من بين أخوته خليفة أبيه ووصيه ، والقائم بالامامة من بعده ، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد ، والسؤدد ، وكان أنبهم ذكرا وأجلهم في العامة

(٢٣) النجوم الزاهرة ١ / ٢٧٣ .

(٢٤) اسعاف الراغبين المطبوع على هامش نور الابصار (ص ٣١٦) .

(٢٥) شرح ابن أبي الحديد .

والخاصة ، وأعظمهم قدرا ، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين (ع) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة ، وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر ، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين ، وصار بالفضل به علما لأهله ، تضرب به الأمثال ، وتسمو بوصفه الآثار والاشعار ... » (٢٦)

٢٣ . أبو الحسن الطبرسي :

قال الشيخ أبو الحسن الطبرسي : « قد اشتهر الباقر في العالم تبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول (ص) من علم القرآن والآثار والسنن ، وأنواع العلم والحكم والآداب ما أثر عنه واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين ، وفقهاء المسلمين ، وعرفه رسول الله (ص) باقر العلم على ما رواه نقلة الآثار ... » (٢٧)

٢٤ . تاج الدين :

قال تاج الدين بن محمد نقيب حلب : « أبو جعفر باقر العلم هو أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين ، كان واسع العلم ، وافر الحلم ، روي عنه حديث كثير ، ونقل عنه علم جم .. » (٢٨)

٢٥ . محمود بن وهيب :

قال محمود بن وهيب البغدادي : « سمي بالباقر من بقر الارض أي شقها ، وأنار مخبثاتها ، ومكامنها ، فلذلك هو اظهر من مخبثات كنوز المعارف ،

(٢٦) الارشاد (ص ٢٩٣).

(٢٧) اعلام الورى بأعلام الهدى (ص ٢٦٨).

(٢٨) غاية الاختصار (ص ٤٠١).

وحقائق الاحكام والحكمة واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة ، ومن ثم قيل
باقر العلم وجامعه ورافعه ، صفا قلبه ، وزكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ،
وعمرت أوقاته بطاعة مولاه وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين
.. « (٢٩)

٢٦ . عباس المكي :

قال السيد عباس بن علي المكي : « الباقر أحد الأئمة الاثني عشر عند الامامية ،
وكان عالما سيدا كبيرا ، وما سمي الباقر إلا لأنه تبقر في العلم أي توسع فيه ... » (٣٠)

٢٧ . السيد كاظم اليماني :

قال السيد كاظم اليماني : « الامام الباقر : هو ثاني سبط ، وخامس امام معصوم
على رأي من رأى ذلك ، ورابع تقي على رأي الاجماع ، وهو المكنى أبا جعفر .. » (٣١)

٢٨ . ابن تيمية :

قال ابن تيمية : « كان محمد الباقر أعظم الناس زهدا وعبادة بقر للسجود جبهته ،
وكان اعلم اهل وقته ، سماه رسول الله (ص) الباقر ، وذكر حديث جابر « (٣٢) إلا انه بعد
ذلك عدل عما قاله : وأنكر تسمية النبي (ص) للامام الباقر بهذا الاسم وقال : « لا اصل
له عند

(٢٩) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٢) .

(٣٠) نزهة المجلس ٢ / ٣٦ .

(٣١) النفحة العنبرية من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء .

(٣٢) منهاج السنة ٢ / ١١٤ - ١١٥ .

أهل العلم بل هو من الاحاديث الموضوعية « (٣٣) لقد عرف ابن تيمية بالبغض لأهل البيت (ع) والحقده على شيعتهم فقد الصق بهم . بدون تورع . كل احدثه وخرافة ، وحسابه في ذلك على الله وعلى العلم والتاريخ ، ولعل اعظم عقاب ناله فقدان الثقة بما كتبه فلا ينظر إليه المؤرخون إلا نظرة ريبة وشك في جميع ما كتبه .

٢٩ . الشيخاني :

قال عبد القادر الشيخاني : « محمد الباقر كان اشهر أهل زمانه ، واكملهم فضلا ، واعظمهم نبلا ، ولم يظهر في زمنه عند أحد من علم الدين والسنن ، وعلم القرآن والسير وفنون الآداب مثل ما ظهر منه .. » (٣٤)

٣٠ . المجلسي :

قال الشيخ المجلسي : « لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه « أي الباقر » من التفسير والكلام والفتيا ، والحلال والحرام ... وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين ، فمن الصحابة جابر بن عبد الله الانصاري ، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي ، وكيسان السخيتاني صاحب الصوفية ، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك ، والزهري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وزيايد بن المنذر ، والنهدي ، ومن المصنفين نحو الطبري ، والبلاذري ، والخطيب في تواريخهم ، وفي الموطأ ، وشرف

(٣٣) منهاج السنة ٢ / ١٢٣ .

(٣٤) الصراط السوي (ص ١٩٤) من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين (ع) .

المصطفى ، والابانة وحلية الأولياء ، وسنن أبي داود ، ومسند أبي حنيفة ، وترغيب
الاصفهانى وبسيط الواحدى ، وتفسير العياشى ، والزمخشري ، ومعرفة اصول السمعاني
وكانوا يقولون : محمد بن علي ، وربما قالوا : محمد الباقر .. « (٣٥)

والمّ كلام المجلسي بالناحية العلمية من شخصية الامام العظيم التي استوعبت
جميع المعارف ، وقد انتهل من نمير علمه علماء المسلمين فأخذوا عنه الفقه والتأريخ
والتفسير وعلم الكلام ، وفنون الحكم والآداب ، مما يعتبر عاملا جوهريا في نشأة التطور
والابداع في الفكر الاسلامي.

٣١ . النووي :

قال النووي : « الباقر تابعي جليل ، امام بارع ، مجمع على جلالته ، معدود في
فقهاء المدينة وأئمتهم ... » (٣٦)

٣٢ . أبو زرعة :

قال أبو زرعة : « إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء .. » (٣٧)

٣٣ . ابن عنبه :

قال جمال الدين احمد بن علي بن الحسين بن المهنا بن عنبه : « كان محمد
الباقر واسع العلم ، وافر الحلم ، وجلالة قدره أشهر من أن ينبه عليها. » (٣٨)

(٣٥) بحار الانوار ١١ / ٨٤ .

(٣٦) تهذيب اللغات والاسماء ١ / ٨٧ .

(٣٧) أعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٤٨٥ .

(٣٨) عمدة الطالب ٢ / ٢٩ .

٣٤ . علي بن عيسى الأربلي :

وتحدث الوزير علي بن عيسى الأربلي عن معالي سيرة أبي جعفر (ع) وختم حديثه بقوله : إن مناقبه أكثر من أن يأتي الحصر عليها ، ومزاياه أعلى من أن تتوجه الاحاطة بها ، ومفاخره إذا عددت خرت المفاخر والمحامد لديها لأن شرفه تجاوز الحد ، وبلغ النهاية ، وجلال قدره استولى على الأمن وادرك الغاية ، ومحلّه من العلم والعمل رفع له ألف راية ، وكم له من علامات سؤدد ، وسيما رئاسة ، وآية سماحة وحماسة ، وشرف منصب ، وعلو نسب وفخر حسب ، وطهارة أم واب ، والأخذ من الكرم والطهارة بأقوى سبب لو طاول السماء لظالها ، وأورام الكواكب في أوجها لنالها .. « (٣٩)

٣٥ . احمد فهمي :

قال الشيخ احمد فهمي : « الامام الباقر : هو خامس الأئمة عند الامامية وكان ٢ اصدق الناس ، واحسنهم بهجة ، وأبدعهم لهجة .. » (٤٠)

٣٦ . فريد وجدي :

قال فريد وجدي : « كان الباقر عالما نبيلًا ، وسيدا جليلا ، وسمى الباقر لأنه بقلم العلم أي توسع فيه .. » (٤١)

٣٧ . أبو زهرة :

قال الشيخ أبو زهرة : « وكان محمد ابنه . أي ابن الامام زين

(٣٩) كشف الغمة ٢ / ٣٦٣ .

(٤٠) الامام زين العابدين (ص ١٨) .

(٤١) دائرة معارف وجدي ٣ / ٥٦٣ .

العابدين . وريثه في امامة العلم ، ونيل الهداية ، ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الاسلامية ، وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه .. » (٤٢)

٣٨ . التلمساني :

قال التلمساني : « محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، وهو والد جعفر الصادق يقال له الباقر ، سمي باقرا لتبحره في العلم ، وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة ، وامام مشهور .. » (٤٣)

٣٩ . عبد القادر الحلبي :

قال عبد القادر الحلبي : « الباقر أول علوي ولد بين علويين تابعي جليل القدر ، امام بارع مجمع على امامته ، وجلالته ، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم .. » (٤٤)

هذه بعض الكلمات التي أدلى بها كبار العلماء والبحاث في حق الامام وهي كما سجلت اكبارهم لشخصية الامام كذلك كشفت عن بعض الجوانب من حياته المشرقة ، والتي كان منها :

أولا . : تقدم الامام في الفضل والعلم على جميع علماء عصره ، وإنه لم يكن هناك أحد يدانيه في مواهبه وملكاته العلمية ، وإنه يفوق في فضله وعلمه اخوانه ، وابناء عمومته وسائر ابناء الأسرة النبوية التي هي

(٤٢) الامام الصادق (ص ٢٢) .

(٤٣) شرح الشفاء للخفاجي ١ / ٢٩٢ .

(٤٤) الحديث المفحص عن شرف نسل الامام علي (ص ١٣٩) من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة .

مصدر النور والوعي في الارض.

ثانيا . : تصاغر علماء عصره أمامه اعترافا منهم بسمو مقامه العلمي والروحي وإنه المرجع الأعلى للعالم الاسلامي.

ثالثا . : سعة علوم الامام ومعارفه لا في الفقه الاسلامي فحسب ، وإنما كان ملما بجميع العلوم من علم الكلام والفلسفة ، والتفسير والتأريخ والحكم والآداب وغير ذلك مما اصبح به المنار المشرق للعلوم الاسلامية.

رابعا . : انه اظهر مخبآت بعض العلوم ، وكشف النقاب عن كنوز المعارف التي كانت خافية على الناس.

خامسا . : انه كان الرائد الاول للحركة العلمية في عصره ، فمن نمير علمه اقتبس العلماء ، ومن افاضاته استمد البحاث والمؤلفون والكتاب.

سادسا . : تخرج الامام في الدين كأشد ما يكون التحرج ، وشدة ورعه وخوفه من الله مما جعله من أئمة المتقين والمنيبين.

مظاهر شخصيته

وتوفرت في شخصية الامام أبي جعفر (ع) جميع الصفات الكريمة التي تؤهله
لزعامة هذه الأمة ، وقيادتها الروحية والزمنية ، فكل صفة من صفاته ترفعه الى القمة التي لا
يبلغها إلا افذاذ الناس وعمالقة الدهر ، فهو كما قال الشاعر :
من هاشم في ذراها وهي صاعدة الى السماء تميّت الناس بالحسد
قوم أبى الله إلا أن تكون لهم مكارم الدين والدنيا بلا أمد
لقد كان الامام العظيم بمواهبه وعبقرياته صورة متميزة من بين صور العظماء
والمصلحين ، فقد تميز بفضائله النفسية ومآثره الخالدة ، وتميز بحسبه الواضح ، وتميز
بكل ما يسمو به هذا الانسان ، ومن بين ما تميز به .

إمامته :

وحباه الله بالامامة ، وخصه بالنيابة العامة عن جده الرسول (ص) فهو أحد خلفائه ،
وأوصيائه الاثنى عشر ، الذين جعلهم النبي (ص) سفن النجاة ، وأمن العباد ، وقرنهم
بمحكم التنزيل ، ونصبهم اعلاماً لأمتهم صيانة لها من الفرقة ووقاية لها من الفتن والازمات .
لقد احتاط النبي (ص) كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمته ، وأهاب بها من أن
تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب ، فقد أراد لها العزة والكرامة ، وأراد أن تكون خير أمة
أخرجت للناس ، فأولى الخلافة والامامة المزيد من اهتمامه ، ونادى بها أكثر مما نادى
بأي فرض من الفروض الدينية لأنها القاعدة الصلبة لتطور أمتهم في مجالاتها الفكرية
 والاجتماعية والسياسية ، وقد خصها بالأئمة الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا بأي
حال من الاحوال لأية نزعة مادية ، وإنما آثروا طاعة

الله ومصلحة الأمة على كل شيء.

وقد تحدث الامام الباقر (ع) عن الامامة بصورة موضوعية وشاملة سنعرض لها عند البحث عن تراثه الفكري والعلمي ... اما امامته فقد دلت عليها النصوص العامة والخاصة ، والتي كان منها نص الامام أمير المؤمنين (ع) على امامته ، وامامة الأئمة الطاهرين من بعده (١) وغير ذلك من النصوص التي سنعرض لها في البحوث الآتية :

العصمة :

ومن اسمى مظاهر ذاتيات الامام أبي جعفر (ع) العصمة من الذنوب والآثام ، وطهارته من الزيغ والرجس.

أن العصمة لطف من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ممن امتحن قلوبهم بالايمان ، وزكاهم ، واختارهم لاداء رسالته واصلاح عباده ، وهي من أهم العقائد الراسخة عند الشيعة ، واحدى المبادي ، الاساسية للامامة عندهم ، وتحدث . بايجاز . عنها .

تعريف العصمة :

وعرف المتكلمون من الشيعة العصمة بتعاريف متعددة ، كان من بينها تعريف الشيخ المفيد ، فقد عرفها بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه وهو لطف يمتنع من يختص به من فعل المعصية ، وترك الطاعة مع القدرة عليهما (٢) ويقول العلامة الحلي : فى تعريفها بأنها لطف من الله تعالى يفيضه على المكلف

(١) بصائر الدرجات (ص ١٠٨) للصفار .

(٢) شرح عقائد الصدوق (ص ١١٤) .

لا يكون له مع ذلك داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك (٣) وعرفها شيخ الطائفة الشيخ الطوسي بأنها ما يمتنع المكلف من المعصية في حال تمكنه منها. والعصمة على ضوء هذه التعاريف عبارة عن الكمال المطلق للنفس ، وتحررها التام من كل نزعة من نزعات الهوى والغرور والطيش ، والامتناع من اقتراف أية جريمة أو ذنب سواء أكان على سبيل العمد أم السهو ، ومن الطبيعي أنه لا يتصف بذلك إلا من اختاره الله لاداء رسالته وهداية عباده نبيا كان أم اماما.

الاستدلال عليها :

واستدل الشيعية على ما ذهبوا إليه من اعتبار العصمة في الامام بأدلة كثيرة مقنعة لا مجال للشك فيها ، ولعل من أروع من أستدل عليها من متكلميهم هشام بن الحكم قال : إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها : الحرص ، الحسد ، الغضب ، الشهوة ، وهذه الصفات كلها منفية عن الامام ، فلا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا ، وهي تحت خاتمه ، فهو خازن أموال المسلمين فعلى ما ذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسودا لأن الانسان إنما يحسد من فوقه ، وليس فوقه أحد ، فكيف يحسد من دونه ، ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل ، قد فرض عليه اقامة حدوده ، ولا يجوز أن يتبع الشهوات ، ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا ، فهو ينظر الى الآخرة كما ننظر الى الدنيا ، فهل رأيت أحدا ترك وجهها

(٣) توفيق التطبيق (ص ١٦).

حسنا لوجه قبيح ، وطعاما طيبا لطعام مر ، وثيابا لينة لثوب خشن ، ونعمة دانية باقية لدينا زائلة فانية (٤).

واقامت الشيعة على ضرورة العصمة للأئمة مجموعة كبير من الادلة الوثيقة العقلية والنقلية حفلت بها كتبهم الكلامية (٥) ويرى « دونالد سن » ان فكرة العصمة عند الشيعة قد أدت الى تطور علم الكلام وازدهاره في الاسلام ... كما ان لهم الفضل في بحث هذا الموضوع لا في الاسلام فحسب بل في جميع الديانات الاخرى (٦) فقد كانوا أول من فتق باب الجدل والحوار العلمي المبني على الادلة العقلية المثبتة لشؤون مبادئهم الاساسية في الامامة.

شكوك وأوهام :

وأثير حول العصمة كثير من الشكوك والأوهام ، وأهملت الشيعة بالجمود والغلو ، وقال الناقدون لهم : إن الأئمة كبقية الناس يطيعون الله ، ويعصونه ، وتصدر المعصية عنهم عمدا أو سهوا من دون أن يكون هناك أي فرق بينهم ، وبين سائر الناس .
وأكبر الظن أن الحملات المسعورة التي واجهتها الشيعة في التزامهم بعصمة أئمتهم إنما كانت لتبرير ملوك بني أمية وبني العباس الذين أضفوا عليهم النعوت العظيمة والالقباب الكريمة فادعوا أنهم سدنة الشريعة ،

(٤) عقيدة الشيعة (ص ٣١٧) .

(٥) يراجع الالفين للعلامة الحلبي ، وأوائل المقالات في المذاهب المختارة للشيخ المفيد ، ومنهاج الكرامة للعلامة الحلبي .

(٦) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص ١٣٤) .

وخلفاء الله في أرضه ، ولا مانع مع ذلك أن تصدر عنهم المعاصي والذنوب ، فليست العصمة اذن شرطا فيمن يتولى شئون المسلمين ، وقد انكرت الشيعة ذلك أشد الانكار ، وذهبت الى أن خلافة أولئك الملوك لا تحمل أي طابع من الشرعية ، وذلك لما أثر عنهم من الاعمال التي لا تتفق مع ايسط قواعد الدين الاسلامي ، فقد أسرفوا إلى حد بعيد في الدعارة واللهو والمجون ، وتحولت قصورهم الى مسارح للهو والرقص والفساد ، وفي ذلك يقول الشاعر في المهدي العباسي :

بنو أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود
وإذا كان الخليفة قد صرعه الهوى فصار حليفا للناي والعود ، كيف يكون اماما
للمسلمين ، وخليفة لله في أرضه؟

لقد احتاط الاسلام كأشد ما يكون الاحتياط في شأن الخلافة الاسلامية باعتبارها المركز الحساس لسعادة المسلمين ، وتقدمهم وتطور حياتهم فليس من المنطق في شيء أن يرضى على اولئك الملوك خلفاء الله في أرضه ، وامنائهم على عباده ، وان يقال بشرعية خلافتهم.

لقد قالت الشيعة : بعصمة أئمتهم لأنهم الا نموذج الاعلى للتكامل الانساني ، ولم يؤثر عن احد منهم . فيما اجمع عليه المؤرخون . انه قد شذ في سلوكه عن الطريق القويم أو خالف الله فيما أوجب أو نهى ، ألم يقل الامام أمير المؤمنين (ع) : « والله لو اعطيت الاقاليم السبع بما تحت افلاكها على أن اعصي الله في جلب شعيرة اسلبها من فم جرادة ما فعلت » وهذه هي العصمة التي تدعيها الشيعة لأئمتهم (ع) فليس فيها غلو ولا جمود ، وإنما

كانت مطابقة للواقع المحكي عن سيرة أئمة اهل البيت (ع) الذين تخرجوا كأشد ما يكون التحرج في أمور دينهم ، وآثروا طاعة الله على كل شيء ، وقد اعلن الكتاب الكريم عصمتهم وطهارتهم من الزيف والأثم قال تعالى : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**) و قرنهم الرسول الاعظم بمحكم التنزيل قال (ص) خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا « فكما ان الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كذلك العترة الطاهرة وإلا لما صحت المقارنة بينهما.

حلمه

أما الحلم فقد كان من ابرز صفات الامام أبي جعفر (ع) فقد اجمع المؤرخون على أنه لم يسيء الى من ظلمه واعتدى عليه ، وانما كان يغدق عليه بالبر والمعروف ، ويقابله بالصفح والاحسان ، وقد روى المؤرخون صورا كثيرة من عظيم حلمه ، كان منها :

١ . أن رجلا كتاياها هاجم الامام ، واعتدى عليه ، وخاطبه بمر القول :

« أنت بقر . »

فلطف به الامام ، وقابله ببسمات فياضة بالبشر قائلا :

« لا .. أنا باقر .. »

وراح الكتابي يهاجم الامام قائلا :

« أنت ابن الطباخة . »

فتبسم الامام ، ولم يثره هذا الاعتداء وقال له :

« ذاك حرفتها .. »

ولم ينته الكتابي عن غيه ، وإنما راح يهاجم الامام قائلا :

« أنت ابن السوداء الزغنة الندية .. »

ولم يغضب الامام ، وإنما قابله باللطف قائلاً :

« إن كنت صدقت غفر الله لك ، وإن كنت كذبت غفر الله لك .. »

وبهت الكتابي ، وبهر من معالي اخلاق الامام التي تضارع اخلاق الأنبياء ، فاعلن اسلامه ^(٧) ورجع الى حظيرة الحق.

٢ . ومن تلك الصور الرائعة المدهشة من حلمه أن شاميا كان يختلف الى مجلسه ،

ويستمع الى محاضراته ، وقد أعجب بها ، فأقبل يشتمد نحو الامام وقال له :

« يا محمد إنما أخشى مجلسك لا حبا منى إليك ، ولا أقول : إن أحدا أبغض

إلي منكم أهل البيت ، واعلم ان طاعة الله ، وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم ، ولكنني

أراك رجلا فصيحاً لك أدب وحسن لفظ ، فانما أختلف إليك لحسن ادبك!! »

ونظر إليه الامام بعطف وحنان ، واخذ يغدق عليه بيره ومعروفه حتى استقام الرجل

وتبين له الحق ، فتبدلت حالته من البغض الى الولاء للإمام ، وظل ملازماً له حتى حضرته

الوفاة فأوصى ان يصلي عليه ^(٨).

وحاكي الامام بهذه الاخلاق الرفيعة جده الرسول (ص) الذي استطاع بسمو اخلاقه

أن يؤلف ما بين القلوب ، ويوحد ما بين المشاعر والعواطف ويجمع الناس على كلمة

التوحيد بعد ما كانوا فرقا واحزابا (**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**)

الصبر :

لقد كان الصبر من الصفات الذاتية للأئمة الطاهرين من أهل البيت (ع)

(٧) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ٥٠٤ .

(٨) بحار الانوار ١١ / ٦٦ .

فقد صبروا على مكاره الدهر ، ونوائب الأيام ، وصبروا على تجرع الخطوب التي تعجز عنها الكائنات ، فقد كان الامام الحسين (ع) على صعيد كربلاء يستقبل المحن الشاقة التي تذهل كل كائن حي ، وهو يقول : « صبرا على قضائك يا رب لا معبود سواك. » وصبر الامام الباقر (ع) كآبائه على تحمل المحن والخطوب ، وقد كان منها ما يلي :

١ . انتقاص السلطة لأبائه الطاهرين ، واطلاق سبهم على المنابر والمآذن ، وهو (ع) يسمع ذلك ، ولا يتمكن أن ينس بينت شفة فصبر على كظم الغيظ ، وأوكل الأمر الى الله الحاكم بين عباده بالحق.

٢ . ومن بين المحن الشاقة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت (ع) وقتلهم تحت كل حجر ومدبر بأيدي الجلادين من عملاء السلطة الاموية ، وهو لا يتمكن أن يحرك ساكنا ، قد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة ، واحاطته بمباحثها ، ولم تستجب لأي طلب له في شأن شيعته.

٣ . وروى المؤرخون عن عظيم صبره انه كان جالسا مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره ، فاسرع إليه بعض مواليه فأسره فقال (ع) :

« الحمد لله على ما اعطى ، وله ما أخذ انهم عن البكاء ، وخذوا في جهازه ، واطلبوا السكينة ، وقولوا لها : لا ضمير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع .. »

ورجع الى حديثه ، فتهيب القوم سؤاله ، ثم اقبل غلامه فقال له : قد جهزناه ، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه ، واخبر أصحابه بشأنه فقال لهم : انه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات (٩)

(٩) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٨).

تدول الدول ، وتفنى الحضارات ، وهذه الاخلاق العلوية أحق بالبقاء ، وأجدر بالخلود من كل شيء لأنها تمثل شرف الانسانية وقيمها الكريمة.

٤ . ويقول المؤرخون : إنه كان للإمام ولد وكان أثيرا عليه فمرض فخشي على الامام لشدة حبه له ، وتوفي الولد فسكن صبر الامام ، فقيل له : خشينا عليك يا ابن رسول الله (ص) ، فأجاب بالاطمئنان والرضا بقضاء الله قائلا :

« انا ندعو الله فيما يحب فاذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب .. » (١٠)

لقد تسلم الامام بالصبر وقابل نوائب الدنيا وكوارث الدهر بارادة صلبة ، وايمان راسخ ، وتحمل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسبا في ذلك الأجر عند الله.

تكريمه للفقراء :

ومن معالي أخلاقه أنه كان يبجل الفقراء ، ويرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذل الحاجة ، ويقول المؤرخون : انه عهد لأهله اذا قصدهم سائل ان لا يقولوا له : يا سائل خذ هذا ، وإنما يقولون له : يا عبد الله بورك فيك (١١) وقال : سموهم باحسن اسمائهم (١٢).

انها اخلاق النبوة التي جاءت لتسمو بالانسان ، وتغذيه بالعزة والكرامة وتفني عنه الخنوع والذل.

(١٠) تاريخ دمشق ٥١ / ٥٢ ، عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ / ٥٧ .

(١١) عيون الاخبار ٣ / ٢٠٨ .

(١٢) البيان والتبيين (ص ١٥٨) اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٤٧٢ .

عتقه للعبيد :

وكان الامام العظيم شغوفاً بعتق العبيد ، وانقاذهم من رق العبودية ، فقد اعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً (١٣) وكان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته (١٤).

صلته لأصحابه :

وكان أحب شيء للإمام في هذه الدنيا صلته لإخوانه فكان لا يمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمليه (١٥) وقد عهد لابنه الامام الصادق ان ينفق من بعده على اصحابه وتلاميذه ليتفرغوا الى نشر العلم واداعته بين الناس.

صدقاته على فقراء المدينة :

وكان الامام (ع) كثير البر والمعروف على فقراء يثرب ، وقد أحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار (١٦) وكان يتصدق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول : « الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الايام » (١٧).

(١٣) شرح شافية ابي فراس ٢ / ١٧٦ من مصورات مكتبة الحكيم.

(١٤) شرح شافية ابي فراس ٢ / ١٧٦.

(١٥) شرح شافية ابي فراس ٢ / ١٧٦.

(١٦) شرح شافية ابي فراس ٢ / ١٧٦.

(١٧) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ٤٧١.

كرمه وسخاؤه :

أما الكرم فهو من العناصر الاولية لأئمة أهل البيت (ع) فقد بسطوا أيديهم بسخاء نادر الى الفقراء والسائلين ، وفيهم يقول الشاعر :

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم لوجدته منهم على اميال
إن جئتهم أبصرت بين بيوتهم كرما يقيك مواقف التسال
نور النبوة والمكارم فيهم متوقد في الشيب والاطفال^(١٨)
ويقول فيهم الكميت :

والغيوث الليوث إن أمحل الناس فمأوى حواضن الايتام
ويقول الكميت :

إذا انشأت منهم بارض سحابة وما ابدع ما قيل مما ينطبق عليهم :

كرموا وجاد قبيلهم من قبلهم وبنوهم من بعدهم كرماء
فالناس ارض في السماحة والندى وهم إذا عد الكرام سماء
لقد فطر الامام على حب الخير وصلة الناس وادخال السرور عليهم يقول ابن الصباغ : « كان محمد بن علي بن الحسين مع ما هو عليه من العلم والفضل والرئاسة والامامة ظاهر الجود في الخاصة والعامة ، مشهور بالكرم في الكافة معروف بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله »^(١٩).

ويقول المؤرخون : انه كان اقل أهل بيته مالا وأعظمهم مئونة^(٢٠)

(١٨) زهر الآداب ١ / ٩٤ .

(١٩) الفصول المهمة (ص ٢٢٧) .

(٢٠) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ١٧٦ .

ومع ذلك فكان وجود بما عنده لانعاش الفقراء والمحرومين ، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه ومن بينها :

- ١ . حدث كل من عبد الله بن عبيد وعمرو بن دينار قالا : ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي إلا وحمل إلينا النفقة والكسوة ، ويقول : هذه معدة لكم قبل أن تلقوني^(٢١).
- ٢ . روى سليمان بن قرم قال : كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم الى الستمائة درهم الى الألف ، وكان لا يمل من صلة الإخوان وقاصديه وراجيه^(٢٢).
- ٣ . قال الحسن بن كثير : شكوت الى أبي جعفر محمد بن علي الحاجة وجفاء الاخوان فتأثر (ع) وقال : بئس الأخ يركعك غنيا ، ويقطعك فقيرا ، ثم أمر غلامه فاخرج كيسا فيه سبعمائة درهم ، وقال : استنفق هذه فاذا نفذت فاعلمني ..^(٢٣)
- ٤ . وكان (ع) يحبو قوما يغشون مجلسه من المائة الى الالف ، وكان يحب مجالستهم منهم عمرو بن دينار ، وعبد الله بن عبيد ، وكان يحمل إليهم الصلة والكسوة ، ويقول : هيأناها لكم من أول السنة^(٢٤).
- ٥ . روت مولاته سلمى قالت : كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ، ويلبسهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم وقد عدلته سلمى عن ذلك فقال لها : يا سلمى ما يؤمل في

(٢١) الارشاد (ص ٢٩٩) .

(٢٢) الارشاد (ص ٢٩٩) .

(٢٣) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ .

(٢٤) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢١٧) .

الدنيا بعد المعارف والاخوان .. (٢٥) وكان يقول : « ما حسنت الدنيا إلا صلة الاخوان والمعارف (٢٦) هذه بعض البوادر التي أثرت عن كرمه وسخائه ، وهي تكشف عن أن الاحسان والبر كانا من عناصره ومن مقوماته.

عبادته :

كان الامام ابو جعفر (ع) من أئمة المتقين في الاسلام ، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه ، فاقبل على ربه بقلب منيب ، واخلص في طاعته كاعظم ما يكون الاخلاص ، اما مظاهر عبادته.

أ. خشوعه في صلاته :

وروى المؤرخون أنه اذا اقبل على الصلاة اصفر لونه (٢٧) خوفا من الله وخشية منه ، فقد عرف عظمة الله تعالى ، خالق الكون وواهب الحياة فعبده عبادة المتقين والمنيبين.

ب. كثرة صلاته :

وكان كثير الصلاة فكان . فيما يقول الرواة . يصلي في اليوم والليله مائة وخمسين ركعة (٢٨) ولم تشغله شغونه العلمية ، ومرجعيته العامة للأمة عن كثرة الصلاة ، فقد كانت اعز شيء عنده لانها الصلة بينه

(٢٥) اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٥٠٦ ، صفة الصفوة ٢ / ٦٣ .

(٢٦) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ ، اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٥٠٦ .

(٢٧) تاريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ .

(٢٨) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٥ ، تأريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ ، حلية الاولياء ٣ / ١٨٢ .

وبين الله.

ج . دعاؤه في سجوده :

جاء في الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد ، فكان الامام (ع) في سجوده يتجه بقلبه وعواطفه نحو الله ويناجيه بانقطاع واخلاص ، وقد أثرت عنه بعض الادعية وهذه بعضها.

١ . ما رواه اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال :

كنت أمهد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي ، فاذا آوى الى فراشه ونام قمت الى فراشي ، وقد ابطأ علي ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعد ما هدأ الناس ، فاذا هو في المسجد ساجد ، وليس في المسجد غيره فسمعت حينه وهو يقول :
« سبحانك اللهم ، أنت ربي حقا حقا ، سجدت لك يا ربي تعبدا ورقا ، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي .. اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ، وتب علي انك أنت التواب الرحيم .. » (٢٩)

٢ . ما رواه أبو عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا جعفر يقول : وهو ساجد.

« أسألك بحق حبيبك محمد (ص) إلا بدلت سيئاتي حسنات ، وحاسبني حسابا يسيرا. »

ثم قال : في السجدة الثانية.

« أسألك بحق حبيبك محمد (ص) إلا ما كفيته مؤونة الدنيا ، وكل

(٢٩) فروع الكافي ٣ / ٣٢٣.

هول دون الجنة».

ثم قال في الثالثة :

« اسألك بحق حبيبيك محمد لما غفرت الكثير من ذنوبي والقليل ، وقبلت مني

العمل اليسير».

ثم قال في الرابعة :

« اسألك بحق حبيبيك محمد (ص) لما ادخلتني الجنة ، وجعلتني من سكانها ،

ولما نجيتني من سفعات النار» (٣٠) برحمتك ، وصلى الله على محمد وآله ..» (٣١)

وكشفت هذه الادعية عن شدة تعلقه بالله ، وعظيم انابته إليه ، وتمسكه بطاعته.

د . دعاؤه في قنوته :

وأثرت عنه بعض الأدعية التي كان يدعو بها في قنوته وهي :

١ - « اللهم ان عدوي قد استسن في غلوانه ، واستمر في عدوانه ، وأمن بما شمله من الحلم عاقبة جرأته عليك ، وتمرد في مباينتك ، ولك اللهم لحظات سخط بيانا وهم نائمون ، ونهارا وهم غافلون ، وجهرة وهم يلعبون ، وبغته وهم ساهون ، وان الخناق قد اشتد ، والوثاق قد احتد ، والقلوب قد محيت ، والعقول قد تنكرت ، والصبر قد أودى ، وكادت تنقطع حباته ، فانك لبالمرصاد من الظالم ، ومشاهدة من الكاظم ، لا يعجلك فوت درك ، ولا يعجزك احتجاز محتجز ، وانما مهل استنباتا ، وحجتك على الاحوال البالغة الدامغة ، وبعبيدك ضعف البشرية وعجز الانسانية ، ولك سلطان الإلهية وملكة البرية ، وبطشة الاناة ، وعقوبة التأييد.

(٣٠) سفعات النار : هي لفحات السعير التي تغير بشرة الانسان لشدة حرارتها.

(٣١) فروع الكافي ٣ / ٣٢٢.

اللهم ان كان في المصابرة لحرارة المعان من الظالمين ، وكمد من يشاهد من المبدلين لك ، ومثوبة منك فهب لي مزيدا من التأييد ، وعونا من التسديد الى حين نفوذ مشيئتك فيمن اسعدته واشقيته من بريتك ، وامنن علي بالتسليم لمحتومات أفضيتك ، والتجرع لصادرات اقدارك ، وهب لي محبة لما احببت في متقدم ومتأخر ، ومتعجل ومتأجل ، والايثار لما اخترت في مستقرب ومستبعد ، ولا تخلنا مع ذلك من عواطف رحمتك ... وحسن كلائتك .. « (٣٢)

لا اكاد أعرف وثيقة سياسية حفلت بتحديد الاوضاع الراهنة في البلاد في ذلك العصر ، كهذا الدعاء الذي تحدث فيه الامام عن الازمات السياسية التي عاناها المسلمون أيام الحكم الاموي المعاصر له خصوصا عهد الطاغية عبد الملك بن مروان الذي جهد على اذلال المسلمين ، وارغامهم على ما يكرهون ، وقد سلط عليهم الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عاث في دينهم وديناهم ، وسعى في الارض فسادا ، فلم يترك لونا من الوان الظلم إلا صبه على المسلمين حتى طاشت الاحلام ، وبلغت القلوب الحناجر ، وأودى الصبر ، وانقطعت حباله ، والامام يطلب من الله ان ينقذ المسلمين من محتهم ، وينزل عقابه الصارم بالمردة الظالمين.

٢ . كان (ع) يدعو بهذا الدعاء في قنوته « بمنك وكرمك يا من يعلم هواجس السرائر ومكامن الضمائر ، وحقائق الخواطر ، يا من هو لكل غيب حاضر ، ولكل منس ذاك ، وعلى كل شيء قادر ، والى الكل ناظر ، بعد المهل وقرب الاجل ، وضعف العمل ، وأراب الامل .

وأنت يا الله الآخر كما أنت الاول مبيد ما أنشأت ، ومصيرهم الى

(٣٢) مهج الدعوات (ص ٥١) .

البلى ، وتقلدهم أعمالهم ، ومحملها ظهورهم الى وقت نشورهم من بعثة قبورهم عند نفخة الصور ، وانشقاق السماء بالنور ، والخروج بالمنشر الى ساحة المحشر ، لا ترتد إليهم أبصارهم وافئدتهم هواء ، متراطمين في غمة مما أسلفوا ، ومطالبين بما احتقبوا ، ومحاسبين هناك على ما ارتكبوا ، الصحائف في الاعناق منشورة ، والاوزار على الظهور مأزورة ، لا انفكاك ولا مناص ولا محيص عن القصاص قد اقحمتهم الحجة وحلوا في حيرة المحجة وهمس الضجة ، معدول بهم عن المحجة ، الا من سبقت له من الله الحسنى فجا من هول المشهد وعظيم المورد ، ولم يكن ممن في الدنيا تمرد ، ولا على أولياء الله تعند ، ولهم استعبد ، وعنهم بحقوقهم تفرد.

اللهم : فان القلوب قد بلغت الحناجر ، والنفوس قد علت التراقي والاعمار قد نفذت بالانتظار لا عن نقص استبصار ، ولا عن اتهام مقدار ، ولكن لما تعاني من ركوب معاصيك ، والخلاف عليك في أوامرك ونهيك ، والتلعب باوليائك ، ومظاهرة اعدائك .
اللهم : فقرب ما قد قرب ، وأورد ما قد دنى ، وحقق ظنون الموقنين وبلغ المؤمنين تأميلهم من اقامة حقاك ونصر دينك واظهار حجتك .. » (٣٣)

وحفل هذا الدعاء الشريف باعطاء صورة عن سعة علم الله ، واحاطته بكل شيء الظاهر والخفي ، كما حفل بذكر المعاد ، وحشر الناس جميعا يوم القيامة لعرضهم للحساب أمام الله ، وهم يحملون على ظهورهم وزر ما عملوه في دار الدنيا ، وانهم مطالبون بما اقترفوه ، ومحاسبون على ما عملوه ، ولا ينجو من أهوال ذلك المشهد الرهيب إلا من سبقت له من الله الحسنى ، ولم يكن من المتمردين في دار الدنيا ، ولا من المستعبدين لعباد الله ،

(٣٣) مهج الدعوات (ص ٥٢) .

وفيه تعريض بحكام الامويين الذين اتخذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، وان القلوب قد بلغت الحناجر ، من ظلمهم وجورهم حسبما يقول (ع).

حججه :

وكان الامام أبو جعفر (ع) اذا حج البيت الحرام انقطع الى الله واناب إليه وتظهر عليه آثار الخشوع والطاعة ، وقد روى مولاه أفلح قال : حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل الى المسجد رفع صوته بالبكاء فقلت له :

« بأبي أنت وأمي إن الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلا. »

فلم يعن به الامام وراح يقول له :

« ويحك يا أفلح اني ارفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إلي برحمة فافوز بها غدا .. »

«

ثم انه طاف بالبيت ، وجاء حتى ركع خلف المقام ، فلما فرغ واذا بموضع سجوده قد ابتل من دموع عينيه^(٣٤) وحج (ع) مرة وقد احتف به الحجاج ، وازدحموا عليه وهم يستفتونه عن مناسكهم ويسألونه عن أمور دينهم ، والامام يجيبهم ، وبهر الناس من سعة علومه ، وأخذ بعضهم يسأل بعضا عنه فأنبى إليهم شخص من اصحابه فعرفه لهم قائلا :
« إلا ان هذا باقر علم الرسل ، وهذا مبين السبل ، وهذا خير من رسخ في أصلاب أصحاب السفينة ، هذا ابن فاطمة الغراء العذراء الزهراء ، هذا بقية الله في أرضه ، هذا ناموس الدهر ، هذا ابن محمد وخديجة

(٣٤) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ ، تأريخ ابن عساكر ٥١ / ٤٤ ، مرآة الزمان ٥ / ٧٩ نور الابصار (ص ١٣٠).

وعلي وفاطمة ، هذا منار الدين القائمة .. » (٣٥).

ولم تذكر المصادر التي بأيدينا عدد حجه الى بيت الله الحرام ، فقد أهملت ذلك.

مناجاته مع الله :

كان الامام (ع) يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم ، وكان مما قاله في مناجاته

:

« أمرتني فلم آتمر ، وزجرتني فلم انزجر ، ها أنا ذا عبدك بين يديك. » (٣٦)

ذكره لله :

ويقول المؤرخون : إنه كان دائم الذكر لله ، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أكثر أوقاته ، فكان يمشي ويذكر الله ، ويحدث القوم ، وما يشغله ذلك عن ذكره تعالى ، وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس كما كان يأمرهم بقراءة القرآن ، ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر الله (٣٧).

زهده في الدنيا :

وزهد الامام أبو جعفر (ع) في جميع مباهج الحياة وأعرض عن زينتها فلم يتخذ

الرياش في داره ، وإنما كان يفرش في مجلسه حصيرا (٣٨)

(٣٥) مناقب ابن شهرآشوب ٤ / ١٨٣ .

(٣٦) حلية الاولياء ٣ / ١٨٢ ، صفة الصفوة ٢ / ٦٣ ، نور الابصار (ص ١٣٠) .

(٣٧) اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ٤٧١ .

(٣٨) دعائم الاسلام ٢ / ١٥٨ .

لقد نظر الى الحياة بعمق وتبصر فى جميع شئونها فزهد فى ملاذها ، واتجه نحو الله تعالى
بقلب منيب ، يقول جابر بن يزيد الجعفي : قال لي محمد ابن علي :

« يا جابر إني لمحزون ، واني لمشتغل القلب .. »

فأنبرى إليه جابر قائلاً :

« ما حزنك ، وما شغل قلبك؟ » فاجابه (ع) بما احزنه وزهده فى هذه الحياة قائلاً

:

« يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه ، يا جابر ما

الدنيا؟ وما عسى أن تكون ، هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها .. »

(٣٩)

وأثرت عنه كلمات كثيرة فى الحث على الزهد ، والاقبال على الله ، والتحذير من

غرور الدنيا ، وآثامها يعرض لها هذا الكتاب ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مظاهر

شخصيته المشرقة.

(٣٩) البداية والنهاية ٩ / ٣١٠ .

مواهبه وعبقریاته

وتفجرت مواهب الامام أبي جعفر (ع) وعبقرياته بطاقات هائلة من العلم شملت جميع أنواع العلوم والمعارف من الحديث والفلسفة وعلم الكلام والفقه والحكم العالية والآداب السامية مضافا الى الملاحم وهي الاحداث التي اخبر عنها قبل وقوعها ، ثم تحققت بعد ذلك على مسرح الحياة ... والذي يدل على مدى سعة علومه أنه مع كثرة ما انتهل العلماء من نمير علومه فانه كان يجد في نفسه ضيقا وحرجا لكثرة ما عنده من العلوم التي لم يجد لبثها ونشرها سبيلا فكان . فيما يقول الرواة . يصعد آهاته ، ويقول بحسرات :

« لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل . لنشرت التوحيد والاسلام والدين والشرائع ... وكيف لي بذلك ، ولم يجد جدي أمير المؤمنين (ع) حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ، ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فان بين الجوانح علما جما ... » (١)

واجمع المؤرخون والرواة على أنه كان من أثرى رجال الفكر والعلم في عصره في مواهبه وقدراته العلمية ، وانه ممن رفع منار العلم ، وأبرز حقائقه وظهر كنوزه حسبما أدلى به المترجمون له ، كما ألمعنا الى ذلك في البحوث السابقة ... وقبل البحث عن العلوم التي خاضها نتعرض الى بعض النقاط التي ترتبط بالموضوع :

الحياة العلمية في عصره :

ومنيت الحركة العلمية . في عصر الامام . بكثير من الجمود والخمول فلم يعد لها أي ظل على واقع الحياة ، فقد جرفت الناس التيارات السياسية ، وتهالكت البيوتات الرفيعة على الظفر بالحكم ، فزجت بطاقتها البشرية

(١) سفينة البحار ٢ /

والمالية في حروب طاحنة مريعة ومذهلة منيت الأمة فيها بأفدح الخسائر وافظع النكبات .
لقد اتجهت الأمة اتجاها عسكريا مدمرا فيما بينها ، ولم يكن فيها أي بصيص لنور
العلم والفكر ، فقد خبأ ذلك النور الذي فجره الاسلام في العالم ، وأراد للبشرية أن تسير
على ضوئه لتحقيق أهدافها من الأمن والرخاء والتطور ...

الدور المشرق للامام :

أطل الامام أبو جعفر (ع) على عالم ملئ بالفتن والاضطراب والاحداث ، ورأى
الأمة الاسلامية قد فقدت جميع مقوماتها ، ولم تعد كما يريد الله في وحدتها وتكاملها
، وتطورها في ميادين العلم والانتاج .. ووجه الامام بحكم قيادته الروحية جهده لإعادة
مجد الأمة ، وبناء كيانها الحضاري ، ورفع منار العلم ، واقام صروح الفكر ، وقد انصرف
عن كل تحرك سياسي ، واتجه صوب العلم وحده متفرغا له يقول المستشرق « رواية م .
رونلدس » « وعاش مكرما متفرغا للعلم في عزلته بالمدينة ، وكان الناس يأتونه فيسألونه عن
الامامة » (٢).

وقد خف إليه زمرة من اعيان الأمة لتلقي العلوم منه ، وكان ممن وفد عليه العالم
الكبير جابر بن يزيد الجعفي فقد قال له الامام في أول التقائه به :

. من أين أنت؟

. من اهل الكوفة.

. ممن؟

(٢) عقيدة الشيعة (ص ١٢٣) .

. من جعف .

. ما أقدمك هنا؟

. طلب العلم .

. ممن؟

. منك (٣) .

وقد أخذت الوفود العلمية تترى إليه لتأخذ عنه العلوم والمعارف ، يقول الشيخ ابو زهرة : « وما قصد أحد من العلماء مدينة النبي (ص) إلا عرج عليه ليأخذ عنه معالم الدين » (٤) وقد أخذ عنه أهل الفقه ظاهر الحلال والحرام (٥) .

وعلى أي حال فقد استمد العالم الاسلامي من الامام جميع مقومات نهوضه وارتقائه ، ولم يقتصر المد الثقافي الذي يستند إليه على عصره وإنما امتد الى سائر العصور التي تلت بعده ، فقد تبلورت الحياة العلمية ، وتطورت العلوم تطورا هائلا مما ازدهرت به الحياة العلمية في الاسلام .

إن الحياة الثقافية في الاسلام مدينة لهذا الامام العظيم فهو الباعث والقائد لها على امتداد التاريخ .

العلوم التي بحثها :

وخاض الامام عدة علوم في بحوثه التي القاها على العلماء في الجامع النبوي أو في بهو بيته ، وكان من بينها .

(٣) المناقب ٣ / ٣٣١ .

(٤) الامام زيد (ص ٢٢) .

(٥) عيون الاخبار وفنون الآثار (٢١٣) .

الحديث :

وأولى الامام أبو جعفر (ع) المزيد من اهتمامه في الحديث الوارد عن جده رسول الله (ص) وعن آباءه الأئمة الطيبين (ع) فهو المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم وله الاهمية البالغة في الشريعة الاسلامية فهو يتولى تخصيص عمومات الكتاب ، وتقييد مطلقاته ، وبيان ناسخه من منسوخه ، ومجمله من مبينه ، كما يعرض لاحكام الفقه من العبادات والمعاملات ، واعطاء القواعد الكلية التي يتمسك بها الفقهاء في استنباطهم للحكم الشرعي ، وبالإضافة الى ذلك كله فان فيه بنودا مشرقة لأداب السلوك ، وقواعد الاجتماع ، وتنظيم الأسرة ، وصيانتها من التلوث بجرائم الآثام ، الى غير ذلك مما يحتاج إليه الناس في حياتهم الفردية والاجتماعية. فلذلك عنى به الامام أبو جعفر (ع) ، وتبناه بصورة إيجابية ، وقد روى عنه جابر بن يزيد الجعفي سبعين الف حديث ، وأبان بن تغلب مجموعة كبيرة ، كما روى عنه غيرهما من أعلام أصحابه طائفة كبيرة من الاخبار.

والشيء المهم ان الامام أبا جعفر (ع) قد اهتم بفهم الحديث ، والوقوف على معانيه ، وقد جعل المقياس في فضل الراوي هو فهمه للحديث ومعرفة مضامينه ، فقد روى يزيد الرزاز عن أبيه عن أبي عبد الله عن أبيه انه قال له :

« اعرف منازل الشيعة على قد رواياتهم ، ومعرفتهم ، فان المعرفة هي الدراية للرواية ، وبالدراية للرواية يعلو المؤمن الى أقصى درجات الايمان .. إنني نظرت في كتاب لعلي فوجدت في الكتاب أن قيمة كل امرئ وقدره معرفته ان الله تعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من

العقول في دار الدنيا .. » (٦)

إن وعي الراوي للحديث ووقوفه على معناه مما يستدل به على سمو منزلته ، وعظيم مكانته العلمية.

ولشدة اهتمام الامام وعنايته بالحديث فقد وضع بعض القواعد لتمييز الصحيح من غيره عند تعارض الاخبار سنذكرها عند البحث عن علم الاصول الذي خاضه الامام.

روايات الأئمة :

أما روايات الأئمة الطاهرين (ع) التي أثرت عنهم في عالم التشريع والاحكام فهي لا تحكي آرائهم الخاصة وانما هي امتداد لقول الرسول (ص) ورأيه ولذا الحقت بالسنة . عند الشيعة . وقد ألمع الى ذلك الامام أبو جعفر (ع) في حديثين له مع جابر بن يزيد الجعفي .

١ . قال (ع) لجابر : « إنا لو كنا نحدثكم برأينا لكنا من الهالكين ، ولكننا

نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم .. » (٧)

٢ . قال (ع) لجابر : « والله يا جابر لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم برأينا لكنا

من الهالكين ، ولكننا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله (ص) يتوارثها كابر عن كابر نكنزها

كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم .. » (٨)

اذن فلم تستند احاديث أئمة اهل البيت (ع) لهم ، وانما تستند الى

(٦) ناسخ التواريخ ٢ / ٢١٩ .

(٧) ناسخ التواريخ ٢ / ٢١٧ .

(٨) ناسخ التواريخ ٢ / ٢١٧ .

جدهم الرسول (ص) ، وهم الذين حافظوا على تراثه العلمي فكنزوه كما يكتز الناس الذهب والفضة.

أحاديث الامام الباقر :

أما احاديث الامام أبي جعفر (ع) عن جديه رسول الله (ص) والامام أمير المؤمنين (ع) فهي على قسمين :

الأولى : - مرسلة وهي التي لم يذكر فيها رجال السند ، وينسب الامام الحديث رأسا الى النبي (ص) أو للإمام أمير المؤمنين (ع) وقد سئل ٧ عن سنده في ذلك فقال : « إذا حدثت بالحديث فلم اسنده فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) عن جبرائيل عن الله عز وجل .. »^(٩)

الثانية : - المسندة ، وهي التي يذكر فيها سنده عن آباءه الطاهرين عن رسول الله (ص).

وسواء أكانت روايته مرسلة أم مسندة فهي حجة بلا خلاف عند الشيعة إن صح طريق سندها إليه والافتعال معاملة بقية الاخبار التي فيها الضعيف والموثق والحسن.

رواياته عن النبي :

أما احاديثه عن النبي (ص) فهي تتعلق تارة بالفقه الاسلامي ، وقد عرضت لها موسوعات الفقه والحديث ، واخرى بآداب السلوك والاخلاق ، كما عرضت بعضها لفضل العترة الطاهرة ولزوم مودتها ، وفيما يلي ذلك :

١ - روى (ع) عن آباءه عن رسول الله (ص) أنه قال : « فضل

(٩) أعلام الوري (ص ٢٧٠).

العلم أحب الى الله من فضل العبادة ، وأفضل دينكم الورع .. » (١٠)
وفي هذا الحديث دعوة الى طلب العلم والحث عليه فهو أفضل من العبادة التي لا
ينتفع بها الا صاحبها ، كما فيه الحث على الورع عن محارم الله والاجتناب عن المآثم
التي تؤدي الى سقوط الشخص وانحرافه عن الطريق القويم.

٢ . روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « ما جمع شيء الى شيء
أفضل من حلم الى علم .. » (١١)

ان الانصاف بالعلم والحلم مما يرفعان مستوى الشخص ، ويميزانه عن غيره فليس
هناك شيء أفضل من هاتين الخصلتين.

٣ . روى (ع) بسنده عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « فوق كل بر بر ،
فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر ، وفوق كل عقوق عقوق حتى يقتل الرجل أحد والديه
فاذا قتل احدهما فليس فوقه عقوق .. » (١٢) ان منتهى البر وغايته هي الشهادة في سبيل
الله فاذا استشهد الشخص من اجل ذلك فقد انتهى الى غاية البر ، كما ان منتهى الأثم
والعقوق هي قتل الرجل احد والديه فاذا فعل ذلك فقد سقط في حضيض من الأثم ليس له
من قرار.

٤ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من المروءة استصلاح المال . » (١٣)

(١٠) الخصال : (ص ٤) .

(١١) الخصال (ص ٥) .

(١٢) الخصال (ص ١٠) .

(١٣) الخصال (ص ١١) .

وحث الرسول (ص) أصحاب رءوس الاموال على استثمار أموالهم في الوجوه المشروعة لازدهار الاقتصاد العام وزيادة الدخل الفردي ، ونفي الحاجة من البلاد ، ونهاهم عن التبذير او حبس الاموال وعدم تشغيلها فان ذلك مما يعود بأضرار بالغة على اقتصاد البلاد.

٥ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن الله تبارك وتعالى اهدى إلي والى أمتي هدية لم يهداها الى أحد من الأمم كرامة من الله لنا ، فقال أصحابه : وما ذاك يا رسول الله؟ قال : الافطار في السفر والتقصير في الصلاة .. » (١٤)

حقا ان تقصير الصلاة والافطار في السفر من ألطاف الله تعالى على هذه الأمة فان المسافر في عناء وجهد فاذا وجب عليه الصوم واتمام الصلاة فقد اضاف الى عنائه عناء والى مشقته مشقة أخرى.

٦ . قال (ع) : أتى رجل الى النبي (ص) فقال له : مالي لا أحب الموت؟ فقال (ص) : الك مال؟ قال : نعم ، قال : فقدمته؟ قال : لا . قال : فمن ثم لا تحب الموت .. » (١٥)

ان هذا الانسان لو قدم لآخرتة وسعى لها لأحب الدار الآخرة ليستوفي اجر ما عمله ، ولكنه لم يفعل شيئا مما يقربه الى الله زلفى فلذا كره الموت ، وكره ملاقاتة الله تعالى .

٧ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إلا ان شرار أمتي الذين يكرمون مخافة شرهم ، إلا وان من اكرمهم الناس اتقاء شره فليس مني .. » (١٦)

(١٤) الخصال (ص ١٤) .

(١٥) الخصال (ص ١٤) .

(١٦) الخصال (ص ١٥) .

إن شرار هذه الأمة الذين يكرمون ويعظمون لا لفضيلة فيهم أو احسان اسدوه الى الناس ، وانما لاتقاء شرورهم ومخافة ظلمهم فان هؤلاء ليسوا من الاسلام الذي جاء بالرحمة والاحسان الى الناس.

٨ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « رأس العقل بعد الايمان بالله عز وجل التحيب الى الناس .. » (١٧)

ما أروع هذه الحكمة وما اجلها!! فان التحيب الى الناس اما بقضاء حوائجهم أو جلب الخير لهم ، ودفع الظلم عنهم أو مقابلتهم بالاخلاق الرفيعة مما يوجب شيوع المحبة بين الناس وربط الهيئة الاجتماعية بعضها ببعض ، وهذا ما يحرص عليه الاسلام ، ومما اقام مجتمعه عليه.

٩ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه ، فاني مسئول ، وإنكم مسئولون ، اني مسئول عن تبليغ الرسالة ، وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي . » (١٨)

وفي هذا الحديث دعوة الى القراء والى سائر رجال الدين للقيام بدورهم في تحمل المسؤولية بارشاد الناس وهدايتهم ، وتبليغهم بما أمر الله به وعما نهى عنه.

١٠ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « خلقت أنا وعلي من نور واحد .. » (١٩)
ان رسول الله (ص) وعلي (ع) خلقا من نور واحد اضاء آفاق

(١٧) الخصال (ص ١٧).

(١٨) اصول الكافي ٢ / ٦١٦.

(١٩) الخصال (ص ٣١).

هذا الكون ، فهما مصدر الفكر والوعي لهذه الأمة ، وهما رائدا الانسانية لكل ما تسمو به.

١١ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « اشتد غضب الله وغضبي على من اهراق دمي وأذاني في عترتي .. » (٢٠)

الويل كل الويل للزمرة الخائنة التي لم تحفظ وصية رسول الله (ص) في عترته وأهل بيته فأبادتهم وقطعت أوصالهم ، وسبت ذراريهم وانتهكت حرمتهم.

١٢ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « يحشر أبي ابراهيم وعلي وينادي مناد يا محمد نعم الأب أبوك ، ونعم الأخ أخوك .. » (٢١)

إلا بوركت تلك الابوة الزاكية لإبراهيم خليل الرحمن ، وتلك الاخوة الصادقة للإمام أمير المؤمنين الى الرسول الاعظم (ص) وينادي بهما يوم حشر الناس على صعيد الحق والعدل لظهار فضلها وسمو مكاتتهما عند الله.

١٣ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) لعلي : « لولاك ما عرف المؤمنون بعدي .. » (٢٢)

لقد كان الامام أمير المؤمنين (ع) هو المقياس للأيمان ، والمقياس للحق والعدل فما آمن به إلا كل من آمن بربه ووطنه وأمته ، وما جحده إلا كل من تنكر للعدل ، وتنكر لصالح أمته ، واعرض عن ذكر الله واتخذ آياته هزوا.

(٢٠) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي (ص ٤٠).

(٢١) كفاية الطالب (ص ١٨٥) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٤٢).

(٢٢) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٤٤).

١٤ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « تحشر ابنتي فاطمة ، ومعها ثياب مصبوغة فتعلق بقائمة العرش ، وتقول : يا جبار احكم بيني ، وبين قاتل ولدي . يعني الحسين . فيحكم لابنتي ورب الكعبة .. » (٢٣)

لقد أذاع النبي (ص) بين المسلمين في كثير من مواقفه عن مقتل سبطه العظيم الامام الحسين (ع) واعلن . في هذا الحديث . ان بضعتة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) سترفع يوم القيامة قميص ولدها الملطخ بدمائه الزكية وتطالب الحاكم العدل أن يحكم بينها وبين قاتله ، فالويل كل الويل لمن كانت العترة الطاهرة خصما له في ذلك اليوم الذي يخسر فيه المبطلون .

١٥ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ان الله جعل ذرية محمد (ص) من صلب علي .. » (٢٤)

إلا بوركت تلك الذرية الطاهرة التي اعز الله بها كلمة الحق ، واضاء بها الطريق ، وأوضح بها القصد ، وجعلها الأدلاء على طاعته والقادة الى سبيله .

١٦ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من اسبغ وضوءه ، واحسن صلاته ، وادى زكاة ماله ، وكف غضبه ، وسجن لسانه ، وبذل معروفه واستغفر لذنبه ، وأدى النصيحة لأهل بيتي فقد استكمل حقائق الايمان وأبواب الجنة له مفتحة .. » (٢٥)

ان هذه الاعمال مما تقرب العبد الى خالقه ، ويصل بها الانسان الى حقيقة الايمان ، ويستوجب بها الجنان .

(٢٣) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٦٤) مقتل الخوارزمي (ص ٥٢) .

(٢٤) بنايع المودة (ص ٢٦٦) مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٢ .

(٢٥) مناقب علي بن أبي طالب (ص ٤٠) .

١٧ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « غريبتان فاحتملوهما كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها ، وكلمة سفه من حكيم فأغفروها .. » (٢٦)

ان صدور الحكمة من السفه لغريب ، ولو صدرت منه للزم الأخذ بها ولا يعنى بقائلها ، كما أن صدور السفه من الحكيم لغريب باعتبار كماله وحكمته فاذا نطق بذلك فينبغي أن لا يؤاخذ عليه .

١٨ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « نعمتان مكفورتان الأمن والعافية .. » (٢٧)

لقد كفر الناس بهاتين النعمتين اللتين لا تطيب الحياة من دونهما ، وإنهم لم يؤدوا لله شكرا عليهما .

١٩ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « صنفتان من امتي اذا صلحا صلحت أمتي ، وإذا فسدا فسدت أمتي ، قيل يا رسول الله ومن هما؟ قال : الفقهاء والامراء .. » (٢٨)

ان الاصلاح الاجتماعي يتوقف على صلاح هذين الصنفين فاذا صلحا فقد سعدت الأمة ، وحققت ما تصبو إليه ، واذا شذا عن سنن الحق وانحرفا عن العدل أصيبت الامة بتدهور سريع في جميع مجالاتها .

٢٠ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن الجنة ليوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجدها عاق ، ولا ديوث ، قيل يا رسول الله وما الديوث؟ قال : الذي تزني امرأته وهو يعلم .. » (٢٩)

(٢٦) الخصال (ص ٣٤) .

(٢٧) الخصال (ص ٣٥) .

(٢٨) الخصال (ص ٣٦) .

(٢٩) الخصال (ص ٣٧) .

ان العاق لأبويه ، والديوث الذي لا شرف له لا يستحقان أن ينعموا بالفردوس الأعلى الذي هو مقر الأنبياء والصالحين ، بل لا يليق بهما إلا أن يكونا مقرنين بالاصفاد في النار.

٢١ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « لا خير في العيش إلا لرجلين : عالم مطاع أو مستمع واع ... » (٣٠)

ان الخير في هذه الحياة انما هو للعالم الذي يطاع فيما يأمر به من القيم الكريمة والمثل الرفيعة ، فاذا تم له ذلك فقد نجح في اداء رسالته وحقق ما يصبو إليه ، وكذلك الخير في الحياة إنما هو للمستمع الواعي الذي يعي الاهداف النبيلة في رسالة المصلحين ويعمل بها.

٢٢ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من واسى الفقير ، وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقا .. » (٣١)

إن مواساة الفقراء ماديا ومعنويا دليل على قوة الايمان وتكامله ، كما ان انصاف الناس آية على سمو الشخص وتجرده من الانانية وسائر الامراض النفسية ، وهذا هو واقع الايمان وجوهر الاسلام.

٢٣ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « يلزم الوالدين من العقوق لولدهما اذا كان الولد صالحا ما يلزم الولد لهما .. » (٣٢)

ان العقوق لا يقتصر على الولد تجاه أبويه ، وإنما يشملهما فيما اذا اساءا إليه على غير وجه مشروع فانهما يتحملان اثم ما اقترفاه تجاهه.

٢٤ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ما انفق مؤمن نفقة

(٣٠) الخصال (ص ٤١) .

(٣١) الخصال (ص ٤٧) .

(٣٢) الخصال (ص ٥٨) .

هي أحب الى الله عز وجل من قول الحق في الرضا والغضب .. » (٣٣)
ما أروع هذه الحكمة انها دستور الاسلام الذي يؤثر الحق والعدل بين الناس على كل شيء.

٢٥ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الاسلام الغلاة والقدرية .. » (٣٤)

أما الغلاة فهم الذين يزعمون أن الامام أمير المؤمنين (ع) هو الله تعالى أو انه ابن الله فهؤلاء ليسوا من فرق الاسلام . عند الشيعة . وإنما هم من الكفار ويعاملون معاملتهم ، قال السيد الحميري في هجائهم :

قوم غلوا في علي لا أبا لهم وأجشموا أنفسا في حبه تعبوا
قالوا : هو ابن الاله جل خالقنا من أن يكون له ابن أو يكون أبا (٣٥)
أما القدرية : فهم القائلون : بأن الخير والشر كله من الله وبتقديره ومشيعته (٣٦)
وهؤلاء ليس لهم نصيب من الاسلام.

٢٦ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله عز وجل (يوم القيامة) يوم لا ظل إلا ظله : رجل اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لها ، ورجل لم يقدم رجلا ، ولم يؤخر أخرى حتى يعلم ان ذلك لله فيه رضى

(٣٣) الخصال (ص ٦٠) .

(٣٤) الخصال (ص ٧١) .

(٣٥) العقد الفريد ٥ / ٢٢٧ .

(٣٦) سفينة البحار ٢ / ٤٠٩ ، وذكر الشيخ ابو زهرة في المذاهب الاسلامية (ص ١٨٥) ان القدرية هم الذين غالوا في قدرة الانسان ، وقالوا : ان كل فعل للانسان يستند الى ارادته المستقلة عن إرادة الله .

أو سخط ، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب من نفسه ، فانه لا ينفي منها عيبا إلا بدأ له عيب وكفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس .. » (٣٧)

وفي هذا الحديث دعوة الى مكارم الاخلاق ، وحسن السلوك مع الناس ، والتحذير من ذكر مساوئ الناس.

٢٧ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاث يحسن فيهن الكذب : المكيدة في الحرب ، وعدتك زوجتك ، والاصلاح بين الناس ، وثلاث يقبح فيهن الصدق النميمة ، واخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه ، وتكذيبك الرجل عن الخير ، وثلاثة مجالستهم تميت القلب مجالسة الانذال ، والحديث مع النساء ، ومجالسة الاغنياء .. » (٣٨)

وسوغ النبي (ص) الكذب في تلك المواضع نظرا للمصالح التي تترتب عليها ، وقد قال العلماء : ان الكذب ليس علة تامة للقبح ، وانما هو مقتض له فاذا وجد ما يرفع قبحه من المصالح جاز للمكلف فعله ، وكذلك يقبح الصدق في تلك المواضع نظرا للمفاسد التي تترتب عليه.

٢٨ . قال (ع) : قال رسول الله : « كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين : عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت ساهرة في سبيل الله .. » (٣٩)

٢٩ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن أسرع الخير ثوابا

(٣٧) الخصال (ص ٧٨) .
(٣٨) الخصال (ص ٨٤) .
(٣٩) الخصال (ص ٩٤) .

البر وان أسرع الشر عقابا البغي ، وكفى بالمرء عيبا أن ينظر من الناس الى ما يعمى عنه من نفسه ، ويعير الناس بما لا يستطيع تركه ، ويؤذي جليسه بما لا يعنيه .. » (٤٠)

وفي هذا الحديث الحث على فعل الخير ، والتحذير من الشر والبغي على الناس ، والتنديد بمن ينظر الى عيوب الناس ، ولا ينظر الى ما فيه من نقص.

٣٠ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « لا سهر إلا في ثلاث : متهجدا بالقرآن أو في طلب العلم ، أو عروس تهدي الى زوجها .. » (٤١)

٣١ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ، ولا من الله عز وجل ، قيل : يا رسول الله وما هن قال : حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن معاصي الله عز وجل .. » (٤٢). ويدعو هذا الحديث الى تكوين شخصية المسلم ، على أسس رفيعة من الحلم وحسن الاخلاق ، والورع عن محارم الله.

٣٢ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « ثلاثة يشفعون الى الله عز وجل فيشفعون : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء .. » (٤٣)

٣٣ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « الايمان معرفة بالقلب ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان » (٤٤).

(٤٠) الخصال (ص ١٠٦).

(٤١) الخصال (ص ١٠٨).

(٤٢) الخصال (ص ١٣٨).

(٤٣) الخصال (ص ١٤٧).

(٤٤) الخصال (ص ١٦٤).

ليس الايمان لفظا تلوكه الألسن ، وانما هو امر مستقر في اعماق القلب ، ودخائل النفس ، ويدفع الانسان الى العمل عن يقين واخلاص

٣٤ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : لابي ذر « يا ابا ذر إياك والسؤال فانه ذل حاضر وفقر تتعجله ، وفيه حساب طويل يوم القيامة يا أبا ذر تعيش وحدك ، وتموت وحدك ، وتدخل الجنة وحدك يسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك ، يا أبا ذر لا تسأل بكفك ، وان أتاك شيء فاقبله ... ثم قال (ص) لاصحابه « الا اخبركم بشراركم؟ » « بلى يا رسول الله .. »

« المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب »^(٤٥) لقد اوصى النبي (ص) أبا ذر بالعفة والإباء ، واستشف (ص) من وراء الغيب عما يعانيه هذا المصلح العظيم من التنكيل والارهاق في سبيل اداء رسالته الاصلاحية الخالدة ، فقد اعلن ابو ذر سخطه على الامويين الذين تنكروا لحقوق الامة واستبدوا بثرواتها فاتخذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا فكان ابو ذر اللسان الناطق بحقوق المظلومين والمضطهدين والمترجم لآلامهم ، وقد ضاق الامويون منه ذرعا فنفوه الى الربذة وفرضت عليه الاقامة الجبرية في تلك البقعة الجرداء التي انعدمت فيها جميع وسائل الحياة ، وتوفى هذا الثائر العظيم جائعا منفيا عن وطن الله ووطن رسوله ، لقد توفى أبو ذر جائعا وفي أيدي الامويين ذهب الارض وثروات الأمة ، ينفقونها على شهواتهم وملذهم.

لقد مات أبو ذر من اجل أن يحقق العدالة الاجتماعية ، ويحقق

(٤٥) الخصال (ص ١٦٧).

الفرص المتكافئة بين الناس ، وينفي عنهم شبح الفقر وكابوس الظلم ، ويعيد فيهم حكم القرآن وعدالة الاسلام.

٣٥ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) لعلي : « يا علي أربعة لا ترد لهم دعوة : إمام عادل ، ووالد لولده ، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب ، والمظلوم يقول له الله عز وجل وعزتي وجلالي لا نتصرن لك ولو بعد حين ... » (٤٦)

٣٦ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) لعلي : « يا علي ان الله عز وجل أشرف على الدنيا فاخترني فيها على رجال العالمين ، ثم اطلع الثانية فاخترك على رجال العالمين بعدي ، ثم اطلع الثالثة فاختر الأئمة من ولدك على رجال العالمين ، ثم اطلع الرابعة فاختر فاطمة على نساء العالمين .. » (٤٧)

لقد اختار الله تعالى نبيه العظيم وأوصيائه الأئمة الطاهرين من بين خلقه فجعلهم خزنة لعلمه ، ومستودعا لحكمته ، وأركاناً لتوحيده ، ومنارا في بلاده وأدلاء ، على مرضاته وطاعته ، فصلوات الله عليهم.

٣٧ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « اربع من كن فيه كان في نور الله الاعظم من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله واني رسول الله ومن اذا اصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ومن اذا اصاب خيرا قال : الحمد لله رب العالمين ، ومن اذا أصاب خطيئة قال : استغفر الله وأتوب إليه .. » (٤٨)

(٤٦) الخصال (ص ١٨٠).
(٤٧) الخصال (ص ١٨٨).
(٤٨) الخصال (ص ٢٠٣).

٣٨ . روى (ع) بسنده عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « أربع من كن فيه نشر الله عليه كنفه ، وادخله الجنة في رحمته : حسن خلق يعيش به في الناس ، ورفق بالمكروب ، وشفقة على الوالدين ، واحسان الى المملوك .. » (٤٩)

وفي هذا الحديث دعوة الى مكارم الاخلاق ، وحسن السلوك بين الناس والرفق والرحمة بالمعذبين والمنكوبين.

٣٩ . روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « اربع يمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء . يعني محادثتهن . وممارسة الاحمق ، تقول : ويقول : ولا يرجع الى خير أبدا ، ومجالسة الموتى ، فقيل له : يا رسول الله وما الموتى؟ قال : كل مترف .. » (٥٠)

وحذر النبي (ص) عن هذه الامور لأنها تميمت الضمير ، ويقسو بها القلب وقد حرص الاسلام كل الحرص على ضمير الانسان فأراده أن يكون واعيا متفتحا متنورا رحيمًا.

٤٠ . روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : في وصيته الى الامام أمير المؤمنين (ع) : « يا علي بادر بارع : بشبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك .. » (٥١)

ودعا النبي (ص) الى المبادرة لفعل الخير ، واغتنام الفرص للعمل الى ما يقرب العبد الى خالقه ، قبل أن يفوت الأوان ، فيخسر الانسان ما

(٤٩) الخصال (ص ٢٠٥) .
(٥٠) الخصال (ص ٢٠٨) .
(٥١) الخصال (ص ٢١٧) .

اعده الله له من النعم في دار الآخرة.

٤١ . روى (ع) عن آباءه عن رسول الله (ص) انه قال : « من علامات الشقاء جمود العين ، وقسوة القلب ، وشدة الحرص في طلب الرزق ، والاصرار على الذنب .. »
(٥٢)

وحذر النبي (ص) من هذه الأمور التي تبعد الانسان عن ربه ، وتلقيه في شر عظيم.
٤٢ . روى (ع) عن آباءه عن رسول الله (ص) أنه قال على منبره : « ألا ان خير الاسماء عبد الله ، وعبد الرحمن ، وحرثة ، وهمام وشر الاسماء ضرار ، ومرة وحرب وظالم .. » (٥٣)

واحب النبي (ص) للمسلمين أن يسموا ابناءهم بتلك الاسماء الكريمة وكره لهم ان يسموهم بتلك الاسماء الكريهة التي تحمل طابع الشر والسوء.

٤٣ . روى (ص) عن آباءه عن رسول الله (ص) أنه قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفق ، وعن حينا أهل البيت .. » (٥٤)

ان الله تعالى ليسأل هذا الانسان في يوم حشره عن كل شأن من شئون حياته في الدنيا فيسأله عن عمره هل انفق في طاعته ورضاه ليجزل له الثواب أو انه صرفه في اقتراف الأثم وظلم العباد ليعاقبه عليه ، وكذلك يسأله بصورة خاصة عن شبابه فيما ابلاه كما يحاسبه على امواله هل

(٥٢) الخصال (ص ٢٢١).

(٥٣) الخصال (ص ٢٢٨).

(٥٤) الخصال (ص ٢٣١).

اكتسبها بصورة مشروعة حتى لا يؤاخذ عليها أو أنه اكتسبها من الحرام ليعاقب عليها ، وكذلك يسأله عن الولاء لأهل البيت (ع) الذين هم مصدر النور والخير في الارض فان كان متمسكا بولائهم فقد فاز ونجا وإن كان منحرفا عنهم فقد ظل وغوى.

٤٤ - روى (ع) عن آباءه أن رسول الله (ص) خطب الناس في آخر جمعة من شهر

شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس انه قد اظلكم شهر فيه ليلة خير من الف شهر ، وهو شهر رمضان ، فرض الله صيامه ، وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور ، وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله ومن أدى فيه فريضة من فرائض الله كان كمن أدى فيه سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، وإن الصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزيد الله فيه في رزق المؤمن ، ومن فطر فيه مؤمنا صائما كان له بذلك عند الله عز وجل عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى .

فقليل له : يا رسول الله ليس كلنا يقدر أن يفطر صائما؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى كريم يعطي هذا الثواب منكم لمن لا يقدر إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائما ، أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك ، ومن خفف فيه عن مملوكه خفف عنه حسابه وهو شهر أوله رحمة ووسطه مغفرة ، وآخره اجابة والعتق من النار ، ولا غنى لكم فيه عن اربع خصال : خصلتين ترضون الله بهما ، وخصلتين لا غنى بكم عنهما ، اما اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إله إلا الله واني رسول الله ، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة ،

وتسألون الله فيه العافية ، وتتعوذون به من النار .. » (٥٥)

ان لشهر رمضان قداسة وحرمة عند الله فضله على سائر الشهور ودعا فيه الرسول

الى الطاعة والبر والاحسان على الفقراء ، وخصه بكثير من المميزات على بقية الشهور.

٤٥ . روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال في وصيته للإمام أمير

المؤمنين : « يا علي أربعة يذهبن ضياعا الأكل بعد الشبع ، والسراج في القمر ، والزرع في

السيخة ، والصنعة عند غير أهلها .. » (٥٦)

٤٦ . روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « خمس لا ادعهن حتى

الممات الأكل على الحضيض (٥٧) مع العبيد ، وركوبي الحمار مؤكفا (٥٨) وحلب العنز

بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي .. » (٥٩)

وهذه الأمور من معالي اخلاقه (ص) التي ساد بها على سائر النبيين وجلب بها

الناس الى حظيرة الايمان والاسلام.

٤٧ . روى (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « من باع واشترى فليجتنب

خمس خصال وإلا فلا يبيعن ولا يشتري : الربا ، والحلف ، وكتمان العيب ، والمدح اذا

باع ، والذم اذا اشترى .. » (٦٠)

(٥٥) الخصال (ص ٢٣٦).

(٥٦) الخصال (ص ٢٤٠).

(٥٧) الحضيض : القرار من الارض عند اسفل الجبل.

(٥٨) المؤكف : وضع البرذعة أو غيرها على الحمار.

(٥٩) الخصال (٢٤٧).

(٦٠) الخصال (ص ٢٦٠).

وعلى ضوء هذا النص افتي الفقهاء في كتاب البيع بما يلي :

- ١ . ان يتفقه البائع والمشتري في شئون المعاملات ليتجنبوا المعاملات الربوية التي هي من اعظم المحرمات في الاسلام.
- ٢ . ان يتجنبوا اليمين في المعاملة فانهما اذا كانا صادقين فيكره لهما ذلك ، واما اذا كانا كاذبين فانهما يقترفان الأثم والحرام.
- ٣ . أن لا يكتما العيب سواء أكان ذلك في الثمن أم في المثلن ، واذا حصل الكتمان وظهر أمره فللمغرور خيار الفسخ ونقض المعاملة.
- ٤ . ان يجتنب البائع مدح سلعته.
- ٥ . ان لا يذم المشتري ما اشتراه إذا كان سليما.
- ٤٨ . روى (ص) عن آبائه ان رجلا جاء الى رسول الله (ص) فقال له :
. يا رسول الله ما العلم؟
. الانصات .
. ثم مه؟
. الاستماع له .
. ثم مه؟
. الحفظ له .
. ثم مه؟
. العمل به .
. ثم مه؟
. نشره (٦١)

(٦١) الخصال (٢٦٢).

٤٩ . روى (ع) عن آباءه أن رسول الله (ص) قال لأصحابه : « استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : وما نفعل يا رسول الله؟ قال : فان كنتم فاعلين فلا يبيتن أحدكم إلا واجلا بين عينيه ، وليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر القبر والبلى ، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا .. » (٦٢)

ان الحياء إنما يتحقق من الانسان فيما إذا خاف ربه وحفظ لسانه من قول الباطل ، وبصره من النظر الى ما لا يحل له ، وذكر القبر ، وما يجري عليه من الأهوال فيه فان صنع ذلك فهو المستحي من الله.

٥٠ . قال (ع) : سئل رسول الله (ص) عن خيار العباد؟ فقال : « الذين اذا احسنوا استبشروا ، واذا اساؤوا استغفروا ، واذا اعطوا شكروا ، واذا ابتلوا صبروا ، واذا غضبوا غفروا .. » (٦٣)

٥١ . روى (ع) عن آباءه أن النبي (ص) قال في وصيته لعلي : « يا علي في الزنا ست خصال : ثلاث منها في الدنيا ، وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ، ويعجل الفناء ، ويقطع الرزق ، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب ، وسخط الرحمن ، والخلود في النار .. » (٦٤)

ان الزنا آفة اجتماعية ، وكارثة مدمرة للأخلاق ، وقد شدد الاسلام فيه وتوعد من يقترفه بأنواع العذاب في الدار الآخرة.

٥٢ . روى (ع) عن آباءه عن رسول الله (ص) انه قال : « الحكمة

(٦٢) الخصال (٢٦٧).

(٦٣) الخصال (٢٨٨).

(٦٤) الخصال (ص ٢٩٢).

في ستة اشياء : في الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، والسمن ، والزيت .. » (٦٥)

الاحتكار هو أحد العوامل المؤدية الى شل الحركة الاقتصادية في البلاد والى شيوع الفقر والحاجة بين الناس ، وقد حاربه الاسلام وشدد في أمره كأعظم ما يكون التشدد ، والزم ولاية أمر المسلمين بتسعير السلع ، وعدم الاجحاف في حق المواطنين فيها.

٥٣ . روى (ع) عن آباءه عن رسول الله (ص) أنه قال : « السحت ثمن الميتة ، و ثمن الكلب ، و ثمن الخمر ، ومهر البغي ، والرشوة في الحكم ، وأجرة الكاهن .. » (٦٦)

و حرم الاسلام بذل المال بازاء هذه الأمور ، وجعل التعامل بها من اكل المال بالباطل لأنها تؤدي الى تسيب الاخلاق ، وشيوع الفساد في الأرض.

٥٤ . روى (ع) عن آباءه ان رسول الله (ص) قال : « ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل لعترتي ما حرم الله ، والمتسلط بالجبروت ليزل من اعزه الله ، ويعز من اذله الله ، والمستأثر بفيء المسلمين المستحل له .. » (٦٧)

٥٥ . روى (ع) عن آباءه ان رسول الله (ص) قال لعلي : « يا علي حرم من الشاة سبعة أشياء : الدم والمذاكير ، والمثانة ، والنخاع

(٦٥) الخصال (ص ٣٠٠).

(٦٦) الخصال (ص ٣٠٠).

(٦٧) الخصال (ص ٣٠٨).

والغدد والطحال والمرارة .. » (٦٨)

وفي تحريم الاسلام لهذه الأمور وقاية للصحة العامة ، وضمان للمجتمع من أن يصاب بالأمراض ، وقد ثبت في الطب الحديث أنها مما تضر بالصحة العامة وإن اجتنابها أمر لازم.

٥٦ . روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال في وصيته لعلي : « يا علي ان الله تبارك وتعالى اعطاني فيك سبع خصال : أنت أول من ينشق عنه القبر معي ، وأنت أول من يقف على الصراط معي ، وأنت أول من يكسى إذا كسيت ، ويحيى إذا حييت ، وأنت أول من يسكن معي في عليين ، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك .. » (٦٩)

٥٧ . روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : « لم يعبد الله عز وجل بشيء افضل من العقل ، ولا يكون المؤمن عاقلا حتى تجتمع فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره ، ولا يتبرم بطلاب الحوائج قبله ، الذل احب إليه من العز ، والفقير احب إليه من الغنى ، نصيبه من الدنيا القوت ، والعاشرة وما العاشرة؟ لا يرى أحدا الا قال : هو خير مني وأتقى انما الناس رجالان ، فرجل هو خير منه واتقى ، وآخر هو شر منه وأدنى ، فاذا رأى من هو خير منه واتقى تواضع له ليلحق به ، وإذا رأى الذي هو شر منه وادنى قال : عسى خير هذا باطن وشره ظاهر عسى أن يختم له بخير فاذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه .. » (٧٠)

(٦٨) الخصال (ص ٣١٠).

(٦٩) الخصال (ص ٣١١).

(٧٠) الخصال (ص ٤٠٣).

وفي هذا الحديث وامثاله من الاحاديث النبوية دعوة الى اصلاح النفس ، وتهذيبها بمكارم الاخلاق ، ومحاسن الاعمال لتكون مصدر هداية للناس .

٥٨ . روى (ع) عن آباءه أن رسول الله (ص) لعن في الخمر عشرة : غارسها ، وحارسها ، وعاصرها ، وشاربها وساقها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وباعها ومشتريها وأكل ثمنها. « (٧١)

وشدد الاسلام في أمر الخمر كأعظم ما يكون التشدد فحرم ايجاده وصنعه ، كما حرم تعاطيه ، فان الخمر من أعظم الآفات الاجتماعية التي تضر بالصحة العامة ، وتسبب انتكاسة القيم وتدهور الاخلاق .

٥٩ . روى (ع) عن آباءه ان رسول الله (ص) قال : « البركة عشرة اجزاء تسعة اعشارها في التجارة ، والعشر الباقي في الجلود . يعني الغنم. » (٧٢)

٦٠ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « بني الاسلام على عشرة أسهم : على شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي الملة ، والصلاة وهي الفريضة ، والصوم ، وهو الجنة ، والزكاة وهي الطهر ، والحج وهو الشريعة ، والجهد وهو الغزو ، والأمر بالمعروف وهو الوفاء ، والنهي عن المنكر وهو الحجة ، والجماعة وهي الالفة ، والعصمة وهي الطاعة .. » (٧٣)

٦١ . روى (ع) عن النبي (ص) أنه قال : « إذا سألتم الله فسألوه بباطن الكفين ، وإذا استعذتموه فلا تستعيذوه بظاهرهما .. » (٧٤)

(٧١) الخصال ص ٤١٤ .

(٧٢) الخصال (ص ٤١٥) .

(٧٣) الخصال (ص ٤١٦) .

(٧٤) البيان والتبيين ٢ / ٢٦٣ .

٦٢ . روى (ع) عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : « اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة : حل بها البلاء ، اذا اكلوا الأموال دولا ، واتخذوا الامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، واطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبر صديقه وجفا أخاه ، وارتفعت الاصوات في المساجد ، وأكرم الرجل مخافة شره وكان زعيم القوم اذلهم ، واذا لبس الحرير ، وشربت الخمر ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة اولها فليترقبوا بعد ذلك ثلاث خصال : ريحا حمراء ، ومسحا ، وخسفا .. » (٧٥)

وهذه الأمور التي حذر عنها النبي (ص) هي من مدمرات الأمم ومن محطمت الشعوب ، واذا اقترفتها الأمة الاسلامية فسوف يحل بها عذاب الله ، وتجتاحها نقماته .
٦٣ . روى (ع) عن آبائه ان النبي (ص) قال : « من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا له .. » (٧٦)

وحث الاسلام على الكسب الحلال ، واعتبره جهادا وشرفا لصاحبه ، وإن من سعى لعياله ، وهو مكدود متعوب بات مغفورا له .

٦٤ . قال (ع) : سئل رسول الله عن خيار العباد؟ فقال (ص) : « الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا اعطوا شكروا ، واذا ابتلوا صبروا ، واذا غضبوا غفروا .. » (٧٧)
ان من يتصف بهذه الاخلاق الرفيعة فانه يكون من خيار الناس واشرافهم ، وانه قد ملك زمام نفسه ، وسيطر عقله على هواه .

(٧٥) البيان والتبيين ٢ / ٢٦٢ .

(٧٦) أمالي الصدوق (ص ٢٥٧) .

(٧٧) أمالي الصدوق (ص ٩) .

٦٥ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .. » (٧٨)

ما اسمى هذه الحكمة التي تجمع الناس على صعيد المحبة والألفة ، وتوحد ما بين مشاعرهم وعواطفهم ، ان سلطان المال لا يمكن أن يحقق ذلك ، ولكن الاخلاق هي اقوى مؤثر في بناء المجتمع واقامته على اسس سليمة.

٦٦ . قال (ع) : مر رسول الله (ص) بقوم يربعون حجرا فقال :

ما هذا؟ قالوا : نعرف بذلك أشدنا وأقوانا ، فقال (ص) : إلا أخبركم بأشدكم وأقواكم ، قالوا : بلى ، قال (ص) : أشدكم وأقواكم الذي اذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، واذا سخط لم يخرج سخطه من قول الحق ، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس بحق .. » (٧٩)

ان الاسلام لا يعني إلا بقوة الضمير وصلابته ازاء الحق ، واما الاعتزاز بقوة العضلات فهي من الاعراف الجاهلية التي حاربها الاسلام.

٦٧ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والآخرة .. » (٨٠)

لقد ثبت في علم الاجتماع ان الحياة الاجتماعية حياة تأثير وتأثر فكل انسان يتأثر ويؤثر فيمن حوله ، ومن الطبيعي ان مزاملة الاخيار والمتحرجين في دينهم تؤثر فيمن يتصل بهم تأثيرا مباشرا فتصونهم من رذائل الصفات ، وتحبب لهم الخير ، وينالون بذلك شرف الدنيا وشرف الآخرة.

(٧٨) أمالي الصدوق (ص ١١) .

(٧٩) أمالي الصدوق (ص ١٨) .

(٨٠) أمالي الصدوق (ص ٥٤) .

- ٦٨ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ، ولا تكروهوا عبادة الله الى عباد الله .. » (٨١)
- ٦٩ . روى (ع) عن آباءه ان رسول الله (ص) قال : « من أراد التوسل الي ، وان يكون له يد اشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم .. » (٨٢)
- ٧٠ . روى (ع) عن آباءه أن رسول الله (ص) قال لعلي : « يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب وكذب من زعم أنه يصل الى المدينة إلا من الباب .. » (٨٣)
- ٧١ . روى (ع) بسنده عن أم سلمة ان رسول الله (ص) قال : « الحج جهاد كل ضعيف » (٨٤)
- ٧٢ . قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من نقله الله من ذل المعاصي الى عز التقوى اغناه بلا مال ، واعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس ، ومن خاف الله اخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من مال الله باليسير من الرزق فقد رضي منه باليسير من العمل .. » (٨٥)

(٨١) أصول الكافي

(٨٢) وسيلة المال في عد مناقب الآل (ص ٦١) من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين.

(٨٣) المناقب لابن المغازلي (ص ٨٥) .

(٨٤) سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٤٢ من مصورات مكتبة الحكيم العامة.

(٨٥) الصراط السوي (ص ١٩٤) من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين.

٧٣ - روى (ع) بسند عن آباءه ان رسول الله (ص) قال : « اني واثني عشر من أهل بيتي أولهم علي أوتاد الأرض التي امسكها الله بها أن تسيخ بأهلها ، فاذا ذهب الاثنا عشر من أهل بيتي ساخت الأرض بأهلها .. » (٨٦)

٧٤ - قال (ع) : قال رسول الله (ص) : « من أهل بيتي اثنا عشر نقيبا محدثون ، منهم القائم بالحق يملأها عدلا كما ملئت جورا. » (٨٧)

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض رواياته عن جده النبي (ص) والمتتبع يجد اضعاف هذه الاحاديث التي يرويها الامام عن جده.

رواياته عن الامام أمير المؤمنين :

روى (ع) عن آباءه طائفة من حكم جده الامام أمير المؤمنين (ع) ، وهذه بعضها :

١ - قال (ع) : قام رجل من أهل البصرة الى الامام أمير المؤمنين (ع) فقال له :

« يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الاخوان! . »

فأجابه الامام (ع) :

« الاخوان صنفان : أخوان الثقة ، وأخوان المكاشرة ، فأما اخوان الثقة فهم الكف والجناح ، والأهل والمال ، فان كنت على حد الثقة فأبذل له مالك ، وبدنك ، وصاف من صافاه ، وعاد من عاداه ، واكتم سره ، وعييه ، واطهر منه الحسن ، واعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت

(٨٦) الاستنصار في النص على الأئمة الاطهار (ص ٨) للكراچي

(٨٧) الاستنصار في النص على الأئمة الاطهار (ص ٨) .

الأحمر ، واما اخوان المكاشرة فانك تصيب منهم لذتك ، فلا تقطعن ذلك منهم ، ولا تطلبين ما وراء ذلك من صغيرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك ، من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان .. » (٨٨)

أما اخوان المكاشرة في هذا العصر فهم الاكثرية الساحقة تسيرهم الاطماع والرغبات ، وتدفعهم المصالح ، والاهواء ، اما مظاهر صداقتهم فهي طلاقة الوجه وعذوبة اللسان . كما قال الامام ..

٢ . قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « الفتن ثلاث : حب النساء ، وهو سيف الشيطان ، وشرب الخمر ، وهو مخ الشيطان ، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان ، فمن احب النساء لم ينتفع بعيشه ، ومن احب الأشربة حرمت عليه الجنة ، ومن احب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا ، واطاف (ع) يقول : قال عيسى بن مريم بالدينار داء الدين ، والعالم طيب الدين فاذا رأيتم الطيب يجر الداء على نفسه فاتهموه ، واعلموا أنه غير ناصح لغيره .. » (٨٩)

٣ . قال (ع) في كتاب علي ثلاث خصال : لا يموت صاحبهن أبدا حتى يرى وبالهن ، البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان أعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم وان القوم ليكونوا فجارا فيتواصلون فتنمي أموالهم ، ويبرون فتزداد اعمارهم ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها ، ويثقلان الرحم ، وان تثقل الرحم انقطاع النسل .. » (٩٠)

(٨٨) الخصال (ص ٤٩) .

(٨٩) الخصال (ص ١٠٩) .

(٩٠) الخصال (ص ١١٩) .

وحفلت هذه القطعة من كتاب الامام أمير المؤمنين (ع) بالوصية بالبر والتقوى ،
وبما يعود على الانسان من خير عميم في هذه الحياة.

٤ . قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « قوام الدين باربعة : بعالم ناطق مستعمل
له ، وبغني لا ييخل بفضله على اهل دين الله ، وبفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، وبجاهل لا
يتكبر عن طلب العلم ، فاذا كتم العالم علمه ويخل الغني بماله ، وباع الفقير آخرته بدنياه
، واستكبر الجاهل عن طلب العلم ، رجعت الدنيا الى ورائها القهقري ، فلا تغرنكم كثرة
المساجد واجساد قوم مختلفة ، قيل : يا أمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان! قال
(ع) : خالطوهم بالبرانية . يعني في الظاهر . وخالفوهم في الباطن ، للمرء ما اكتسب ، وهو
مع من أحب ، وانتظروا مع ذلك الفرج من الله عز وجل ... » (٩١)

ان صلاح الدنيا وازدهار الحياة بهؤلاء الاصناف فيما اذا قاموا بمسئولياتهم ، وأدوا
ما عليهم ، واما اذا انحرفوا عن ذلك فان الحياة العامة تصاب بنكسة وتتدهور فيها جميع
القيم العليا.

٥ . قال (ع) : سئل أمير المؤمنين (ع) كم بين الحق والباطل! فقال (ع) : اربع
اصابع ، ووضع يده على اذنه وعينه فقال : ما رأته عينك فهو الحق ، وما سمعته أذناك
فأكثره الباطل (٩٢).

٦ . روى (ع) عن آبائه أن أمير المؤمنين (ع) قال : كان لي من رسول الله (ص)
عشر خصال : ما أحب لي بإحداهنّ مما طلعت عليه الشمس ، قال لي : أنت اخي في
الدنيا والآخرة وأقرب الخلائق

(٩١) الخصال (ص ١٨٠).

(٩٢) الخصال (ص ٢١٥).

مني في الموقف ، وأنت الوزير والوصي والخليفة في الأهل والمال ، وأنت آخذ لوائي في الدنيا والآخرة ، وليك ولي ، وولي ولي الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله .. » (٩٣)

لقد خص الله الامام أمير المؤمنين بفضائل كثيرة ، ومنحه المزيد من الطافه والتي كان منها ما ذكره النبي (ص) في هذا الحديث.

٧ . قال (ع) : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ، صدق الحديث ، واداء الامانة ، والوفاء بالعهد ، وقلة الفخر ، والبخل ، وصلة الأرحام ، ورحمة الضعفاء ، وقلة المواتاة للنساء ، وبذل المعروف ، وحسن الخلق ، وسعة الحلم ، واتباع العلم ، فيما يقرب الى الله عز وجل ، طوبى لهم وحسن مآب .. » (٩٤)

٨ . قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « ان قلوب الجهال تستفزها الاطماع ، وترتهنها المنى ، وتستعلقها الخدائع .. » (٩٥)

وصور هذا الحديث واقع الجهال ، وألمّ باتجاهاتهم والتي كان منها ان الاطماع تسيطر على مشاعرهم وعواطفهم ، وان المنى ترتهن قلوبهم ، والخدائع بسهولة تستولي عليهم وذلك لقلة خبرتهم ومعرفتهم.

٩ . قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « جمع الخير كله في ثلاث خصال : النظر ، والسكوت ، والكلام ، فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو ، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة ، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو ، فطوبى لمن كان نظره عبثاً ، وسكوته فكراً ،

(٩٣) الخصال (ص ٣٩٨) .

(٩٤) الخصال (ص ٤٥٤) .

(٩٥) اصول الكافي ١ / ٢٣ .

وكلامه ذكرا ، وبكى على خطيئته وأمن الناس شره .. » (٩٦)

وهذه صفات العارفين بربهم ، والمنيبين الى خالقهم ، وهي لا تنطبق إلا على أئمة أهل البيت (ع) وعلى المهتدين بهديهم.

١٠ . قال (ع) : قال أمير المؤمنين (ع) : « إنا أهل البيت شجرة النبوة وموضع

الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبيت الرحمة ، ومعدن العلم .. » (٩٧)

١١ . قال (ع) : كان علي يقول : العامل بالظلم ، والمعين عليه والراضي به شركاء

ثلاثة (٩٨).

روايته عن جده الحسين :

روى (ع) عن أبيه عن جده الامام الحسين (ع) قال : سمعت جدي رسول الله

(ص) يقول لي : « أعمل بفرائض الله تكن اتقى الناس ، وارض بقسم الله تكن اغنى الناس

، وكف عن محارم الله تكن مؤمنا ، واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلما .. » (٩٩)

روايته عن أبيه :

روى عن أبيه علي بن الحسين (ع) انه قال : « ايما مؤمن دمعت عيناه لقتل

الحسين حتى تسيل على خده بواه الله في الجنة غرفا يسكنها احقابا ، وايما مؤمن دمعت

عيناه فيما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا بواه الله منزل صدق ، وأيما مؤمن مسه اذى

فينا قدمعت عيناه

(٩٦) الخصال (ص ٩٥).

(٩٧) أصول الكافي ١ / ٢٢٠.

(٩٨) الخصال (ص ١٠٣).

(٩٩) أمالي الصدوق (ص ١٧٨).

حتى تسيل على خديه من مضاضة ما اؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى ، وآمنه يوم
القيامة من سخط النار .. (١٠٠)

روايته عن جابر الأنصاري :

- وروى (ع) عن جابر بن عبد الله مجموعة من الأخبار والأحداث من بينها.
- ١ - روى (ع) عن جابر ان رسول الله (ص) كان اذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ،
ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ،
يصنع ذلك ثلاث مرات ، ويصنع مثل ذلك على المروة (١٠١).
- ٢ - روى (ع) عن جابر ان النبي (ص) كان يتختم بيمينه (١٠٢).
- ٤ - سأل (ع) جابرا عما جرى بين علي وعائشة ، فقال جابر : ذهبت يوما الى
عائشة وسألتها ما تقولين في حق علي؟ فأطرقت برأسها ثم رفعتة وانشدت :
إذا ما التبر حك على محك تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفى علي بيننا شبه المحك (١٠٣)

روايته عن عمر :

وروى (ع) بسنده عن عمر بن الخطاب قال : سمعت النبي (ص)

(١٠٠) كامل الزيارات (ص ١٠٨).

(١٠١) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٧ - ٣٨.

(١٠٢) علل الشرائع (ص ١٥٨).

(١٠٣) الصراط السوي (ص ١١٩) نور الابصار (ص ١٣١) الفصول المهمة لابن الصباغ.

يقول : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي .. » (١٠٤).

روايته عن ابن عباس :

وروى (ع) بسنده عن عبد الله بن عباس انه قال : نظر علي في وجوه الناس فقال : « إني لأخو رسول الله (ص) ووزيره ، وقد علمتم أنني اولكم إيماناً بالله ورسوله ، ثم دخلتم بعدي في الاسلام رسلاً ، واني لابن عم رسول الله (ص) واخوه وشريكه في نسبه ، وأبو ولده ، وزوج ابنته سيده ولده وسيده نساء أهل الجنة ، ولقد عرفتم أنا ما خرجنا مع رسول الله (ص) مخرجاً قط إلا رجعنا وأنا احبكم إليه ، وأوثقكم في نفسه ، واشدكم نكايه للعدو ، وأثر في العدد ، ولقد رأيتم بعثته إياي ببراءة ، ولقد آخى بين المسلمين فما اختار احداً غيري ، ولقد قال لي : أنت أخي وانا أخوك في الدنيا والآخرة ، ولقد اخرج الناس من المسجد وتركني ، ولقد قال لي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي .. » (١٠٥)

روايته عن زيد بن أرقم :

وروى (ع) عن زيد بن أرقم قال : كنا جلوساً بين يدي النبي (ص) فقال (ص) : إلا أدلكم على من اذا استرشدتموه لن تضلوا ، ولن تهلكوا قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هذا . وأشار الى علي بن أبي طالب . ثم قال : واخوه ، ووازره ، وصدقوه ، وانصحوه ، فان جبرائيل

(١٠٤) طبقات ابن سعد ٨ / ٤٦٣ .

(١٠٥) المناقب للمغازلي (ص ١١١ - ١١٢) المناقب للخوارزمي (ص ٢٢٦) .

اخبرني بما قلت لكم (١٠٦).

روايته عن أبي ذر :

وروى (ع) طائفة من كلمات المصلح العظيم الصحابي أبي ذر منها قوله :
« يا مبتغي العلم لا يشغلك اهل ولا مال عن نفسك ، أنت يوم تفارقهم كضيف
بت فيهم ، ثم غدوت عنهم الى غيرهم ... الدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه الى غيره ، وما
بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها ، يا مبتغي العلم ان قلبا ليس فيه
شيء من العلم كالبيت الخراب .. » (١٠٧)
هذه بعض الاحاديث التي اثرت عنه ، وهي تتعلق بأداب السلوك والاخلاق ،
وبفضل العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم.

تفسير القرآن الكريم :

من العلوم التي خاضها الامام أبو جعفر (ع) في محاضراته تفسير القرآن الكريم ،
فقد خصص له وقتا من اوقاته ، تناول فيه جميع شئونه ، وقد اخذ عنه علماء التفسير .
على اختلاف آرائهم وميولهم . الشيء الكثير ، فكان (ع) من المع المفسرين في الاسلام ،
وكان من جملة ما عرض له اثناء بحوثه عن القرآن ما يلي :

فضل قراءة القرآن :

وحدث الامام ابو جعفر (ع) على تلاوة الكتاب العزيز لأنه المنبع

(١٠٦) المناقب للمغازلي (ص ٢٤٥) .

(١٠٧) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٤ .

الفياض لهداية الناس واستقامتهم ، وهو مما يحيى القلوب ، ويمدها بطاقات من النور ،
والوعي ، وقد روى (ع) ما قاله جده رسول الله (ص) في فضل تلاوته قال (ع) :
« قال رسول الله (ص) : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن
قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائتي آية
كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ، ومن قرأ خمسمائة آية كتب
من المجتهدين ، ومن قرأ الف آية كتب له قنطار من تير .. » (١٠٨)
ووردت اخبار مماثلة لهذا الحديث عن أئمة اهل البيت (ع) وهي تحث المسلمين
على تلاوة القرآن ، وتحفزهم على الامعان في آياته ، والتأمل في اسراره ، وهي . من دون
شك . تنمي العقول ، وتهذب النفوس وتصونها من الانحراف ، وتهدبها الى سواء السبيل .

الترجيع بقراءة القرآن :

اما الترجيع بقراءة القرآن ، وتلاوته بالصوت الحسن فانه ينفذ الى اعماق القلب
ودخائل النفس ، ويتفاعل مع العواطف ، وذلك لما اشتمل عليه من الحكم والمعارف التي
لا غنى للحياة عنها .
وقد عنى أئمة اهل البيت (ع) بتلاوة القرآن الكريم ، فكان الامام أبو جعفر (ع)
من أحسن الناس صوتا بقراءته للقرآن (١٠٩) .
وروى أبو بصير قال : قلت : لأبي جعفر إذا قرأت القرآن فرفعت

(١٠٨) البيان في تفسير القرآن (ص ٢٥) .

(١٠٩) أصول الكافي .

صوتي جاءني الشيطان فقال : انما ترائي بهذا أهلك والناس ، فقال (ع) : يا أبا محمد اقرأ قراءة ما بين القراءتين ، تسمع أهلك ، ورجع بالقرآن صوتك فان الله يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعا (١١٠).

تنزيه القرآن من الباطل :

القرآن الكريم هو معجزة الاسلام الكبرى « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. لا ريب فيه هدى للمتقين » وليس فيه أي تناقض في احكامه ولا تناف في آياته (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) (**وهو يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) (**وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**) وقد فسر هذه الآية الامام ابو جعفر (ع) قال : « لا يأتيه الباطل من قبل التوراة ، ولا من قبل الانجيل والزيور ، ولا من خلفه اي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله » وفي رواية عن الصادقين (ع) انه « ليس في أخباره عما مضى باطل ولا في أخباره عما يكون في المستقبل باطل ».

ذم المحرفين للقرآن :

وذم الامام أبو جعفر (ع) المحرفين لكتاب الله ، وهم الذين يؤولون آياته حسب اهواءهم ، فقد كتب (ع) في رسالته الى سعد الخير « وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه ، وحرفوا حدوده ، فهم يرونه ولا يرونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية. » (١١١)

(١١٠) البيان في تفسير القرآن (ص ٢١٠).

(١١١) الوافي (ص ٢٧٤) آخر كتاب الصلاة.

الاستعمالات المجازية في القرآن :

وشاع الاستعمال المجازي في لغة العرب ، وذاع أمره في كثير من أنحاء الاستعمال كالاسناد المجازي ، والمجاز في الكلمة ، ومنه باب الكنايات التي قيل انها أبلغ من التصريح ، ويعتبر ذلك من لطائف هذه اللغة ومحاسنها ، وفي القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات كان الاستعمال فيها مجازيا منها قوله تعالى : « يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » فان المنصرف من اليد هو العضو المخصوص ويستحيل ذلك عليه تعالى لاستلزامه التجسيم وهو مما يمتنع عقلا على الله تعالى ، وقد سأل محمد ابن مسلم الامام أبا جعفر عن ذلك فأجابه (ع) :

« اليد في كلام العرب القوة والنعمة قال تعالى : (**وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ**) وقال : (**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**) أي بقوة ، وقال : (**وَأَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**) ويقال : لفلان عندي اياد كثيرة أي فواضل واحسان ، وله عندي يد بيضاء أي نعمة « (١١٢).
ومعنى ذلك ان اليد لم تستعمل في معناها المنصرف وإنما استعملت في غيره اما مجازا أو حقيقة بناء على انها مشتركة اشتراكا لفظيا في هذه المعاني التي ذكرها الامام.

البسمة جزء من سور القرآن :

وذهب الامام ابو جعفر (ع) وسائر أئمة اهل البيت (ع) الى ان البسمة جزء من سور القرآن الكريم ، وتبعهم على ذلك جمهور غفير من علماء المسلمين ، وقراؤهم (١١٣) وقد كتب يحيى بن أبي عمران

(١١٢) ناسخ التواريخ ١ / ٤٣٤ نقلا عن توحيد الصدوق.

(١١٣) تفسير الألوسي ١ / ٣٩ ، تفسير الشوكاني ١ / ٧.

الهمداني رسالة الى الامام أبي جعفر (ع) جاء فيها « جعلت فداك ما تقول في رجل ابتداء : بيسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أم الكتاب ، فلما صار الى غير أم الكتاب من السورة تركها؟ فقال العباسي : ليس بذلك بأس « فأجابه (ع) برسالة جاء فيها « يعيدها مرتين على رغم أنه . يعني العباسي . »^(١١٤) وتضافرت الاخبار من الفريقين بجزئيتها ، وقد شد من انكر ذلك.

نزول القرآن على سبعة احرف :

وشاع بين المفسرين أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وقد استندوا في ذلك الى ما روي عن أبي جعفر (ع) من أنه قال : « ان القرآن نزل على سبعة أحرف »^(١١٥) وقد كثرت الأقوال في هذه الجهة حتى أن ابا حاتم ذكر ان الأقوال بلغت خمسا وثلاثين قولاً^(١١٦).

ولا بد لنا من وقفة قصيرة لننظر الى معاني الأحرف السبعة ومدى صحتها ونسبتها الى الامام الباقر (ع).

الحروف السبعة :

أما الحروف السبعة ، فقد اختلفت الأقوال في المراد منها وهذه بعضها :

١ . انها الوعد والوعيد ، والأمر والنهي ، والقصص والمجادلة ، والامثال وقد

(١١٤) فروع الكافي ٣ / ٣١٢ ، ومعنى قوله (ع) : « يعيدها مرتين » يعني انه كرر لفظ الاعادة من باب التأكيد.

(١١٥) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢٠٢ ، القراءات القرآنية (ص ٤٢٠) .

(١١٦) تفسير القرطبي ١ / ٩ .

ضعف هذا الوجه ابن عطية ، وقال : ان هذا لا يسمى احرفا (١١٧).

٢ . انها المعاني المتقاربة التي ترد بالفاظ مختلفة نحو اقبل وهلم أو عجل واسرع ، وقد اختار هذا الوجه الطبري (١١٨) إلا ان ذلك لا يحمل أي طابع من التحقيق ، فان للإنسان . على هذا الوجه . ان يقرأ القرآن على أشكال مختلفة ، وذلك يؤدي الى اختلاف كبير من اضافة آية أو حذفها لأن الاختلاف في الالفاظ يستتبع الاختلاف في الجمل . حسبما يقول القرطبي . (١١٩).

٣ . ان المراد بها الابواب السبعة التي نزل بها القرآن وهي : الزجر ، والأمر ، والحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والامثال (١٢٠) ويرد عليه أن هذه لا تسمى أحرفا ، مضافا الى أن الزجر والحرام شيء واحد فلا تكون سبعة.

٤ . إنها اللغات الفصيحة من لغات العرب ، وهي متفرقة في القرآن فبعضها بلغة قریش ، وبعضها بلغة هذيل ، وبعضها بلغة هوازن وبعضها بلغة اليمن ، وبعضها بلغة كنانة ، وبعضها بلغة تميم ، وبعضها بلغة ثقيف ، ونسب هذا القول الى البيهقي والأبهرى وصاحب القاموس ... إلا أن هذا الوجه ينافيه ما ورد عن عمر من أن القرآن نزل بلغة مضر (١٢١).

٥ . إنها سبع قراءات ، واشكل على ذلك سيدنا الاستاذ بانه إن

(١١٧) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي (ص ٦٧) .

(١١٨) تفسير الطبري ١ / ١٥ .

(١١٩) تفسير القرطبي ١ / ٣٦ .

(١٢٠) البيان في تفسير القرآن (ص ١٨٣) .

(١٢١) البيان في تفسير القرآن (ص ١٨٥) .

أريد منها السبع المشهورة فهي غير ثابتة حسبما حققه عند البحث عن تواتر القراءات ، وإن أريد بها السبع على إطلاقها فمن الواضح أن عدد القراءات أكثر من ذلك بكثير^(١٢٢). هذه بعض الاقوال ، وقد عد سيدنا الاستاذ عشرة أقوال إلا أنه فندها ، وأثبت انها لا ترجع الى محصل ، وقد الف أبو شامة كتابا في هذه المعاني ، وابطل معظمها.

انكار الامام للاحرف السبعة :

وانكر الامام أبو جعفر (ع) الأحرف السبعة ، ولم يصح ما نسب إليه أنه رواها فقد روى في الصحيح عنه زرارة انه قال : « إن القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة »^(١٢٣) وأثر عن الامام الصادق (ع) انكار ذلك فقد سأله الفضيل بن يسار فقال له : ان الناس يقولون : إن القرآن نزل على سبعة احرف ، فقال ٧ : « كذبوا . أعداء الله . ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد »^(١٢٤).

طرق التفسير :

واختلفت اتجاهات المفسرين للقرآن الكريم ، وقد سلكوا في ذلك طرقا مختلفة منها :

التفسير بالمأثور :

ونعني به تفسير القرآن بما أثر عن النبي (ص) وأئمة الهدى ، وهذا

(١٢٢) البيان في تفسير القرآن (ص ١٩١) .

(١٢٣) أصول الكافي كتاب فضل القرآن .

(١٢٤) أصول الكافي كتاب فضل القرآن .

ما سلكه اغلب مفسري الشيعة كتفسير القمي ، والعسكري ، والبرهان وغيرها وحجتهم في ذلك أن أهل البيت (ع) هم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته ، وليس لغيرهم في ذلك أي نصيب ، وقد اشار الى ذلك الامام أبو جعفر (ع) بقوله : « ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء »^(١٢٥) فالأوصياء هم الذين عندهم علم الكتاب ، ظاهره وباطنه ، وقد تضافرت الأدلة على وجوب الرجوع إليهم في تفسير القرآن ، يقول الشيخ الطوسي : ان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي (ص) وعن الأئمة الذين قولهم حجة كقول النبي (ص)^(١٢٦).

التفسير بالرأي :

ويراد به الأخذ بالاعتبارات العقلية الظنية الراجعة الى الاستحسان^(١٢٧) وقد ذهب الى ذلك المفسرون من المعتزلة والباطنية ، فلم يعنوا بما أثار عن اوصياء رسول الله (ص) في تفسيرهم ، وإنما استندوا الى ما يرونه من الاستحسانات العقلية ، وقد نهى عن ذلك الامام أبو جعفر (ع) فقد دخل عليه قتادة الفقيه المشهور فقال له الامام :

« أنت فقيه أهل البصرة؟ »

« نعم هكذا يزعمون .. »

« بلغني أنك تفسر القرآن .. »

(١٢٥) الوافي ٢ / ١٣٠ .

(١٢٦) التبيان ١ / ٤ .

(١٢٧) فرائد الاصول للأصاري .

« نعم .. »

فانكر عليه الامام ذلك قائلاً :

« يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك ، وإن كنت قد فسرت من الرجال فقد هلكت وأهلك ، يا قتادة ويحك إنما يعرف القرآن من خوطب به .. » (١٢٨)

وقد قصر الامام أبو جعفر (ع) معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت (ع) فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه ، والناسخ من المنسوخ وليس عند غيرهم هذا العلم ، وقد أثر عن الأئمة (ع) القول : « انه ليس شيء أبعد من عقول الرجل من تفسير القرآن ، الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف الى وجوه » (١٢٩).
أما الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأي المنهى عنه ، وقد خالف في حجيتها بعض المحدثين ، وتمسكوا بأدلة قد فندت من قبل علماء الاصوليين (١٣٠).

تفسير الامام الباقر :

وألف الامام أبو جعفر (ع) كتابا في تفسير القرآن الكريم نص عليه محمد بن اسحاق النديم في « الفهرست » عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم قال :
« كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين

(١٢٨) البيان في تفسير القرآن (ص ٢٦٧) .

(١٢٩) فرائد الاصول (ص ٢٨) .

(١٣٠) يراجع في ذلك فرائد الاصول للشيخ الانصاري ، والبيان في تفسير القرآن .

رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية « وقال السيد حسن الصدر : وقد رواه عنه أيام استقامته جماعة من ثقة الشيعة منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي ، وقد اخرج علي بن ابراهيم بن هاشم القمي في تفسيره من طريق أبي بصير (١٣١) ويقول الرواة : أن جابر بن يزيد الجعفي ألف كتابا في تفسير القرآن أخذه من الامام (١٣٢).

نماذج من تفسيره :

وروى عنه المفسرون الشيء الكثير من تفسير آيات القرآن الكريم ، وهذه بعضها :

١ . قوله تعالى : (**أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا**) (١٣٣) قال (ع) : الغرفة : هي

الجنة وهي جزاء لهم بما صبروا على الفقر في الدنيا « (١٣٤).

٢ . قوله تعالى : (**وَمَنْ يَخْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**) (١٣٥) سئل أبو جعفر (ع)

عن غضب الله؟ فقال (ع) : طرده وعقابه « (١٣٦).

٣ . قوله تعالى : (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ**

(١٣١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (ص ٣٢٧) الفهرست للشيخ الطوسي (ص ٩٨) وحقق هذا التفسير

المحامي السيد شاکر الغرابوي إلا انه لم يقدمه للنشر .

(١٣٢) النجاشي .

(١٣٣) سورة الفرقان : آية ٧٠ .

(١٣٤) البداية والنهاية ٩ / ٣٠١ .

(١٣٥) سورة طه : آية ٨٢ .

(١٣٦) الفصول المهمة (ص ٢٢٧) .

اهْتَدَى (١٣٧) فسر (ع) الهداية بالولاية لأئمة أهل البيت وقال : فو الله لو ان رجلا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ، ولم يجيء بولايتنا إلا أكبه الله في النار على وجهه « (١٣٨).

٤ . قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** (١٣٩) قال (ع) : يعني بذلك تبليغ ما أنزل الى الرسول (ص) في فضل علي (١٤٠) وقد روى (ع) أن الله اوحى الى نبيه أن يستخلف عليا فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من اصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما أمره الله بادائه (١٤١).

٥ . قوله تعالى : **(ذُرِّيٌّ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً)** (*) نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي الذي اتهم النبي (ص) بالسحر ، وكان الوليد يسمى في قومه الوحيد ، والآية سبقت على وجه التهديد له ، وقد روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر انه قال : الوحيد ولد الزنا ، وقال زرارة ذكر لأبي جعفر ان أحد بني هشام قال في خطبته أنا ابن الوحيد فقال : ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها ! فقلنا له : وما هو؟ قال : من لا يعرف له أب (١٤٢).

(١٣٧) سورة طه : آية ٨٣ .

(١٣٨) مجمع البيان ٧ / ٢٣ طبع بيروت .

(١٣٩) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(١٤٠) خصائص الوحي المبين (ص ٣٠) .

(١٤١) مجمع البيان ٤ / ٢٢٣ .

(*) سورة المدثر : آية ١١ .

(١٤٢) مجمع البيان ١٠ / ٣٨٧ .

٦ . قوله تعالى : (**تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**) (١٤٣) قال (ع) : تنزل الملائكة والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون في السنة من أمور ما يصيب العباد ، والأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة فيقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب « (١٤٤).

٧ . قوله تعالى : (**فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**) (١٤٥) المراد من الآية أن الغاوين والقوى الكافرة يجمعون ويطرح بعضهم على بعض في النار قال الامام أبو جعفر (ع) « انها نزلت في قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه الى غيره » (١٤٦).

٨ . قوله تعالى : (**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) (١٤٧) قال (ع) : في تفسيره للآية انه تعالى اعظم واعز واجل وأمنع من أن يظلم ، ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته حيث يقول : (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**) يعني الأئمة منا ، ثم قال : في موضع آخر (**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) (١٤٨).

٩ . قوله تعالى : (**فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) (١٤٩). روى محمد بن مسلم قال : قلت : للإمام أبي جعفر إن من عندنا يزعمون أن المعنيين بالآية هم اليهود والنصارى؟ قال : إذا يدعونكم إلى دينهم ،

(١٤٣) سورة القدر : آية ٤ .

(١٤٤) دعائم الاسلام ١ / ٣٣٤ .

(١٤٥) سورة الشعراء : آية ٩٤ .

(١٤٦) اصول الكافي ١ / ٤٧ .

(١٤٧) سورة البقرة : آية ٥٧ .

(١٤٨) أصول الكافي ١ / ١٤٦ .

(١٤٩) سورة الأنبياء : آية ٧ .

ثم اشار (ع) الى صدره فقال : نحن أهل الذكر ونحن المسئولون (١٥٠).

١٠ . قوله تعالى : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ) (١٥١) .. « قال (ع) : « نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون ، وشيعتنا أولو الالباب » (١٥٢).

١١ . قوله تعالى : (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (١٥٣) فسر

الامام أبو جعفر (الذين اوتوا العلم) بأئمة أهل البيت (ع) (١٥٤) وروى أبو بصير أن الامام أبا جعفر قرأ هذه الآية وأوماً بيده الى صدره (١٥٥).

١٢ . قوله تعالى : (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ) (١٥٦) روى جابر بن يزيد الجعفي

عن أبي جعفر (ع) قال : لما نزلت هذه الآية قال المسلمون : يا رسول الله أأنت أممنا ؟ فقال (ص) : أنا رسول الله الى الناس أجمعين ، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال واشباعهم ، فمن والاهم واتبعهم ، وصدقهم فهو مني ومعني ، وسيلقاني ، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ، ولا معني ، وأنا منه بريء .. « (١٥٧)

(١٥٠) أصول الكافي ١ / ٢١١ .

(١٥١) سورة الزمر : آية ٩ .

(١٥٢) أصول الكافي ١ / ٢١٢ .

(١٥٣) سورة العنكبوت : آية ٤٩ .

(١٥٤) مجمع البيان ٧ / ٢٨٨ .

(١٥٥) أصول الكافي ١ / ٢١٢ .

(١٥٦) سورة الاسراء : آية ١٧ .

(١٥٧) اصول الكافي ١ / ٢١٥ .

١٣ . قوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ) (١٥٨).

وسأل سالم الامام أبا جعفر عن هذه الآية فقال (ع) : السابق بالخيرات الامام ، والمقتصد العارف للإمام ، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام (١٥٩) وروى زياد بن المنذر عنه (ع) انه قال : اما الظالم لنفسه فمن عمل صالحا وآخر سيئا ، واما المقتصد فهو المتعبد المجتهد واما السابق بالخيرات فعلي والحسن والحسين ومن قتل من آل محمد (ص) شهيدا (١٦٠).

١٤ . قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ) (١٦١) قال (ع) :

قال أمير المؤمنين (ع) : كان رسول الله (ص) المتوسم ، وأنا من بعده والأئمة من ذريتي المتوسمون (١٦٢).

١٥ . قوله تعالى : (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) (١٦٣) قال

(ع) : يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) والاصياء من ولده ، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقا يعني اشربنا قلوبهم الايمان ، والطريقة : هي الايمان بولاية علي والاصياء (١٦٤).

(١٥٨) سورة فاطر : آية ٣٢ .

(١٥٩) اصول الكافي ١ / ٢١٤ .

(١٦٠) مجمع البيان ٧ / ٤٠٩ .

(١٦١) سورة الحجر : آية ٧٥ .

(١٦٢) أصول الكافي ١ / ٢١٩ .

(١٦٣) سورة الجن : آية ١٦ .

(١٦٤) اصول الكافي ١ / ٢٢٠ .

- ١٦ . قوله تعالى : (**قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**)
 (١٦٥) سأل بريد بن معاوية الامام أبا جعفر (ع) عن المعنيين بقوله تعالى : (**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
 الْكِتَابِ**)؟ فقال (ع) : ايانا عنى ، وعلي اولنا ، وافضلنا وخيرنا بعد النبي (ص) (١٦٦).
 ١٧ . قوله تعالى : (**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**).
 (١٦٧) سأل بريد العجلي الامام أبا جعفر (ع) عن هذه الآية؟ فقال (ع) : جعل في آل
 ابراهيم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرونه في آل ابراهيم ، وينكرونه في آل محمد
 (ص)؟ قال بريد : وما المراد (**وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**) قال : الملك العظيم ان جعل فيهم
 أئمة من اطاعهم اطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم (١٦٨).
 ١٨ . قوله تعالى : (**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**) (١٦٩) سئل (ع) عن الروح فقال : هي
 القدرة (١٧٠).

١٩ . قوله تعالى : (**لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**) (١٧١) قال (ع) :

(١٦٥) سورة الرعد : آية ٤٣ .

(١٦٦) أصول الكافي ١ / ٢٢٩ مجمع البيان ٦ / ٣٠١ روى عن أبي جعفر أنها نزلت في آل البيت .

(١٦٧) سورة النساء : آية ٥٤ .

(١٦٨) أصول الكافي ١ / ٢٠٦ .

(١٦٩) سورة الحجر : آية ٢٩ .

(١٧٠) تفسير البرهان (ص ٥٥٨) .

(١٧١) سورة يوسف : آية ٢٤ .

لجابر الجعفي ما يقول فقهاء العراق في هذه الآية؟ قال جابر : رأى يعقوب عاضا على ابهامه ، فقال (ع) : ، حدثني أبي عن جدي علي ابن أبي طالب ان البرهان الذي رآه انها حين همت به ، وهمّ بها أي طمع فيها ، فقامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض خشية أن يراها أو استحياء منه ، فقال لها يوسف : ما هذا؟ فقالت : الهي استحي منه أن يراني على هذه الصورة ، فقال يوسف : تستحي من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يبصر ، أفلا استحي أنا من الهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ، ثم قال : والله لا تنالين مني أبدا ، فهو البرهان (١٧٢).

هذه بعض الآيات التي فسرّها الامام ابو جعفر (ع) وبها ينتهي بنا الحديث عن تفسيره للقرآن الكريم.

علم الكلام :

وبحث الامام أبو جعفر في كثير من محاضراته المسائل الكلامية ، وسئل عن أعقد المسائل وادقها في بحوث هذا العلم فأجاب عنها ، ومن الجدير بالذكر أن عصر الامام كان من اشد العصور الاسلامية حساسية فقد امتد فيه الفتح الاسلامي الى اغلب مناطق العالم وشعوب الارض فأثار ذلك موجة من الحقد في نفوس المعادين للإسلام من الشعوب المغلوبة على امرها ، ومن غيرها ، فقاموا بحملة دعائية ضد العقيدة الاسلامية فاذاعوا الشكوك والاهام بين ابناء المسلمين ، وقد شجعت الحكومات الأموية الافكار المعادية للإسلام ، فلم يؤثر عن أي أحد من ملوك بين أمية انه

(١٧٢) البداية والنهاية ٩ / ٣١٠ .

قاومها او تصدى لايقافها وعدم نشرها بين المسلمين ولم يكن هناك أحد قد انبرى الى انقاذ المسلمين في ذلك العصر سوى الامام أبي جعفر (ع) فقد تصدى الى تزييفها والرد عليها ببالغ الحجة والبرهان ، وسنعرض الى تفصيل ذلك عند البحث عن عصر الامام. وعلى أي حال فهذه بعض البحوث الكلامية التي خاضها الامام وهي :

التوحيد :

وتناول الامام ابو جعفر (ع) أهم مسائل التوحيد ، فكشف الغطاء عنها وفند ما أثير حولها من أوهام وشكوك ، وكان من بين ما عرض له.

١ . عجز العقول عن ادراك حقيقة الله :

والشيء الذي لا جدال فيه ان الانسان بجميع ما يملك من طاقات فكرية فانه عاجز عن معرفة حقيقة الله ، لأن العقول في جميع تصوراتها محدودة يقول الشافعي : « ان للعقل حدا ينتهي إليه كما ان للبصر حدا ينتهي إليه » .
ان جميع الاشياء التي يتوصل إليها حس الانسان لا بد ان توجد في مكان ويجري عليها الزمان ، ولا يستطيع العقل ان يتخيل موجودات لا مكان لها أو اشياء لا يجري عليها الزمان ، وذات الله تعالى يعجز العقل أن يدرك واقعها لأنه لا يجري عليها الزمان ولا المكان فانه تعالى هو الذي خلقهما ، وبالإضافة الى ذلك فان في السكون أموراً كثيرة قد عجز العقل عن الاحاطة بكنهها ، والتي منها الحقيقة الغيبية فان العقل لم يهتد الى معرفتها.

ان ذات الله تعالى لا تدركها أوهام القلوب على مدى ما تحمل من

سعة الخيال فضلا عن ادراكها بالعين الباصرة فان كلا منهما محدود بحسب الزمان
والمكان ، وقد أدلى بذلك الامام أبو جعفر (ع) حيث سئل عن قوله تعالى : (**لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**) (١٧٣) فقال (ع) : « أوهام القلوب ادق من ابصار العيون ،
أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك ، وأوهام
القلوب لا تدركه فكيف ابصار العيون؟ .. » (١٧٤)

ان البصر ينقلب خاسئا وهو حسير في تصويره لذات الله تعالى خالق الكون ووهاب
الحياة ، يقول ابن أبي الحديد :

فِيكَ يَا اعْجُوبَةَ الْكَوْنِ غَدَا الْفَكْرَ عُلْيَا
كَلِمًا أَقْدَمَ فَكْرِي فِيكَ شَبْرًا فَرَّ مِيلَا
أَنْتَ حَيَّرْتَ ذَوِي اللَّبِّ وَبَلَبْتَ الْعُقُولَا (١٧٥)

إنه ليس هناك شيء ابعده من ادراك ذات الله تعالى فانها تمتنع على العقول وتعجز
من ان تلم بأي جانب من جوانبها ، وقد سأل عبد الرحمن ابن أبي النجران الامام أبا
جعفر عن الله تعالى فقال : إني اتوهم شيئا ، فقال (ع) له :

« نعم غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، ولا
يشبهه شيء ، ولا تدركه الأوهام ، وهو خلاف ما يعقل ، وخلاف ما يتصور ، إنما يتوهم
شيء ، غير معقول ولا محدود .. » (١٧٦)

(١٧٣) سورة الانعام : آية ١٠٣ .

(١٧٤) نسب هذا الحديث الى الامام الجواد .

(١٧٥) شرح النهج ١٣ / ٥١ .

(١٧٦) أصول الكافي ١ / ٨٢ .

٢ . ازالة واجب الوجود :

أما ازالة واجب الوجود فهي من ادق البحوث الكلامية ، والفلسفية ، وقد عرضت على أبي جعفر (ع) فقد سأله رجل فقال له : اخبرني عن ربك متى كان؟ فأجابته الامام : « ويلك إنما يقال لشيء لم يكن ، متى كان؟! إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حيا بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كون كيف ، ولا كان له اين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكانا ، ولا قوي بعد ما كَوّن الأشياء ، ولا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا ، ولا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا ، ولا يشبه شيئا مذكورا ، ولا كان خلوا من الملك قبل انشائه ، ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه ، لم يزل حيا بلا حياة ، وملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا ، وملكا جبارا بعد انشائه للكون ، فليس لكونه كيف ولا له اين ، ولا له حد ، ولا يعرف بشيء يشبهه ، ولا يهرم لطول البقاء ، ولا يصعق^(١٧٧) لشيء ، بل لخوفه تصعق الأشياء كلها ، كان حيا بلا حياة حادثة ، ولا كون موصوف ولا كيف محدود ، ولا اين موقوف عليه ، ولا مكان ، جاور شيئا ، بل حي يعرف ، وملك لم يزل له القدرة والملك ، إنشاء ما شاء حين شاء بمشيئته ، لا يحد ولا يبعث ، ولا يفنى ، كان أولا بلا كيف ، ويكون آخرا بلا اين ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

ويلك أيها السائل!! ان ربي لا تغشاه الأوهام ، ولا تنزل به الشبهات ، ولا يحار ، ولا يجاوزه شيء ، ولا تنزل به الاحداث ، ولا يسأل عن

(١٧٧) يصعق : أي يهلك ، ويضعف .

شيء ، ولا يندم على شيء ، ولا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض وما بينهما ، وما تحت الثرى .. » (١٧٨)

وألمت هذه القطعة الذهبية من كلام الامام العظيم بأزلية واجب الوجود وتوحيده ، وتنزيهه عن المشابهة لمخلوقاته التي يحددها الجنس والفصل والتي تخضع في وجودها وعدمها الى العلة ، وتفتقر إلى الزمان والمكان وتعالى الله عن جميع ذلك فانه الاول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ... وقد سئل بعض المحققين عن الله ما هو؟ فقال : الأوحى ، فقيل له : كيف هو؟ فقال : ملك قادر ، فقيل له : اين هو؟ فقال : بالمرصاد ، فقال السائل : ليس عن هذا أسألك ، فقال : ما اجبتك به هو صفة الحق فأما غيره فصفة الخلق.

لقد أرادوا أن يتعرفوا على ذات الله تعالى حتى كأنه شيء من الاشياء التي تخضع للحواس وسائر المدركات العقلية ، ولم يعلموا أن الله تعالى فوق ما يدركه العقل ، وفوق ما تتصوره الأوهام ، لا إله إلا هو الحي القيوم.

وعلى أي حال فان كلام الامام (ع) قد عرض لأدق المسائل الكلامية التي لم يطرقها أحد من متكلمي المسلمين وفلاسفتهم سوى جده الامام أمير المؤمنين (ع) اما الاحاطة بكلام الامام (ع) وإيضاحه فانه يحتاج الى دراسة مفصلة ، وقد عنى فلاسفة الاسلام بالاستدلال على النقاط التي وردت في حديث الامام (١٧٩).

(١٧٨) أصول الكافي ١ / ٨٨ - ٨٩.

(١٧٩) عرض لذلك بصورة موضوعية الفيلسوف الاسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي في كتابه (الشواهد الربوية).

٣ . النهي عن الكلام في ذات الله :

ونهى الامام أبو جعفر (ع) عن الحديث والخوض في ذات الله تعالى لأن ذلك مبني على فلسفة عميقة لا تتحملها عقول البسطاء الذين لا يملكون رصيذا من العلم ، فانهم يقعون في حبال الشيطان ، ويخرجون من حضيرة الايمان الى حضيض الشرك ، يقول (ع) :

« تكلموا في كل شيء ، ولا تتكلموا في ذات الله .. » (١٨٠)

وقال (ع) : « تكلموا في خلق الله ، ولا تتكلموا في الله فانه لا يزداد صاحبه إلا

تحييرا .. » (١٨١)

إن الحديث عن ذات الله تعالى لا يزيد الانسان إلا تحييرا والقاء في المهالك والشبهات ، اما التفكير في مخلوقات الله ، والتأمل في دقائق هذا الكون فانه يدعو الى حتمية الايمان بالله ، فان كل مخلوق بحسب صنعته وتركيبه يدل على الخالق العظيم ، يقول دارون : « اني أرى فيما يظهر لي ان الاحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة ازلية نفخ الخالق فيها نسمة الحياة » (١٨٢) وان من الخرافة القول بأن هذه العوالم وجدت من باب الصدفة ، فان من غير الممكن ان توجد الصدفة نظاما دقيقا قائما على العلم ، فلما ذا لم تخلق الصدفة الطائرة أو الآلات الحديثة التي أوجدها الفكر والعلم؟

٤ . علم الله :

ان الله تعالى احاط بكل شيء علما ، وان علمه بالاشياء قبل تكوينها

(١٨٠) اصول الكافي ١ / ٩٢ .

(١٨١) اصول الكافي ١ / ٩٢ .

(١٨٢) النشوء والارتقاء (ص ٤٧) .

وبعد تكوينها على حد سواء لأنه الخالق والمكون لها كما أنه العالم بما تنطوي عليه النفوس ، وتضمه القلوب ، وقد روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « كان الله عز وجل ولا شيء غيره ، ولم يزل عالما بما يكون ، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه » (١٨٣).

٥ . واقع التوحيد :

وطلب جابر بن يزيد الجعفي من الامام أبي جعفر (ع) أن يعلمه شيئا من التوحيد فقال (ع) :

« ان الله تباركت اسماءه التي يدعا بها ، وتعالى في علو كنهه .. واحد توحد بالتوحيد في توحده ، ثم أجراه على خلقه ، فهو واحد صمد ، قدوس يعبد كل شيء ويصمد إليه كل شيء ، ووسع كل شيء علما ... » (١٨٤)

٦ . صفات الله :

ان صفات الخالق الحكيم هي عين ذاته ، وليس بينهما تعدد حسب ما دلل عليه في علم الكلام ، وقد ظل قوم من أهل العراق عن طريق الحق فأشاعوا أنه تعالى يسمع بغير ما يبصر ، ويبصر بغير الذي يسمع شأنه في ذلك شأن مخلوقاته وقد عرض ذلك محمد بن مسلم على الامام أبي جعفر فقال (ع) :

« كذبوا والحدوا ، وشبهوا ، تعالى الله عن ذلك إنه سميع بصير ، يسمع بما يبصر ، ويبصر بما يسمع .. »

فقال محمد بن مسلم : يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه ، فرد (ع)

(١٨٣) اصول الكافي ١ / ١٠٧ .

(١٨٤) اصول الكافي ١ / ١٢٣ .

مزاعمهم وقال :

« تعالى الله ، إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق ، وليس الله كذلك » (١٨٥)

٧ . الشك والجحود :

ان الشك في وجود الله تعالى فاطر السموات والأرض ، وجحوده له مضاعفاته السيئة ، والتي منها أنه لا يقبل من الشاك والجاحد أي عمل خير ، ولا ينفعه يوم حشره ونشره ، يقول (ع) :

« لا ينفع مع الشك والجحود عمل .. » (١٨٦)

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن كلمات الامام أبي جعفر (ع) في التوحيد

الامامة :

الامامة نفحة من روح الله ، ورحمة من رحماته انعم بها على هذا الانسان لتدله على الايمان ، وتلهمه الخير ، وتهديه الى سواء السبيل وهي من اصول الدين ، وأركان الاسلام ، عند الشيعة الامامية لأنها القاعدة الصلبة التي تتركز عليها العدالة الاجتماعية في الاسلام ، وقد تحدث الامام أبو جعفر (ع) عن كثير من جوانب الامامة ، كان من بينها ما يلي :

الحاجة الى الامام :

الامامة ضرورة من ضروريات الحياة الاسلامية ، لا تستقيم شؤون المجتمع من دونها وقد اجمع المسلمون على لزومها وضرورتها ، وقد سأل جابر بن يزيد الجعفي الامام (ع) عن الحاجة الى النبي والامام ، فقال (ع) :

« لبقاء العالم على صلاحه ، وذلك ان الله عز وجل يرفع العذاب عن

(١٨٥) اصول الكافي ١ / ١٠٨ .

(١٨٦) جامع السعادات ١ / ١١٧ .

أهل الأرض اذا كان فيها نبي أو امام ، قال الله عز وجل : (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**) وقال النبي (ص) : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون » يعني بأهل بيته الأئمة الذين قرن الله عز وجل طاعتهم بطاعته ، فقال : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**) وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ، ولا يعصون ، وهم المؤيدون الموفقون المسددون بهم يرزق الله عباده ، وبهم تعمر بلاده ، وبهم ينزل القطر من السماء ، وبهم تخرج بركات الأرض ، وبهم يمهل أهل المعاصي ، ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب ، ولا تفارقهم روح القدس ، ولا يفارقونه ، لا يفارقون القرآن ، ولا يفارقهم صلوات الله عليهم اجمعين .. » (١٨٧)

وحفل حديث الامام (ع) بضرورة الامامة لأنها تنشد صلاح العالم وتقيم اعوجاج الدين ، كما اشاد بالأئمة الطاهرين من أهل البيت (ع) وانهم أمان لأهل الارض ، وبهم يستدفع البلاء ، وينزل الغيث وتخرج بركات الارض.

وجوب معرفة الامام :

وتضافرت الاحاديث عن النبي (ص) وعن سدنة علومه الأئمة الطاهرين في لزوم معرفة امام العصر ، وإن من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية . حسب النص النبوي . وقد أثرت عن الامام أبي جعفر (ع) أخبار كثيرة بذلك كان منها :

١ - روى جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول :

(١٨٧) علل الشرائع (ص ١٢٣ - ١٢٤) .

« إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف امامه منا أهل البيت ، ومن لا يعرف الله عز وجل ، ولا يعرف الامام منا أهل البيت فانما يعرف ويعبد غير الله ... » (١٨٨)

٢ . روى محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : « كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ، ولا امام له من الله فسعيه غير مقبول ، وهو ضال متحير ، والله شائن لاعماله ، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها فهجمت (١٨٩) ذاهبة ، وجائية يومها ، فلما جنها الليل بصرت بقطيع من غنم مع راعيها ، فحنت إليها واغترت بها فباتت معها في مريضها ، فلما ان ساق الراعي قطيعه انكرت راعيها وقطيعها فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بغنم مع راعيها فحنت إليها واغترت بها فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك ، فهجمت ذعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها الى مرعاها ويردها ، فبينما هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها ... وكذلك يا محمد من اصبح من هذه الأمة لا امام له من الله عز وجل ظاهر عادل اصبح ضالا تائها ، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق .

واعلم يا محمد ان أئمة الجور واتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا واضلوا ، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرن مما كسبوا على شيء .. ذلك هو الضلال البعيد .. » (١٩٠)

(١٨٨) اصول الكافي ١ / ١٨١ .

(١٨٩) هجمت : أي تعبت بلا روية ، فهي متحيرة في أمرها .

(١٩٠) اصول الكافي ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

ان أئمة اهل البيت (ع) هم الذين تجب معرفتهم لأنهم سدنة الوحي وأوصياء الرسول (ص) وخلفاؤه على أمته ، لا ملوك بني أمية ، وملوك بني العباس الذين تمرغوا في الأثم ، واشاعوا الجور والفساد في الارض.

وجوب طاعة الامام :

وطاعة الامام واجب ديني اعلنه القرآن الكريم قال تعالى : (**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**) .^(١٩١) وتضافرت الاخبار بذلك ، روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال :

« ذروة الأمر وسنانه ، ومفتاحه ، وباب الأشياء ، ورضا الرحمن تبارك وتعالى ، الطاعة للإمام بعد معرفته ... ان الله تبارك وتعالى يقول :

(**مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**) .^(١٩٢)

ان في طاعة أئمة الهدى (ع) نظاما للدين واقامة للعدل لأنهم لا يأمرون إلا بالحق وبه يحكمون.

حق الامام على الناس :

ان للإمام على الناس حقا ، كما ان لهم عليه حقا ، وقد تحدث الامام أبو جعفر (ع) عن ذلك ، فقد سأله أبو حمزة قائلا :

. ما حق الامام على الناس؟

. حقه عليهم أن يسمعوا ويطيعوا.

. ما حقهم عليه؟

(١٩١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(١٩٢) أصول الكافي ١ / ١٨٥ .

يقسم بينهم بالسوية ، ويعدل في الرعية (١٩٣).

ان حق الامام على الناس السمع والطاعة لأوامره الهادفة لسعادتهم وصلاحهم ، واما حقهم عليه فهو ان يقسم أموال الله بينهم بالسوية فلا يؤثر قوما على آخرين ، وان ييسط فيهم العدل الذي هو ظل الله في أرضه.

عظمة الامامة :

ان للإمام كرامة عند الله ومنزلة لا يبلغها أي أحد من عباد ، وقد تحدث عنها الامام أبو جعفر (ع) ، قال (ع) لجابر بن يزيد الجعفي :

« ان الله اتخذ ابراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا ، واتخذه نبيا قبل ان يتخذه رسولا ، واتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا ، واتخذه خليلا قبل ان يتخذه اماما ، فلما جمع له هذه الاشياء وقبض يده (١٩٤) قال له : يا ابراهيم (**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) فمن عظمها في عين ابراهيم قال : يا رب ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين .. (١٩٥)

ومعنى هذا الحديث ان الامامة ارقى منزلة عند الله لا يصل إليها الأنبياء والمرسلون ، وقد خص الله بها خليله ابراهيم ، وجعلها من مكملات ذاتياته المشرقة ، وخص الله بها الأئمة الطاهرين من أهل البيت الذين هم سدة الوحي ، وأبواب الهداية والرحمة لهذه الأمة.

الولاية لأئمة أهل البيت :

أن الولاية للأئمة الطاهرين جزء من الاسلام ، وعنوان للأيمان ،

(١٩٣) أصول الكافي ١ / ٤٠٥ .

(١٩٤) قبض يده : الضمير راجع الى الامام أي ضم اصابعه الى الكف

(١٩٥) أصول الكافي ١ / ١٧٥ .

وقد اذاع الرسول (ص) بين أمته هذا الفرض الديني المقدس ، والزم الأمة به ، وعنى به أكثر مما عني باي واجب ديني يقول الإمام أبو جعفر ٧ :

« بني الاسلام على خمس : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه . يعني الولاية .. » (١٩٦)

ان الواجب على كل مسلم أن يكن في دخائل نفسه الولاء للأئمة الطيبين الذين هم مصدر النور في الأرض ، ومن أظهر الولاء لهم الأخذ بما أثر عنهم من الاحكام وقواعد الأخلاق والآداب.

الاشادة بالأئمة :

واشاد الامام أبو جعفر (ع) في كثير من أحاديثه بالأئمة الطيبين وتحدث عن سمو منزلتهم ، وكان من بين أحاديثه ما يلي :

١ . قال (ع) : « نحن ولاة أمر الله ، وخزان علم الله ، وورثة وحي الله ، وحملة كتاب الله ، طاعتنا فريضة ، وحبنا إيمان ، وبغضنا كفر ، محبنا في الجنة ، ومبغضنا في النار .. » (١٩٧)

٢ . قال (ع) : « نحن جنب الله تعالى ، نحن صفوة الله ، نحن امناء الله ، نحن مستودع مواريث الأنبياء ، نحن حجج الله ، نحن جبل الله المتين ، نحن صراط الله المستقيم ، قال الله تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) نحن رحمة الله للمؤمنين ، بنا يفتح

(١٩٦) اصول الكافي ١ / ١٨٣ .

(١٩٧) مناقب آل ابي طالب ٢ / ٣٣٦ .

الله وبنا يختم الله ، من تمسك بنا نجا ، ومن تخلف عنا غوى ، نحن القادة الغر المحجلون ... من عرفنا ، وعرف حقنا ، وأخذ بأمرنا فهو منا وإلينا .. « (١٩٨)

٣ . قال (ع) : « نحن خزنة علم الله ، ونحن ولاة أمر الله ، بنا فتح الإسلام وبنا يختمه ومنا تعلموا ، فو الله الذي فلق الحبة ، ويرأ النسمة ما علم الله في احد إلا فينا وما يدرك ما عند الله إلا بنا .. « (١٩٩)

٤ . قال (ع) : « نحن أهل بيت الرحمة ، وشجرة النبوة ، ومعدن الحكمة وموضع الملائكة ، ومهبط الوحي .. « (٢٠٠)

٥ . قال (ع) : « والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه .. « (٢٠١)

٦ . قال (ع) : « نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ، ومن فوق الأرض .. « (٢٠٢)

وتضافرت الاخبار من النبي (ص) وهي تحمل هذا الطابع الخاص في فضل الأئمة الطاهرين وما منحهم الله من مزيد الفضل. فقد جعلهم (ص) ينايع الحكمة ، وورثة علوم الأنبياء ، وخصهم بكل كرامة ، وهو حق لا شبهة فيه ، فان من راجع سيرتهم ، وما أثر عنهم من الهدى والصالح وسائر الكمالات النفسية يؤمن بأنهم سادات الخلق ، وأوصياء

(١٩٨) عيون المعجزات (ص ٣٤).

(١٩٩) اعلام الورى (ص ٢٧٠).

(٢٠٠) روضة الواعظين (ص ٢٧٥).

(٢٠١) اصول الكافي ١ / ١٩٢ .

(٢٠٢) اصول الكافي ١ / ١٩٢ .

النبي (ص) وحملة علومه ، وليس في هذا القول أي غلو أو انحراف عن الحق ، فقد وهب الله انبياءه العلم والحكمة وفصل الخطاب ، وهم ليسوا بأفضل من أئمة أهل البيت (ع) الذين اخلصوا لله ، وقدموا في سبيل طاعته ودينه من التضحيات ما لم يقدمه أي مصلح في الأرض.

عدد الأئمة :

وأعلن الامام أبو جعفر (ع) عدد الأئمة الطاهرين الذين هم خلفاء النبي (ص) على أمته ، وأوصياؤه وحملة علومه ، وفيما يلي بعض ما روى عنه :

- ١ - روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « الأئمة اثنا عشر اماما منهم الحسن والحسين ثم الأئمة من ولد الحسين .. » (٢٠٣)
- ٢ - روى أبو بصير أن الامام أبا جعفر (ع) قال : « نحن اثنا عشر محدثا » (٢٠٤).
- ٣ - روى عنه أبو بصير انه قال : « تكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمهم .. » (٢٠٥)

وقد اذاع ذلك الرسول الأعظم (ص) وتواترت الاخبار عنه فقد روى سلمان الفارسي قال : كنا مع رسول الله (ص) والحسين بن علي علي فخذه اذ تفرس في وجهه وقال له : « يا أبا عبد الله أنت سيد من ساداتنا ، وأنت إمام ابن إمام أخو امام ، أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم ، أعلمهم ، أحكمهم أفضلهم » (٢٠٦)

(٢٠٣) الاستنص ار (ص ١٧) لمحمد بن علي الكراجكي.

(٢٠٤) الاستنصار (ص ١٧).

(٢٠٥) الخصال (ص ٣٨٨).

(٢٠٦) مقتضب الأثر لاحمد بن محمد المتوفى سنة (٤٠١ هـ) من مخطوطات مكتبة الحسينية الشوشترية.

وروى عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يكون خلفي اثنا عشر خليفة » (٢٠٧) وعلق الشيخ ابو عبد الله احمد بن عياش على هذا الحديث بقوله : « فاذا كانت هذه العدة المنصوص عليها لم توجد في القائمين بعد رسول الله (ص) ولا في بني أمية لأن عدة خلفائهم تزيد على اثني عشر ، ولا في القائمين من بعدهم إلا زائدة عليهم ، ولم تدع فرقة من فرق هذه الامة هذه العدة في أئمتها غير الامامية دل ذلك على أن أئمتهم هي المعتدة بها » (٢٠٨).

وقد عددهم الامام أمير المؤمنين (ع) وذكر اسماءهم واحدا بعد واحد حتى انتهى الى القائم (٢٠٩) ويقول بعض الشعراء :

ان الأئمة تسعة وثلاثة نقلا عن الهادي البشير المنذر
لا زائد فيهم وليس بناقص منهم كما قد قيل عد الأشهر
مثل النبوة صيرت في معشر وكذا الامامة صيرت في معشر (٢١٠)

ويقول الشاعر عبد الله بن ايوب الخريبي مخاطبا للامام الجواد بعد وفاة أبيه :

يا ابن الذبيح ويا ابن أعراق الثرى طابت ارومته وطاب عروقا
يا ابن الثمانية الأئمة غربوا وأبا الثلاثة شرقوا تشريقا
ان المشارق والمغارب أنتم جاء الكتاب بذلك تصديقا (٢١١)

(٢٠٧) مقتضب الأثر.

(٢٠٨) مقتضب الأثر.

(٢٠٩) بصائر الدرجات (ص ١٠٨) للصفار.

(٢١٠) غاية الاختصار (ص ١٣١).

(٢١١) مقتضب الأثر.

والشيء المحقق ان خلفاء النبي (ص) الاثني عشر الذين تواترت فيهم الاخبار انما هم الأئمة الطيبون من أهل البيت (ع) فهم الذين يمثلون هدي النبي (ص) وسمته.

معن الأئمة :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) مع حمران عن المحن والخطوب التي ألمت بالأئمة الطاهرين من طواغيت زمانهم ، وانهم سلام الله عليهم لو سألوا الله تعالى أن يكشفها عنهم لاستجاب لهم ، ولكنهم لم يسألوه لينالوا المنزلة الكريمة عنده ، يقول (ع) :
« ولو انهم - أي الأئمة - يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عز وجل ، واطهار الطواغيت عليهم سألوا الله عز وجل أن يدفع ذلك عنهم والحوافي ازالة تلك الطواغيت ، وذهاب ملكهم اذن لأجابههم ، ورفع ذلك عنهم ، ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم اسرع من رفع سلك منظوم انقطع فتبدد ، ما كان ذلك الذي اصابهم - يا حمران - لذنب اقترفوه ، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ، ولكن لمنازل وكرامة من الله أن يبلغوها ، فلا تذهب فيك المذاهب فيهم .. » (٢١٢)

حثة على نشر مآثر الأئمة :

وكان (ع) يحث الرواة والمحدثين على اذاعة مآثر أئمة اهل البيت : ونشر فضائلهم لأنهم القدوة الحسنة لهذه الأمة ، يقول سعد الاسكاف : قلت : لأبي جعفر إني اجلس فأقص ، واذكر حقكم وفضلكم ، فشكر (ع) مساعيه وقال له :

(٢١٢) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٢ .

« وددت على كل ثلاثين ذراعاً قاصاً مثلك » (٢١٣).

علم الأئمة :

وأمّنت الشيعة منذ فجر تاريخها حتى يوم الناس هذا بأن أئمة أهل البيت (ع) قد وهبهم الله العلم والحكمة وفصل الخطاب ، كما وهب انبياءه ورسله ، (**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**).

وقد اجتمع المؤرخون والرواة على أن الأئمة (ع) كانوا يملكون طاقات هائلة من العلم لم يملكها أي أحد من الناس ، وانهم قد فاقوا بمواهبهم وعبقرياتهم جميع العلماء الذين عاصروهم وجيرهم ، وليس في هذا الايمان ، ولا في هذه الدعوى أية مؤاخذه بعد ما توفرت الأدلة على ذلك ، ألم يدع سيد العترة وزعيمها الامام أمير المؤمنين (ع) من على منبر الكوفة قوله : « سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماء فاني اعلم بها من طرق الأرض » ومعنى ذلك أن علومه ومعارفه قد تجاوزت شئون هذا الكوكب الذي يعيش عليه الانسان الى شئون الفضاء والمجرات وسائر الكواكب ، وانه قد احاط علماً بأسرار الكون ، ودقائق الطبيعة.

ألم يقل هذا العملاق العظيم : (لو ثبتت لي الوسادة لأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم ، وأهل الزبور بزبورهم ، وأهل الفرقان بفرقانهم » وهذا يدل - بوضوح - على احاطته التامة بشئون جميع الشرائع والأديان ، ووقوفه على ما في تلك الكتب السماوية من احكام .
ألم يكن علي صاحب نهج البلاغة الذي هو أثرى كتاب عالمي عرفته الانسانية بعد القرآن الكريم ... هذا هو زعيم العترة الطاهرة باب

(٢١٣) رجال الكشي (ص ١٨٧).

مدينة علم النبي (ص) ووصيه الذي فاق جميع علماء الدنيا في مواهبه وعلومه ، وعلى هذا الطراز من سعة العلم الذي لا يحده سائر الأئمة الطاهرين (ع) فهذا الامام علي بن موسى الرضا (ع) حينما نصبه المأمون ولي عهده ، فاعزز الى جميع علماء الدنيا بالحضور الى خراسان لامتحان الامام واختباره ريثما يظهر عليه العجز فيتخذ ذلك وسيلة الى هدم مذهب التشيع وابطال ما ذهبت إليه الشيعة من أن الامام افضل اهل عصره ، واعلم اهل زمانه ، ولما اجتمع العلماء في خراسان أجزل لهم المأمون بالعطاء وندبهم الى مهمته ، وكان المدون لمسائلهم علي بن عيسى ، يقول وقد سئل الامام عن اربعة وعشرين الف مسألة ، وقد دونتها ، وتناولت علوماً مختلفة من علم الفلك والنجوم والطب والفيزياء ، والفلسفة وعلم الكلام وغيرها ، وقد اجاب الامام عنها ، وما التقى به وفد من العلماء ، وخرج إلا وهو يقول بامامة الرضا ، وعقب علي بن عيسى كلامه بقوله : « ومن قال ان الله خلق افضل من علي بن موسى فلا تصدقه » (٢١٤).

وهذا ولده الامام محمد الجواد (ع) حينما آلت إليه الامامة بعد وفاة أبيه كان عمره الشريف لا يتجاوز العشر سنين فقربه المأمون وعظمه ، فحسده العباسيون ، وكلموا المأمون في أمره فعرفهم بامامته ، وان الله منحه العلم والفضل ، وميزه على الخلق اجمعين ، فانكروا ذلك عليه ، فعهد إليهم باختباره وامتحانه ، فخفوا الى يحيى بن اكنم الذي تقلد رئاسة القضاء ، وهو المع شخصية علمية في بغداد ، وطلبوا منه امتحان الامام (ع) فاجابهم الى ذلك ، وعقدوا مؤتمراً علمياً في البلاط العباسي حضره كبار العلماء ، واقبل يحيى بن اكنم فسأل الامام عن اعقد المسائل واشكلها ،

(٢١٤) عيون اخبار الرضا.

فأخذ الامام (ع) يحلل كل مسألة الى عدة فروع ، ويسأل يحيى عن أي فرع اراده ليحييه عنه ، وذهل يحيى ، وبان عليه العجز ، وطلب من الامام ان يحييه عن تلك الفروع التي شققها على مسألته ، فاجابه (ع) عنها ، وانفض المؤتمر ، وقد آمن جميع من حضر فيه بقدراته العلمية التي لا تحد ، وقد روى جميع المؤرخين هذه الباردة حتى ابن حجر ذكرها في صواعقه المحرقة ، فبأي شيء تعلل هذه الطاقات العلمية عند الامام الجواد وهو في سنه المبكرة؟

وعلى أي حال فان علم الأئمة (ع) كعلم الأنبياء من دون أن يكون اي فرق بينهما وقد عرض لذلك الامام أبو جعفر (ع) فقد قال لبعض شيعته :

. ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى؟

. جعلت فداك عن أي الحالات تسألني؟

. اسألك عن العلم

. هو والله اعلم منهما

. أليس يقولون : ان لعلي ما لرسول الله (ص) من العلم؟

. ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسل أحدا

. فخاصمهم بكتاب الله

. في أي موضع منه

. يقول تعالى لموسى : (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**) (٢١٥) وقال لعيسى : (

وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) (٢١٦) بينما

(٢١٥) سورة الاعراف : آية ١٤٥ .

(٢١٦) سورة الزخرف : آية ٦٣ .

قال لمحمد (ص) : (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ) (٢١٧) كما قال في نفس الآية (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) (٢١٨).

وقد تضافرت الاخبار ان علم الأئمة مستمد من علم جدتهم الرسول (ص) فقد ورث (ص) علومه الى وصيه وباب مدينة علمه الامام أمير المؤمنين ٧ وقد ورثها من بعده الأئمة الطاهرون من ابناؤه.

الملاحم التي اخبر عنها :

واجمع المؤرخون والرواة على أن أئمة اهل البيت (ع) قد أخبروا عن وقوع كثير من الملاحم والاحداث ، وتحققت بعد ذلك على مسرح الحياة ، كما أخبروا عنها ، فقد اخبر الامام أمير المؤمنين (ع) بما سيجري على الصحابي العظيم حجر بن عدي من صنوف القتل والتنكيل من قبل معاوية ، وجرى عليه ذلك ، واخبر (ع) عن حكومة مروان ابن الحكم القصيرة الأمد فقال (ع) : « ليحملن راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه ، وله امرة كلعقة الكلب أنفه » (٢١٩) وأخبر (ع) عن حكومة بني العباس فقد روى المبرد وغيره قال : لما ولد علي بن عبد الله ابن العباس جاء به ابوه الى الامام علي (ع) فقال له : ما سميته؟ فقال عبد الله : أو يجوز لي أن اسميه قبلك؟ فقال (ع) قد سميته باسمي ، وكنيته بكنيتي ، وهو أبو الاملاك (٢٢٠) واخبر (ع) عن مصرع ولده أبي الشهداء الامام الحسين (ع) فقد روى الاصبغ قال :

(٢١٧) سورة النحل : آية ٨٩.

(٢١٨) نظرية الامامة لدى الاثنى عشرية (ص ١٤٧) نقلا عن الكافي.

(٢١٩) طبقات ابن سعد ٥ / ٣٠.

(٢٢٠) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٥٨.

أتينا مع علي (ع) فمررنا بموضع قبر الحسين (ع) فقال علي : هاهنا مناخ ركابهم ، وهاهنا موضع رحالهم ، وهاهنا مهراق دمائهم ، فتية من آل محمد (ص) يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض^(٢٢١) كما اخبر (ع) عن الاحداث التي تجري آخر الزمان ، وما يخترعه الانسان من الآلات والاجهزة الحديثة ، وسائر الوان التقدم التكنولوجي في العالم ، كل ذلك اخبر عنه الامام (ع).

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الامام أمير المؤمنين (ع) وإنما شملت جميع أئمة اهل البيت (ع) فهذا الامام الصادق قد قال : للمنصور الدوانيقي تتلاعب بها . أي الخلافة . الصبيان من ولدك^(٢٢٢) وقال ٧ : لابن عمه عبد الله بن الحسن انه لا يلي الخلافة وإنما يليها السفاح ، وتحقق جميع ما أخبر به.

وقد اعترف ابن خلدون بهذه الظاهرة لأئمة أهل البيت (ع) يقول : « واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم ، فما ظنك بهم علما ودينا ، وآثارا من النبوة ، وعناية بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة ، والشريعة قد قررت ان البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية وقد وقع لجعفر وأمثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله اعلم الكشف بما كانوا من الولاية ، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة »^(٢٢٣).

أما الملاحم التي اخبر عنها الامام أبو جعفر فهذه بعضها.

(٢٢١) الرياض النضرة ٢ / ٢٢٢ .

(٢٢٢) اثبات الوصية (ص ١٨٢) .

(٢٢٣) المقدمة (ص ٢٣٢ - ٢٣٤) .

١ . انه تنبأ بدولة بني العباس ، يقول أبو بصير : كنت مع محمد ابن علي إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل ان يفضي الملك لبني العباس فجاء داود الى الامام محمد الباقر فسلم عليه ، فقال (ع) له :

« ما منع الدوانيقي أن يأتي؟ .. »

فاعتذر داود بن سليمان ، وقال : ان فيه جفاء ، واحاطه الامام (ع) علما بما يصير إليه المنصور قائلاً :

« لا تذهب الأيام حتى يلي هذا الرجل أمر الخلق ، فيطأ أعناق الرجال ، ويملك شرقها وغربها ، ويطول عمره حتى يجمع من كنوز المال ما لا يجمع غيره .. »
وبادر داود نحو المنصور ، وهو يحمل إليه البشري ، بما قاله الامام ، وخف المنصور مسرعاً نحو الامام ليتبين مقالته فيه ، وأبدى للإمام معاذيره في عدم السلام عليه قائلاً : ما منعني من الجلوس إليك إلا اجلالاً لك ، ثم سأله عما اخبر به داود ، فقال (ع) :

« هو كائن .. »

وراح المنصور يطلب المزيد من الايضاح قائلاً :

« ملكنا قبل ملككم؟. »

« نعم »

« ويملك أحد بعدي من ولدي؟. »

« نعم »

« فمدة بني أمية أطول أم مدتنا؟. »

« مدتكم أطول ليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعبون بالكرة ، بهذا عهد إلي أبي

« .. »

وانصرف المنصور وهو جذلان مسرور قد صار على يقين بأن الملك سيؤول إليه ،
وظلت مقالة الامام تراوده في جميع أوقاته فلما صارت إليه الخلافة تعجب من تنبأ الامام
(٢٢٤).

ويقول الدوانيقي : كنت هاربا من بني أمية أنا واخي أبو العباس فمررنا بمسجد النبي
(ص) ومحمد بن علي جالس ، فقال (ع) : لرجل إلى جانبه كأنني بهذا الأمر قد صار الى
هذين ، وأشار إلينا ، فجاء الرجل وأخبرنا بمقالته ، فملنا إليه وقلنا له : يا ابن رسول الله ما
الذي قلت؟ فقال (ع) : هذا الأمر صائر إليكم عن قريب ولكنكم تسيئون إلى ذريتي ،
وعترتي فالويل لكم (٢٢٥) فكان كما اخبر (ع) وقد اساء المنصور حينما ولي الخلافة إلى
ذرية رسول الله (ص) وعترته ، فنكل بهم كأفطع ما يكون التنكيل وقد قاست عترة رسول
الله (ص) في عهد هذا الطاغية من صنوف العذاب ما لم تقاسيه في عهد الامويين فقد
كانت أيامه عليهم كلها محنة والمآ وعذابا.

٢ . ومما انبأ عنه الامام أبو جعفر (ع) أنه أخبر عن الحجر الأسود وانه يعلق في
الجامع الأعظم في الكوفة (٢٢٦) وتحقق ذلك أيام القرامطة فقد اخذوه من الكعبة ، وجعلوه
في جامع الكوفة باعتقادهم أن الحج يدور مداره ، وقد أرادوا ان يكون الحج إلى مسجد
الكوفة وبقي فيه مدة تقرب من عشرين عاما ثم ارجع إلى مكانه.

٣ . ومن الملاحم التي أخبر عنها غزو نافع بن الأزرق إلى يثرب ،

(٢٢٤) جامع كرامات الأولياء ١ / ٩٧ ، الدر المسلوک مخطوط.

(٢٢٥) دلائل الامامة (ص ٩٦).

(٢٢٦) اتعاض الحنفاء للمقرزي (ص ٢٤٥).

واباحتها لجنوده ، يقول الامام الصادق (ع) : كان أبي في مجلس عام إذ اطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه وقال : يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم في اربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة ايام متوالية ، فيقتل مقاتلكم ، وتلقون منه بلاء لا تقدرن عليه ولا على دفعه ، وذلك من قابل . أي السنة التي تأتي . فخذوا حذرکم ، واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بد منه ، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه ، وقالوا : لا يكون هذا أبدا ، فلما كانت السنة المقبلة حمل ابو جعفر عياله ، وصحب معه جماعة من بني هاشم ، وخرجوا من المدينة ، فجاء نافع بن الأزرق فدخلها في اربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام ، وقتل فيها خلقا كثيرا^(٢٢٧) واستبان لأهل المدينة مدى صدق الامام في تنبؤة.

٤ . واخبر (ع) عن شهادة أخيه زيد الشهيد العظيم فقد روى زيد ابن حازم قال : كنت مع أبي جعفر (ع) فمر بنا زيد بن علي فقال لي ابو جعفر : أما رأيت هذا؟ ليخرجن بالكوفة ، وليقتلن ، وليطافن برأسه^(٢٢٨) ولم تمض الايام حتى قتل زيد بالكوفة وطيف برأسه في الاقطار والامصار .

٥ . ومن الاحداث التي تنبأ عنها انه اخبر بهدم دار هشام بن عبد الملك ، وهي من اضخم الدور في يثرب ، وكان قد بناها باحجار الزيت ، قال

(٢٢٧) نور الابصار (ص ١٣٠) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٣٤) الخرائج والجرائح (ص ٨٠) من مخطوطات مكتبة الحكيم .
(٢٢٨) نور الابصار (ص ١٣١) .

٧ : اما والله لتهدمن ، أما والله لتندر احجار الزيت ، يقول

أبو حازم : فلما سمعت هذا تعجبت منه وقلت : من يهدمها وامير المؤمنين هشام قد بناها!! فلما مات هشام وولي الخلافة من بعده الوليد امر بهدمها ، ونقل احجار الزيت منها حتى ندرت في يثرب (٢٢٩).

٦ . ومن الملاحم التي انبأ عنها ما رواه الفضيل قال : سألت أبا جعفر فقلت له : بلغنا أن لآل جعفر راية ، ولآل العباس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟ فقال (٤) :

« اما آل جعفر فليس لهم شيء ، ولا لأهل بيتي شيء ، واما آل العباس فان لهم ملكا عظيما ، يقربون فيه البعيد ، ويبعدون فيه القريب ، وسلطانهم عسر ليس فيه يسر حتى إذا آمنوا مكر الله ، وآمنوا عقابه صبح فيهم صيحة واحدة لا يبقى لهم منزل يجمعهم ، ولا اذن تسمعهم ، وهو قول الله عز وجل حتى إذا اخذت الارض زخرفها .. (٢٣٠) »
هذه بعض البوادر من الملاحم التي اخبر عنها الامام (ع) وهي تلقي الأضواء على مدى سعة علوم الامام (ع) واحاطته بمثل هذه الأمور التي منحها الله تعالى للأنبياء وأوصيائهم ، ومن الطبيعي ان الاقرار للأئمة (ع) بهذه الظاهرة يحتاج إلى إيمان راسخ ويقين ثابت ، وقد اشار الامام ابو جعفر (ع) إلى ذلك بقوله : « ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للإيمان » (٢٣١).

(٢٢٩) دلائل الامامة (ص ١١٠) .

(٢٣٠) اثبات الهداة ٥ / ٣١٠ .

(٢٣١) اعلام الوری من مخطوطات دار الآثار العراقية .

هذه بعض البحوث الكلامية واخباره عن المغيبات التي خاضها الامام (ع) وله بحوث أخرى في هذه المجالات سنذكرها عند البحث عن عصره.

علم الفقه :

أما فقه أهل البيت (ع) فقد أخذ معظمه من الامامين الباقر وولده الصادق (ع) وقد حفلت موسوعات الفقه الامامي . كالحقائق والجواهر ومستمسك العروة الوثقى . بالروايات الكثيرة التي أثرت عنهما ، وإليها يرجع فقهاء الامامية في استنباطهم للأحكام الشرعية ، وفي اصدارهم للفتوى ، أما موسوعات الحديث كوسائل الشيعة والتهذيب ، ومن لا يحضره الفقيه وغيرها فاغلب ما فيها من الاحاديث قد أخذت عنهما ، وقد شكلت تلك الموسوعات دائرة معارف للفقه الاسلامي هي من أروع وأثرى ما قنن في عالم التشريع.

لقد جهد الامام الباقر وولده الصادق (ع) على نشر الفقه الاسلامي وتبنيه بصورة إيجابية في وقت كان المجتمع الاسلامي غارقا في الأحداث السياسية ، وقد أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينية اهمالا تاما ، فلم تعد الشعوب الاسلامية تفقه من أمور دينها القليل ولا الكثير ، يقول الدكتور علي حسن : « وقد أدى تبئنا للنصوص التاريخية إلى امثلة كثيرة تدل على هذه الظاهرة . أي اهمال الشؤون الدينية . التي كانت تسود القرن الأول سواء لدى الحكام أو العلماء أو الشعب ، ونعني بها عدم المعرفة بشؤون الدين ، والتأرجح وعدم الجزم والقطع فيها حتى في العبادات ، فمن ذلك ما روي أن ابن عباس خطب في آخر رمضان على منبر البصرة فقال : (اخرجوا صدقة صومكم) فكان الناس لا يعلمون ، فقال : من هاهنا من أهل المدينة ، فقوموا إلى إخوانكم فعلموهم ، فانهم

لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئا^(٢٣٢) مما يدل على أن أهل البلاد الإسلامية لم يكونوا يعرفون شئون دينهم معرفة مفصلة ، وقد كان يوجد في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة ، فراحوا يسألون الصحابة عن ذلك^(٢٣٣) وهذه مسألة أوقات الصلاة لم تكن معروفة عند عمر بن عبد العزيز^(٢٣٤) وبعض أهل العلم ، فكان العلماء يرون سنة مخصوصة في ذلك ، وكانت الحكومة ترى رأيا مخالفا ، وعلى هذا جاء الحديث « سيأتي في آخر الزمان أمراء يميئون الصلاة ، فأدوا الصلاة في وقتها » والمؤرخون المتقدمون إذا لم يعرفوا كيف يشرحون لنا هذه الحالة فانهم لم يجدوا أمامهم إلا سببا مفروضا ، وهو ان الامويين قد غيروا أوقات الصلاة برأيهم.

ولكن الحقيقة هو إنه في اثناء عصر بني أمية الذين كانوا لا يهتمون كثيرا بأمور الدين كان الشعب في الواقع قليل الفهم والمعرفة للفقهاء ومسائل الدين ، ولم يكن يعرف من هذه الشؤون إلا اهل المدينة وحدهم^(٢٣٥) .. «^(٢٣٦)

(٢٣٢) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم ٢ / ١٣١ .

(٢٣٣) أبو داود ١ / ١٤٢ ، النسائي ١ / ٤٢ .

(٢٣٤) ان خفاء أوقات الصلاة على عمر بن عبد العزيز من الموضوعات والمفتريات عليه ، وسنعرض لذلك عند البحث عن سيرته.

(٢٣٥) يراجع في كيفية صلاة عمر بن عبد العزيز طبقات ابن سعد ٥ / ٤٧ ، والامامة والسياسة ٢ / ١٤٣ ، ويراجع إلى عصر عبد الملك ابن مروان إنه لم تكن مسائل الحج قد عرفت تماما ، مصادر ذلك طبقات ابن سعد ٥ / ١٧٠ ، اليعقوبي ٢ / ٣٥٨ .

(٢٣٦) نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي (ص ١١٠) .

ان الدور المشرق الذي قام به الامام الباقر والصادق في نشر الفقه وبيان احكام شريعة الله كان من اعظم الخدمات التي قدمت للعالم الاسلامي ولو لاهلها لخسر المسلمون اعظم ثروة دينية لهم.

وعلى أي حال فانه لما لم يكن في العالم الاسلامي . في تلك العصور . من هو أدري بشئون الشريعة واحكام الدين غير الامامين (ع) فقد أسرع إلى الأخذ من علومهما ابناء الصحابة والتابعون ، ورؤساء المذاهب الاسلامية كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ، وقد تخرج على يد الامام أبي جعفر جمهرة كبيرة من الفقهاء كزرارة بن اعين ، ومحمد بن مسلم وابان ابن تغلب ، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث الامام (ع) كما كانوا من مراجع الفتيا بين المسلمين ، وبذلك فقد اعاد الامام أبو جعفر (ع) للإسلام نضارته وحافظ على ثرواته الدينية من الضياع.

ومن الجدير بالذكر أن الشيعة هي أول من سبق إلى تدوين الفقه يقول مصطفى عبد الرزاق : « ومن المعقول أن يكون النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة لأن اعتقادهم العصمة في أئمتهم أو ما يشبه العصمة كان حريا إلى تدوين أفضيتهم وفتاواهم »^(٢٣٧) وبذلك فقد ساهمت الشيعة في بناء الصرح الاسلامي ، وحافظت على أهم ثرواته ... ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في فقه أهل البيت (ع) الذي هو مستمد من الرسول الاعظم (ص).

مميزاته :

ويمتاز فقه أهل البيت (ع) بمميزات رائعة جعلته في قمة الفقه الاسلامي وغيره ،

وهذه بعضها :

(٢٣٧) تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية (ص ٢٠٢) .

١ . اتصاله بالنبي (ص) :

والشيء المهم في فقه اهل البيت (ع) إنه يتصل اتصالاً مباشراً بالنبي (ص) فطريقه إليه أئمة اهل البيت (ع) الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وجعلهم النبي (ص) سفن النجاة ، وأمن العباد ، وعدلاء الذكر الحكيم حسبما تواترت الاخبار بذلك .
ومما لا شبهة فيه انهم سلام الله عليهم الصق الناس برسول الله (ص) وادرى بشئون شريعته وأحكامه من غيرهم فروايتهم عن جدهم (ص) ان صح طريق سندها إليهم فهي من أصح الروايات إليهم وأقربها إلى الواقعية وبراءة الذمة ، وهذا مما دعا فقهاء الامامية إلى الاقتصار على روايات الأئمة في استنباطهم للأحكام الشرعية ، باعتبارها قد حازت على وثاقة الدليل واصالته اللذين يعتمد عليهما الفقيه ، وقد عرض الامام أبو جعفر ٧ إلى روايات الأئمة (ع) وإنها لم تكن منهم وإنما هي مأخوذة عن النبي (ص) يقول (ع) : « لو إننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من قبلنا ، ولكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه (ص) فبينها لنا » (٢٣٨)

وسئل عن الحديث الذي يرسله ، ولا يسنده فقال (ع) : « إذا حدثت بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) عن جبرائيل عن الله » (٢٣٩) وهل هناك سند أشرق من هذا السند أو أصح منه؟ وهل يجد المسلم الذي يتبغي وجه الله والدار الآخرة طريقا يوصله إلى الله اسلم وضمن من هذا الطريق؟

٢٣٨ و ٢٣٩ اعلام الوری (ص ٢٧٠) .

٢ . مرونته :

وفقه أهل البيت يسائر الحياة ، ويواكب التطور ، ولا يشذ عن الفطرة ويتمشى مع جميع متطلبات الحياة ، فليس فيه . والحمد لله . حرج ولا ضيق ، ولا ضرر ، ولا اضرار ، وإنما فيه الصالح العام ، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته ، وقد نال اعجاب جميع رجال القانون ، واعترفوا بأنه من أثرى ما قنن في عالم التشريع عمقا واصالة وابداعا .
ان فقه أهل البيت (ع) ثبت يضيء للباحثين القوة التشريعية الدافعة المتقدم العلمي والحضاري وهو آية للعدل المطلق ، والحق المحض لأنه نابع من صميم الواقع فقد استعرض خلايا جسم الأمة ، فوضع الحلول الحاسمة لجميع مشاكلها .

٣ . فتح باب الاجتهاد :

والشيء الذي تميز به فقه أهل البيت (ع) عن بقية الفقه الاسلامي هو فتح باب الاجتهاد ، فقد دلل ذلك على اصالة فقه أهل البيت ، وتفاعله مع الحياة واستمراره في العطاء لجميع شئون الانسان ، وإنه لا يقف مكتوفا أمام الاحداث المستجد ، التي يتبلي بها الناس خصوصا في هذا العصر الذي استجدت فيه كثير من الأحداث التي لم تكن موجودة في العصور السابقة كالتلقيح الصناعي ، وغرس الاعضاء ، وغير ذلك من الأمور التي لا يوجد لها حل على غير مائدة فقه أهل البيت ، وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجة الملحة إلى فتح باب الاجتهاد ، ومتابعة الشيعة في هذه الظاهرة يقول احمد أمين : « وقد أصيب المسلمون بحكمهم على أنفسهم بالعجز ، وقولهم : بإقفال باب الاجتهاد لأن معناه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ، ولا يرجى أن يكون ذلك

في المستقبل ، وإنما قال : هذا القول بعض المقلدين : لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وسوء
ظنهم بالناس .. » (٢٤٠)

ويقول السيد رشيد رضا :

« ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما ، وأما مضاره فكثيرة ، وكلها ترجع إلى
إهمال العقل ، وقطع طريق العلم ، والحرمان من استغلال الفكر ، وقد أهمل المسلمون
كل علم بترك الاجتهاد ، فصاروا إلى ما نرى .. » (٢٤١)

ان الاسلام . والحمد لله . قد نعى على الفكر الجمود ، ودعاه إلى الانطلاق في
ميادين الفكر والعلم ، وليس من الحكمة في شيء اقفال باب الاجتهاد وفرض التقليد ، إذ
ليس في الاجتهاد استحالة ، ولا فيه خروج على المنطق والدليل ، وأما اقفال بابه فقد كان
في وقت خاص فرضته الحكومات القائمة في تلك العصور . حسبما يقوله المحققون .

٤ . الرجوع الى حكم العقل :

وانفردت فقهاء الامامية عن بقية المذاهب الاسلامية فاعتبرت العقل أحد المدارك
الأربعة لاستنباط الاحكام الشرعية ، وقد اضفت عليه اسمى الوان التقديس فاعتبرته رسول
الله الباطني ، وإنه مما يعبد به الرحمن ، ويكتسب به الجنان ، ومن الطبيعي ان الرجوع إلى
حكم العقل إذا لم يكن في المسألة نص وإلا فهو حاكم عليه ، وان للعقل مسرحا كبيرا في
علم الاصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد ، إذ أكثر مسائل الفقه يستند فيها الفقهاء إلى ما
تقتضيه القواعد الاصولية فيها ، وعلى ضوء حكم العقل

(٢٤٠) يوم الاسلام (ص ١٨٩) .

(٢٤١) الوحدة الاسلامية (ص ٩٩) .

فقد حكموا بوجوب مقدمة الواجب ، وان الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده ، كما حكموا بحجية الظن المطلق بناء على الحكومة لا على الكشف ، وارجعوا الخبرين المتعارضين إلى حكم العقل فان أيد احدهما فيؤخذ به حسبما دلت عليه الاخبار إلى غير ذلك من المسائل التي يرتبط موضوعها بحكم العقل ، وهذا مما يدعو إلى الاعتزاز والفخر بحيوية الفقه الامامي واصالته.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن مميزات الفقه الامامي.

مسائل فقهية :

وليس من المستطاع لي تدوين ما أثر عن الامام أبي جعفر (ع) من المسائل الفقهية ، فان ذلك يستدعي تدوين موسوعة فقهية كبيرة ، فان معظم أبواب الفقه وبحوثه قد رويت عنه ، إلا أنا نذكر عرضاً موجزاً لبعض المسائل التي أثرت عنه ، وهي :

حكم القتال في الاسلام :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) عن حكم القتال والحرب في الاسلام حينما سأله رجل من شيعته عن حروب الامام أمير المؤمنين (ع) فقال له :

« بعث الله محمدا (ص) بخمسة أسياف : ثلاثة منها شاهرة لا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها ، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، وسيف مكفوف ، وسيف منها مغمود ، سله إلى غيرنا ، وحكمه إلينا.

فأما السيف الثالثة الشهيرة : فسيف على مشركي العرب ، قال الله عز وجل : (فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) (٢٤٢) (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) (٢٤٣) هؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الاسلام ، وأموالهم فيء وذراريهم سبي على ما سن رسول الله (ص) فانه سبي وعفا ، وقبل الفداء .

والسيف الثاني : على أهل الذمة قال الله سبحانه (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (٢٤٤) نزلت هذه الآية في أهل الذمة ، ونسخها قوله : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (٢٤٥) فمن كان منهم في دار الاسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل ، ومالهم فيء ، وذراريهم سبي ، فاذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم ، وحلت لنا مناكحتهم (٢٤٦) ومن كان منهم في دار الحرب حل لناسيتهم وأموالهم ، ولم تحل لنا مناكحتهم ، ولم يقبل منهم إلا دخول دار الاسلام والجزية أو القتل .

والسيف الثالث : على مشركي العجم كالترك والديلم والخزر ، قال الله عز وجل : في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم ،

(٢٤٢) سورة التوبة : آية ٥ .

(٢٤٣) سورة التوبة : آية ١١ .

(٢٤٤) سورة البقرة : آية ٨٣ .

(٢٤٥) سورة التوبة : آية ٣٠ .

(٢٤٦) في التهذيب والكافي « مناكحتهم » .

ثم قال : (فَضْرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْخَنُتُمْوَهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) (٢٤٧).

فأما قوله : (فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ) يعني بعد السبي منهم (وَإِمَّا فِدَاءً) يعني المفاداة بينهم ، وبين أهل الاسلام ، فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الاسلام ، ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في الحرب.

وأما السيف المكفوف : فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) (٢٤٨) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، فسئل النبي (ص) من هو؟ فقال : خاصف النعل . يعني أمير المؤمنين . وقال عمار بن ياسر : قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاثا (٢٤٩) وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر (٢٥٠) لعلمنا أنا على الحق ، وانهم على الباطل ، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين (ع) مثل ما كان من رسول الله (ص) في أهل مكة يوم فتحها فانه لم يسب لهم ذرية ، وقال : من أغلق بابه فهو

(٢٤٧) سورة محمد : آية ٤ .

(٢٤٨) سورة الحجرات : آية ٩ .

(٢٤٩) الثلاث : التي قاتل مع تلك الراية الصحابي العظيم عمار بن ياسر هي : يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وكان يتزعم تلك الحروب أبو سفيان عميد الأمويين .
(٢٥٠) هجر : . بالتحريك . بلدة باليمن ، كما إنها اسم لجميع أرض البحرين .

آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن ، وكذلك قال أمير المؤمنين (ع) : يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية ، ولا تدفوا على جريح (٢٥١) ولا تتبعوا مدبرا ، ومن اغلق بابه والقى سلاحه فهو آمن.

والسيف المغمود : فالسيف الذي يقام به القصاص قال الله عز وجل (**التَّنْفِيسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ**) (٢٥٢) فسله إلى اولياء المقتول وحكمه إلينا.

فهذه السيوف التي بعث الله بها محمدا (ص) فمن جردها أو جحد واحدا منها أو شيئا من سيرها فقد كفر بما أنزل الله تبارك وتعالى على محمد نبيه .. « (٢٥٣) واستمد فقهاء المسلمين الاحكام التي رتبوها على قتال أهل البغي من سيرة الامام أمير المؤمنين (ع) في حرب الجمل ، كما أخذوا عن أئمة الهدى (ع) الكثير من الاحكام في هذه المسألة

المسح على الخفين :

وجوز فقهاء المذاهب الاسلامية المسح على الخفين في الوضوء ، ولم يعتبروا مماسة اليد لظاهر القدمين (٢٥٤) أما أئمة أهل البيت (ع) فاعتبروا المماساة ولم يسوغوا غيرها ، يقول الربيع : سألت أبا اسحاق عن المسح؟ فقال : أدركت الناس يمسحون . يعني على الخفين . حتى لقيت رجلا من بني

(٢٥١) لا تدفوا على جريح : أي لا تجهزوا عليه.

(٢٥٢) سورة المائدة : آية ٤٧ .

(٢٥٣) تحف العقول (ص ٢٨٨ . ٢٩٠) ورواه الكليني في فروع الكافي ، والشيخ الصدوق في الخصال ، والشيخ الطوسي في التهذيب.

(٢٥٤) الخلاف ١ / ١٨ .

هاشم لم أر مثله قط يقال له محمد بن علي بن الحسين فسألته عن المسح؟ فنهاني عنه ، وقال : لم يكن أمير المؤمنين (ع) يمسح ، وكان يقول : سبق الكتاب المسح على الخفين (٢٥٥).

لقد دل الكتاب العظيم على اعتبار المماساة قال تعالى : (**وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ**) والآية ظاهرة أشد الظهور فيما حكم به أهل البيت .:

مس الفرج لا ينقض الوضوء :

وذهب الشافعي إلى أن مس الفرج من نواقض الوضوء ، وتمسك بذلك بما روى عن ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وسعيد ابن المسيب ، وسليمان بن يسار من ان مس الفرج من نواقض الوضوء ، أما الامام ابو جعفر (ع) وسائر أئمة اهل البيت (ع) فانهم لا يرون ذلك ، روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « ليس في القبلة ولا المباشرة ، ولا مس الفرج وضوء » (٢٥٦) ويضاف إلى ذلك ثبوت حكم الطهارة وجريان استصحابها ، وان نقضها يحتاج الى دليل.

الجهر في صلاة الاخفات :

وذهب فقهاء المذاهب الاسلامية إلى أن الجهر في صلاة الاخفات أو الاخفات في صلاة الجهر متعمدا غير مبطل للصلاة ، أما في فقه مذهب أهل البيت (ع) فانه مبطل للصلاة فقد روى زرارة عن الامام أبي جعفر (ع) في رجل جهر فيما لا ينبغي الاجهار فيه أو اخفى فيا لا ينبغي

(٢٥٥) روضة الواعظين (ص ٢٤٣) .

(٢٥٦) الخلاف / ١ / ٢٣ .

الاخفاء فيه ، فقال (ع) : ان فعل ذلك متعمدا فقد نقض صلاته وعليه الاعادة ، وإن فعل ذلك ناسيا أو ساهيا أو لا يدري فلا شيء عليه وقد تمت صلاته (٢٥٧).

الصلاة على آل النبي في التشهد :

وذهب أكثر فقهاء المسلمين الى وجوب الصلاة على النبي (ص) في التشهد ، وقد روى جابر الجعفي عن الامام أبي جعفر (ع) أنه قال : قال رسول الله (ص) : « من صلى صلاة لم يصل فيها علي ، ولا على أهل بيتي لم تقبل منه (٢٥٨) .
هذه بعض المسائل الفقهية التي أدلى بها الامام أبو جعفر (ع) ومعظم أبواب الفقه اصولا وفروعا قد اخذت عنه ، كما ذكرنا ذلك.

علم الاصول :

من العلوم التي فتق أبوابها الامام الباقر (ع) علم الاصول ، وهو من أجل العلوم الاسلامية بعد علم الفقه لأن الاجتهاد يتوقف عليه فانه لا يكون المجتهد قد حصل على ملكة الاجتهاد حتى يجتهد في بحوث هذا العلم (٢٥٩).
وقد اتفق الباحث والعلماء على أن الامام أبا جعفر (ع) هو اسبق من اسس هذا العلم ، وارسى قواعده ، يقول السيد حسن الصدر : « ان أول من فتح باب علم الاصول . وفتق مسائله هو باقر العلوم الامام أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ع) وبعده ابنه أبو عبد الله

(٢٥٧) الخلاف ١ / ١٣٠ .

(٢٥٨) الخلاف ١ / ١٣١ .

(٢٥٩) كفاية الاصول الجزء الثاني باب الاجتهاد والتقليد.

الصادق (ع) وقد امليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعد ومسائله جمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحثه ككتاب (اصول آل الرسول) وكتاب « الفصول المهمة في أصول الأئمة » وكتاب « الاصول الاصيلية » كلها بروايات الثقات مسندة ، متصلة الاسناد إلى أهل البيت :. « (٢٦٠).

وفيما يلي بعض القواعد الاصولية التي أسسها الامام (ع) أو نقلها عن اجداده الطاهرين ، وإليها يرجع الفقهاء عند عدم النص على الحكم الشرعي . وان كانت الكثير منها قواعد فقهية إلا ان علماء الاصول ذكروها استطرادا في علم الاصول ونحن نذكرها كذلك.

الاستصحاب :

وهو احد الاصول الأربعة التي يرجع إليها الشاك في مقام العمل ، أما سبب شكه فيرجع اما إلى فقدان النص أو اجماله ، أو الى تعارض النصوص وتساقطها فيما إذا تكافأت ، ولم يكن أحدهما ارجح من الآخر ، ولا يجري الاستصحاب حتى يتوفر في المستصحب اليقين السابق والشك اللاحق ، وقد نص الامام (ع) على حجية الاستصحاب في كثير من المسائل التي سئل عنها خصوصا في أبواب الشك في الصلاة ، وقد ذكرت تلك الاخبار في (وسائل الشيعة) وغيرها من الموسوعات الفقهية.

قاعدة التجاوز :

وتعنى هذه القاعدة الحكم بوجود الشيء المشكوك بعد الدخول في غيره مما هو مترتب عليه (٢٦١) كما إذا شك في القراءة وقد ركع ، وقد

(٢٦٠) الشيعة وفنون الاسلام (ص ٩٥).

(٢٦١) حقائق الاصول ٢ / ٥٤٧ .

تظافت الاخبار عن الامام الباقر (ع) وولده الامام الصادق (ع) في عدم العناية بالشك والمضي في الصلاة.

قاعدة الفراغ :

وهي عبارة عن الحكم بصحة الفعل الموجود في ظرف الشك في صحته (٢٦٢) وقد استفيدت هذه القاعدة من موثق محمد بن مسلم عن الامام أبي جعفر (ع) قال : « كل ما شككت فيه مما قد مضى فامضه كما هو » (٢٦٣) كما دلت على ذلك صحيحة محمد بن مسلم عنه (ع) جاء فيها « كلما شككت فيه بعد ما تفرغ من صلاتك فأمضى ولا تعد » (٢٦٤) وعلى ضوء الموثقة والصحيحة اتى فقهاء الامامية بعدم الاعتناء بالشك في افعال الصلاة بعد الفراغ منها.

قاعدة نفي الضرر :

من القواعد المهمة في التشريع الاسلامي قاعدة « نفي الضرر » ومفادها نفي الحكم المؤدي إلى الضرر . كما يرى ذلك الشيخ الانصاري . ويترتب عليها كثير من الاحكام ذكرها الفقهاء ، وقد نص الامام أبو جعفر (ع) على مدرك هذه القاعدة فقد قال (ع) : لزارة : إن سمرة بن

(٢٦٢) حقائق الاصول ٢ / ٥٤٧ .

(٢٦٣) مستمسك العروة الوثقى ٧ / ٣٥٠ .

(٢٦٤) مستمسك العروة الوثقى ٧ / ٣٤٩ .

جندب (٢٦٥) كان له عذق (٢٦٦) في حائط لرجل من الانصار ، وكان منزل الانصاري بباب البستان ، وكان سمرة يمر إلى نخلته ولا يستأذن ، فكلمه الانصاري أن يستأذن اذا جاء فأبى سمرة فجاء الانصاري إلى النبي (ص) فشكى إليه ، وأخبره بالخبر ، فأرسل رسول الله (ص) إليه وأخبره بقول الانصاري ، وما شكاه ، فقال (ص) : إذا اردت الدخول فاستأذن فأبى ، فلما أبى ساومه حتى بلغ من الثمن ما شاء الله ، فأبى أن يبيعه ، فقال (ص) : لك بها عذق في الجنة ، فأبى أن يقبل ، فقال رسول الله (ص) للأنصاري اذهب فاقلعها وارم بها إليه (٢٦٧) فانه لا ضرر ولا ضرار (٢٦٨).

وقد ذكر الاصوليون مفاد هذا الحديث ، وشرحوا مفردات الفاظه ، وما يترتب عليه من الاحكام.

(٢٦٥) سمرة بن جندب الصحابي الكذاب كان من سماسرة معاوية واعوانه على نشر الظلم والارهاب ، استعمله زياد بن أبيه واليا على البصرة فأسرف في قتل الابرياء فقتل . فيما يقول المؤرخون ثمانية آلاف ، وفي تاريخ الطبري ٦ / ٦٣٢ ان أبا سوار العدوي قال : قتل سمرة من قومي في غداة سبعة واربعين رجلا ممن جمع القرآن ، وقد تحدثنا بصورة مفصلة عن جرائمه في كتابنا « حياة الامام الحسن » ٢ / ١٨٦ - ١٩١ .

(٢٦٦) العذق : . بفتح العين . النخلة ، وبكسرهما عنقود التمر .

(٢٦٧) في رواية الحذاء عن الامام أبي جعفر (ع) : « ما أراك يا سمرة إلا مضار اذهب يا فلان فاقلعها وارم بها وجهه؟ »

(٢٦٨) إيضاح الكفاية ٣ / ٤٣٩ مخطوط للمؤلف .

علاج التعارض :

ووردت أخبار كثيرة عن أئمة أهل البيت (ع) متعارضة في مدلولها بين النفي والايجاب في موضوع واحد ، ومن المعلوم استحالة هذا اللون من التناقض في احاديث الأئمة ، اما سبب التعارض فلا يخلو من أحد أمرين « الأول » صدور أحدهما للتقية ، فقد ابتلي الأئمة الطاهرون بفراغنة زمانهم الذين جهدوا على ظلمهم ، والتنكيل بهم وبشيعتهم ، وقد احاطوا مجالسهم بمباحثهم لحجبهم عن المسلمين ، فكانت ظروفهم قاسية وحرجة ، فاذا سألوا عن مسألة ، وشكوا في أمر السائل أو كان في المجلس من يخافون منه افتوا بالمسألة على وفق رأي الجمهور حذرا من التنكيل ، وستحدث عن هذه الجهة بالتفصيل في البحوث الآتية « الثاني » أن يكون أحد الخبرين من الموضوعات عليهم فان وضع الحديث وافتعاله قد كثر في تلك العصور ، وسنعرض لذلك عند البحث عن مشاكل عصر الامام.

وكانت معرفة الخبر الصحيح وتمييزه عن غيره في مجالات التعارض تهم المتحرجين في دينهم من الرواة فحفوا إلى الامام أبي جعفر (ع) وسألوه عن ذلك فوضع (ع) البرامج العلاجية لذلك وهي :

١ . الشهرة :

ونعنى بها الشهرة في الرواية لا في الفتوى فاذا كان أحد الخبرين المتعارضين مشهورا بين الرواة فيؤخذ به ، واما الشاذ النادر من الخبرين فيطرح يقول (ع) : لزارة « يا زارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ،

ودع الشاذ النادر « (٢٦٩) ومعنى هذا ان الشاذ النادر من الخبرين يطرح ولا يؤخذ به ، ويعول على الخبر المشهور بين الرواة.

٢ . موافقة الكتاب والسنة :

والمقياس الثاني الذي وضعه الامام أبو جعفر لعلاج التعارض هو عرض الخبرين المتعارضين على الكتاب والسنة فان اتفق أحدهما مع منطوق الكتاب والسنة فيؤخذ به ويطرح الآخر يقول (ع) لبعض أصحابه : « لا تصدق علينا إلا بما يوافق كتاب الله وسنة نبيه ».

٣ . الترجيح بالصفات :

الطريق الثالث : لمعرفة الخبر الصحيح هو النظر في صفات الراوي من حيث الوثاقة والعدالة ، فتقدم روايته على من لا تتوفر فيه هذه الصفات ، يقول الامام أبو جعفر لزرارة : « خذ بما يقوله أعدلهما عندك ، وأوثقهما ».

ودلت هذه الرواية على أن عدالة الراوي ووثاقته من موجبات الترجيح لأحد الخبرين المتعارضين على الآخر ... وبهذا ينتهي بنا الحديث عن القواعد الاصولية التي القاها الامام (ع) في بحوثه ومحاضراته.

بحوث اقتصادية :

وعرض الامام (ع) في محاضراته وسيرته الى أهم المباحث الاقتصادية ، وهذه بعضها :

(٢٦٩) غوالي اللغالي لأبي جمهور الاحسائي ، رواه عن العلامة مرفوعا إلى زرارة.

١ . ضرورة تحسين المعيشة :

ودعا الامام (ع) إلى الجد والسعي في طلب المعيشة لينعم الانسان مع عائلته بالرفاه والرخاء ، ويتجنب الفقر والبؤس ، قال (ع) :

« من تسلمح لطلب المعيشة خفت مئونه ، ورخا باله ، ونعم عياله .. »

قال (ع) : « بسعة الخلق تطيب المعيشة .. »

إن التسلمح لطلب المعيشة والجد فيها مما يوفر للإنسان الحياة الاقتصادية الحافلة بالرخاء والنعم ، وهدوء البال والاستقرار ، وان الحياة إنما تطيب وتنعم اذا كانت في ظلال الرخاء لا في ظلال البؤس والشقاء.

٢ . التحذير من الكسل :

وحذر الامام أبو جعفر (ع) من الكسل لأنه موجب لشلل الحركة الاقتصادية وتجميد الطاقات الانسانية ، ونشر الفساد في الأرض ، يقول ٧ : « الكسل يضر بالدين والدنيا » (٢٧٠).

أما ان الكسل يضر بالدين فانه يمنع من ذكر الله واداء فرائضه وواجباته فان الكسل يتقاعس عن الاتيان بالواجبات الدينية ، وأي ضرر اعظم من هذا الضرر؟ واما إنه يضر بالدنيا فان الكسل . دائما . يميل إلى الخمول ، ويرغب أن يعيش حياة بائسة تسودها الحاجة والفقر ولا يدخل في ميادين العمل التي تضمن له الرخاء والسعادة.

وحذر (ع) بعض ابنائه من الكسل فقال له : « إياك والكسل والضجر فانهما

مفتاح كل شر ، من كسل لم يؤد حقا ، ومن ضجر لم يصبر على حق .. » (٢٧١)

٢٧٠ و ٢٧١ تحف العقول.

ان الاسلام . بكل اعتزاز يريد انطلاق الانسان في هذه الحياة يريد ان يعمل وينتج ، كما يريد له أن يؤدي حقوق الناس ، ويرتبط معهم ، ويؤدي ما عليه من الواجبات ، ومن الطبيعي ان الانسان اذا اصيب بداء الكسل فانه يهمل حقوق الله وحقوق الناس .

٣ . مقت لتارك العمل :

كان الامام أبو جعفر (ع) يمقت تارك العمل لأنه يؤدي إلى ضعف الانتاج ، وزيادة البطالة ، وانتشار الازمات الاقتصادية في البلاد ، يقول (ع) : « اني أجدني امقت الرجل يتعذر عليه المكاسب فيستلقي على قفاه ، ويقول : اللهم ارزقني ، ويدع أن ينتشر في الأرض ، ويلتمس من فضل الله والذرة (٢٧٢) تخرج من جحرها تلمس رزقها. » (٢٧٣)

٤ . العمل طاعة لله :

وكان الامام أبو جعفر (ع) يرى أن في العمل طاعة لله ، فكان (ع) يعمل بنفسه في اصلاح ارض له ، يقول محمد بن المنذر : خرجت إلى بعض نواحي المدينة ، فلقيني أبو جعفر محمد بن علي (ع) وكان بادنا ثقيلا ، وهو متكئ على غلامين أسودين ، وموليين ، فقلت في نفسي : سبحان الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الحالة ، وفي هذه الساعة يخرج في طلب الدنيا!! أما اني لأعظنه ، فدنوت منه ، فسلمت عليه ، وهو يتصاب عرقا ، فقلت له :

« أصلحك الله ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة يخرج لطلب

(٢٧٢) الذرة : النملة الصغيرة.

(٢٧٣) العمل وحقوق العامل في الاسلام الطبعة الثانية (ص ١٣٩).

الدنيا؟! أرايت لو جاء أجلك على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ .. »

فاجابه الامام بمنطق الاسلام قائلا :

« لو جاءني الموت ، وأنا في طاعة من طاعات الله عز وجل اعمل فاكف نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وإنما كنت اخاف لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله .. »

فخجل محمد ، ولم يطق جوابا ، وانبرى يقول : « صدقت يرحمك الله أردت أن اعظك فوعظتني .. »

ان العمل طاعة من طاعات الله . على حد تعبير الامام . لأن به كف النفس ، وكف العيال من الاحتياج عما في أيدي الناس .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض البحوث الاقتصادية التي خاضها الامام (ع) كما ينتهي بنا الحديث عن العلوم التي عرضها في بحوثه ومحاضراته .

مع العلم والعلماء :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) كثيرا عن أهمية العلم ، وحث على طلبه لأنه الدعامة الأولى الذي ترتكز عليه حياة الأمم والشعوب ، كما اشاد (ع) بفضل العلماء لأنهم مصدر الوعي والتوجيه للأمة ، وفيما يلي بعض ما أثر عنه في ذلك .

١ . فضل العلم :

ومجد الامام أبو جعفر (ع) العلم ، ودعا إليه ، وحث على طلبه ، وأثنى على طلابه ، يقول (ع) :

« تعلموا العلم فان تعلمه جنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ،

والبحث عنه جهاد ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قرية ، والعلم منار الجنة ، وانس الوحشة ، وصاحب في الغربية ، ورفيق في الخلوة ، ودليل على السراء ، وعون على الضراء ، وزين عند الاخلاء ، وسلاح على الاعداء ، يرفع الله به قوما ليجعلهم في الخير أئمة ، يقتدى بفعالهم ، وتقتص آثارهم ، ويصلي عليهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وانعامه .. » (٢٧٤)

لا اعرف كلمة مجدت العلم ، وقيمت أهله ، واحاطت بثمراته وفوائده كهذه الكلمة الذهبية التي من حقها أن ترسم في معاهد العلم وجامعاته.

٢ . فضل العالم :

واشاد (ع) بفضل العالم ، وبين مكانته الاجتماعية ، وما أعد الله له من مزيد الأجر ، وفيما يلي بعض ما أثر عنه.

أ . قال (ع) : « عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد .. » (٢٧٥)

ب . قال (ع) : « من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ، ولا ينقص اولئك من أجورهم شيئا ، ومن علم باب ضلالة كان عليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص اولئك من أوزارهم شيئا .. » (٢٧٦)

ج . قال (ع) : « ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلا خاض الرحمة خوضا .. » (٢٧٧)

(٢٧٤) تذكرة ابن حمدون (ص ٢٦) .

(٢٧٥) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٣٢ ، جامع السعادات ١ / ١٠٤ ، تحف العقول (ص ٢٩٤) .

(٢٧٦) أصول الكافي ١ / ٣٤ .

(٢٧٧) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٥ .

٣ . مجالسة العلماء والمتقين :

وحدث الامام (ع) على مجالسة العلماء والمتخرجين في دينهم للاستفادة من هديهم وسلوكهم يقول (ع) : « لمجلس أجلسه الى من أثق به ، أوثق في نفسي من عمل سنة .. » (٢٧٨)

٤ . مذاكرة العلم :

ودعا (ع) إلى المذاكرة في العلوم لأنها تفتح آفاقا واسعة في ميادين المعرفة والعلم يقول (ع) : « تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة. » (٢٧٩)

٥ . آداب المتعلم :

ووضع (ع) البرامج الرائعة لآداب المتعلمين يقول (ع) : « إذا جلست إلى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول : وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه ... » (٢٨٠)

٦ . بذل العلم :

ودعا (ع) إلى بذل العلم واشاعته بين الناس حتى لا يبقى جاهل يقول (ع) : « زكاة العلم أن تعلمه عباد الله » (٢٨١) وقال (ع) : « ان الذي تعلم العلم منكم له أجر مثل الذي يعلمه ، وله الفضل عليه ،

(٢٧٨) أصول الكافي ١ / ٣٤ .

(٢٧٩) أصول الكافي ١ / ٤١ .

(٢٨٠) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٥ .

(٢٨١) أصول الكافي ١ / ٤١ .

تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء « (٢٨٢).

٧ . الحث على التعلم :

وحث الامام على التعلم والسؤال من أهل العلم يقول (ع) : « العلم خزائن والمفاتيح السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر في العلم أربعة السائل والمتكلم ، والمستمع ، والمحب لهم. « (٢٨٣)

٨ . التفقه في الدين :

ودعا (ع) الى التفقه في الدين ، ومعرفة الحلال والحرام ، قال (ع) : « الكمال كل الكمال التفقه في الدين ، والصبر على النائية ، وتقدير المعيشة. « (٢٨٤)

إن التفقه في الدين مما يحفظ توازن الانسان وسلوكه ، ويبعده عن اقتراف أي شذوذ أو انحراف عن الدين.

٩ . العمل بالعلم :

وحث (ع) أهل العلم بتطبيق ما علموه على واقع حياتهم ، يقول ٧ : « اذا سمعتم العلم فاستعملوه ، ولتتسع قلوبكم ، فان العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله قدر الشيطان عليه ، فاذا خاصمكم الشيطان ، فاقبلوا عليه بما تعرفون ، فان كيد الشيطان كان ضعيفا ، فقال له ابن أبي ليلى : وما الذي نعرفه؟ قال (ع) : خاصموه بما ظهر

(٢٨٢) ناسخ التواريخ ٢ / ٢٠٥ .

(٢٨٣) الخصال (ص ٢٢٣) .

(٢٨٤) أصول الكافي ١ / ٣٢ .

لكم من قدرة الله عز وجل . « (٢٨٥)

١٠ . قبول العمل بالمعرفة :

والمعرفة شرط في قبول العمل ، فمن يعمل من دون معرفة الله ولا للواجب الذي يؤديه فلا أثر لعمله قال (ع) : « لا يقبل عمل إلا بمعرفة ، ولا معرفة إلا بعمل ، ومن عرف دلته معرفته على العمل ، ومن لا يعرف فلا عمل له .. » (٢٨٦)

١١ . ذم المباهاة بطلب العلم :

وحذر الامام أبو جعفر (ع) من المباهاة والافتخار بطلب العلم ، وحث أهل العلم ان يجهدوا نفوسهم على التقرب به إلى الله ، وأن يلتمسوا به الدار الآخرة قال (ع) : « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يعرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار ، ان الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها .. » (٢٨٧)

ان هذه الدواعي الفاسدة ، والاغراض السقيمة لتحبط الأجر الجزيل الذي أعده الله لطالب العلم الديني الذي هو داعية الله في الأرض ، وعليه ان أراد النجاح في الدنيا والسعادة في الآخرة ان يخلص في نيته لله ، ولا يبتغي غير وجهه .

١٢ . الفتوى بغير علم :

واثرت عن الامام أبي جعفر (ع) عدة احاديث تنهى عن الفتيا

(٢٨٥) أصول الكافي ١ / ٤٥ .

(٢٨٦) تحف العقول (ص ٢٩٤) .

(٢٨٧) اصول الكافي ١ / ٤٧ ، جامع السعادات ١ / ١٠٦ .

- بغير علم لأنها مصدر لغواية الناس وضلالهم ، وهذه بعض ما أثر عنه .
- أ . قال (ع) : « من افتي الناس بغير علم ، ولا هدى لعنته ملائكة الرحمن وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه .. » (٢٨٨)
- ب . قال (ع) : « ما علمتم فقولوا : وما لم تعلموا فقولوا : الله اعلم ، ان الرجل ينتزع الآية من القرآن يخرب فيها أبعد ما بين السماء والأرض .. » (٢٨٩)
- ج . سأل زارة الامام أبا جعفر (ع) فقال له : ما حق الله على العباد؟ قال (ع) : « ان يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عند ما لا يعلمون .. » (٢٩٠)
- د . قال (ع) : « للعالم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول : الله أعلم وليس لغير العالم أن يقول ذلك .. » (٢٩١)

١٣ . صفات العالم :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) في كثير من احاديثه عن صفات العلماء وهذه بعضها :

- أ . قال (ع) : « لا يكون العبد عالما حتى لا يكون حاسدا لمن فوقه ، ولا محقرا لمن دونه .. » (٢٩٢)
- ان العالم إنما يكون عالما فيما إذا صفت نفسه من الحسد الذي هو من اعظم الآفات النفسية ، فهو الذي يلقي الناس في البلاء ، ويجر لهم

(٢٨٨) اصول الكافي ١ / ٤٢ .

(٢٨٩) أصول الكافي ١ / ٤٣ .

(٢٩٠) أصول الكافي ١ / ٤٢ .

(٢٩١) تحف العقول (ص ٢٩٧) .

(٢٩٢) تحف العقول (ص ٢٩٤) .

الويلات والخطوب ، كما ان العالم لا يكون عالما فيما إذا احتقر من دونه فانه ينم عن عدم انتفاعه بالعلم الذي يدعو الى تكريم الناس ، ومقابلتهم بالاخلاق الرفيعة ، فان الرسول (ص) إنما بعث ليتمم مكارم الاخلاق ، وإذا تجرد العالم من هذه الظاهرة فقد شذ عن سنن الرسول (ص) واخلاقه.

ب . قال (ع) : « ان الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، المتمسك بسنة النبي (ص) .. » (٢٩٣)

ج . قال (ع) : اذا رأيتم القارئ . أي العالم . يحب الاغنياء فهو صاحب دنيا ، واذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص .. » (٢٩٤)

ان حب العالم للأغنياء إنما هو للطمع في أموالهم ، وما يستفيدة منهم وهذا ليس من اخلاق العلماء الذين أمروا أن يرجوا ما عند الله ، ولا يرجون غيره ، واما ملازمة السلطان من غير حاجة ، ولا ضرورة فانه ينم عن عدم واقعية ذلك العالم ، وانه لص . على تعبير الامام . وهجأ محمود الوراق العلماء الذين لازموا دوائر السلطان يقول :

ركبوا المراكب واغتدوا زمرا الى باب الخليفة
وصلوا البكور الى الرواح ليبلغوا الرتب الشريفة
حتى إذا ظفروا بما طلبوا من الحال اللطيفة
وغدا الموالي منهم فرحا بما تحوى الصحيفة
وتعسفوا من تحتهم بالظلم والسير العنيفة

(٢٩٣) أصول الكافي ١ / ٧٠ .

(٢٩٤) الامام الصادق (ص ٢٤) لأبي زهرة.

خـانوا الخليفة عهدـه
بـاعوا الامانة بالخيانة
عقدوا الشحوم واهزلوا
ضـاقت قبـور القـوم وات
مـن كل ذي أدب ومـع
متفقـه جمـع الحـدي
فاتـاك يصـلح للقبـض
لـم ينتفـع بـالعلم اذ
نسي الاله ولاذ في
ويقول أبو العتاهية في هجائهم :

عـجبا لأرباب العقول
سـلاب أكسـية الارا
والجـامعين المكـثري
والمـؤثرين لـدار رحلتهم
وضـعوا عقـولهم مـن الد
ولـهـوا بـأطراف الفـر
وتتبعـوا جمـع الحـط

والحرص في طلب الفضول
مـل واليتـامى والكهـول
ن مـن الخيـانة والغـول
علـى دار الحـلـول
نـيا بـمدرجـة السـيول
وع واغفلوا علم الاصول
أم وفارقوا أثر الرسول (٢٩٥)

وبهذا ينتهي بنا الحديث عما أثر عن الامام (ع) في فضل العلم وتكريم حملته ،
وما ينبغي أن يتصفوا به من معالي الاخلاق ليكونوا قدوة للأمة.

(٢٩٥) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٢٠١ .

(٢٩٦) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٢٠١ .

في رحاب الايمان :

وحلل الامام أبو جعفر (ع) في احاديثه حقيقة الايمان ، ومراتبه ، تحدث عن صفات المتقين ، ونعم الله عليهم ، وغير ذلك ، وهذا بعض ما أثر عنه.

١ . حقيقة الايمان :

وحدد الامام (ع) حقيقة الايمان بقوله : « الايمان ثابت في القلوب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية .. » (٢٩٧)

إن الايمان إذا استقر في اعماق القلوب ودخائل النفوس فانها تكون في صلابتها كزبر الحديد فتتحمل الأهوال ، وتخوض الشدائد في سبيل ما تذهب إليه ، وقد كان ذلك الايمان الراسخ هو السميت البارز في سيرة الأنبياء والعظماء والمصلحين الذين قدموا أرواحهم قرابين لمبادئهم وآرائهم.

وإذا خرج اليقين من القلب فان يكون خرقة بالية قد فقد ارادته واختياره ، وصار خاليا من الشعور والاحساس.

٢ . مراتب الايمان :

وتحدث الامام (ع) عن مراتب الايمان بقوله : « ان المؤمنين على منازل ، منهم على واحدة ، ومنهم على اثنين ، ومنهم على ثلاث ، ومنهم على اربع ، ومنهم على خمس ، ومنهم على ست ، فلو ذهبتم تحمل على صاحب الواحدة اثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الاثنتين ثلاثا لم يقو ، وعلى صاحب الثلاث اربعا لم يقو ، وعلى صاحب الاربع خمسا لم يقو ، وعلى

(٢٩٧) حلية الاولياء ٣ / ١٨٠ .

صاحب الخمس ستا لم يقو ، وعلى صاحب الست سبعا لم يقو ، وعلى هذه الدجارت .

« (٢٩٨)

ان مرتب اليقين والمعرفة بالله متفاوتة كأشد ما يكون التفاوت فقد احاط الله تعالى بعض انبيائه علما بأسرار الكون وحقائق الوجود وما يحدث في هذه الدنيا من الاحداث بما لم يحط به غيرهم من الأنبياء لأنهم لا يقوون على حملها ، ومن هذا القبيل كان الامام أمير المؤمنين (ع) الذي هو باب مدينة علم النبي (ص) ومستودع أسراره وحكمه قد احاط بعض حواريه كميثم التمار علما بما سيجري عليه من الخطوب والكوارث من بني أمية ، واطلعه على كثير من الأسرار ، وعلى ما سيجري في آخر الزمان في حين أنه لم يخبر بذلك عبد الله بن عباس وهو حبر الأمة لعلمه (ع) بعدم قدرته على تحملها .

وعلى مقدار الايمان كانت محن الأنبياء والمصلحين من قبل طواغيت زمانهم متفاوتة وكان أشدهم ايداء واعظهم محنة النبي محمد (ص) فقد أودى من قبل طواغيت قريش وجها لها بما لم يؤذ أي نبي من انبياء الله ، وأودى (ص) من بعد وفاته بعترته فقد عانت من الظلم والتنكيل ما يقصم الاصلاب ويذهل الألباب ، فلم ترع حرمة (ص) في عترته فلم يمض على وفاته إلا خمسون عاما واذا برءوس ابنائه على الحراب ، وبناته سبايا من بلد الى بلد ، فأى محنة وأي بلاء اعظم من هذه المحنة وهذا البلاء؟

٣ . صفات المتقين :

وتحدث (ع) في جملة من أحاديثه عن معالي صفات المتقين ، وهذا

(٢٩٨) أصول الكافي باب درجات الايمان .

بعض ما أثر عنه.

أ . قال (ع) : « أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم معونة ، إن نسيت ذكروك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله .. » (٢٩٩)

وهذه صفات الافذاذ الذين هم قوة الانسانية ومثلها الأعلى ، وقادتها الى سبل الرشاد.

ب . قال (ع) : « إنما المؤمن إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، وإذا سخط لم يخرج سخطه من قول الحق : والمؤمن إذا قدر لم تخرجه قدرته الى التعدي الى ما ليس بحق .. » (٣٠٠)

ان من أميز صفات المؤمن بربه ان يكون متماسكا في شخصيته ، ومتميزا في سلوكه مد رائده الحق في جميع حالاته وشئونه.

ج . قال (ع) : « الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فاذا وصلا الى مكان فيه التوكل استوطناه .. » (٣٠١)

ونظم هذه الحكمة الرائعة اليافعي بقوله :

يجول الغنى والعز في قلب مؤمن فان الفيا جوف القلوب توكلأ
أقاما فأمسى العبد بالله ذاعنا عزيزا وان لم يلقياه ترحلا (٣٠٢)

د . الفرق بين الايمان والاسلام :

وتحدث (ع) عن الفرق بين الايمان والاسلام فقال : « الايمان

(٢٩٩) شذرات الذهب ١ / ١٤٩ .

(٣٠٠) الخصال (ص ١٠١) .

(٣٠١) صفة الصفوة ٢ / ٦١ .

(٣٠٢) مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ .

ما كان في القلب ، والاسلام ما عليه التناكح ، والتوارث ، وحقنت به الدماء ، والايمن
يشرك الاسلام ، والاسلام لا يشرك الايمان. » (٣٠٣)

ان الايمان يقيم في ضمائر المتقين والمنيبين الى الله تعالى ، به يخشونه ويخافون
عقابه ، فلا يتركون واجبا ، ولا يقتربون اثما ، أما الاسلام فهو التلفظ بكلمة التوحيد ، واذا
نفذ الى اعماق القلب صار المسلم مؤمنا وإلا فلا ، والى هذا تشير الآية الكريمة ، (**قَالَتِ
الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) (٣٠٤)
وصرح (ع) بكلام آخر عن الفرق بينهما يقول (ع) : « الايمان اقرار وعمل ، والاسلام
اقرار بلا عمل. » (٣٠٥)

هـ . عطاء الله للمؤمنين

ومنح الله المؤمنين المزيد من الطافه وفضله ، وقد تحدث الامام (ع) عن العطاء
الذي افاضه عليهم بقوله : « ان الله اعطى المؤمن ثلاث خصال : العز في الدنيا في دينه ،
والفلج في الآخرة ، والمهابة في صدور العالمين .. » (٣٠٦)
هذه بعض احاديثه عن حقيقة الايمان وواقعه.

مع الشيعة :

وكان الامام أبو جعفر (ع) وسائر أئمة أهل البيت (ع) حريصين كل الحرص على
أن تكون شيعتهم مقتدين بهديهم ، وتميزين في سلوكهم ،

(٣٠٣) تحف العقول (ص ٢٩٧) .

(٣٠٤) سورة الحجرات : آية ١٤ .

(٣٠٥) تحف العقول (ص ٢٩٧) .

(٣٠٦) الخصال (ص ١٣٣) .

ومتورعين في مكاسبهم ومتحرجين في أمور دينهم كأشد ما يكون التحرج ليكونوا قدوة لبقية المسلمين بما يحملونه من طاقات اسلامية مشرقة ، تضيء الطريق ، وتهدى الحائر ، وتدلل على واقع أهل البيت (ع) وقد أثر عن الامام الصادق (ع) أنه قال لبعض شيعته بما مضمونه كونوا زينا لنا ، ولا تكونوا شينا علينا ، حتى يقول القائل : رحم الله جعفر ابن محمد قد أدب شيعته ، ورأى الامام موسى بن جعفر (ع) بعض شيعته قد شذ في سلوكه ، واركب ما حرم الله ، فوجه (ع) إليه هذه النصيحة الرائعة قائلاً له : « إن الحسن من كل احد حسن ، ومنك أحسن ، والقيح من كل أحد قبيح ومنك أقبح نظرا لاتصالك بنا أهل البيت » (٣٠٧).

أما الامام أبو جعفر (ع) فقد أهتم كأشد ما يكون الاهتمام في تربية الشيعة وتهذيبهم ، وقد وجه لهم النصائح الرفيعة ، والتعاليم الكريمة التي يجب أن يسيروا عليها ، ويقتدوا بها ، وهذا بعض ما أثر عنه.

١ . وصيته لشيعته :

ان من الواجب على من انتحل مبدأ أهل البيت (ع) أن يأخذ بهذه الوصية الخالدة ويعمل بما تضمنته من بنود مشرقة ليكون مثالا للإنسانية ، وانموذجا يقتدى به ، وهذا نص وصيته :

« يا معشر شيعتنا ، اسمعوا وافهموا وصايانا ، وعهدنا الى اوليائنا ، اصدقوا في حديثكم ، وبروا في ايمانكم لأوليائكم واعدائكم ، وتواسوا باموالكم ، وتحابوا بقلوبكم ، وتصدقوا على فقرائكم ، واجتمعوا على امركم ، ولا تدخلوا غشا ولا خيانة على أحد ، ولا تشكوا بعد اليقين ،

(٣٠٧) حياة الامام موسى بن جعفر.

ولا تولوا بعد الاقدام جبنا ، ولا يول أحدكم أهل مودته قفاه ، ولا تكونن شهوتكم في مودة غيركم ، ولا مودتكم في سواكم ، ولا عملكم لغير ربكم ، ولا ايمانكم وقصدكم لغير نبيكم ، واستعينوا بالله ، واصبروا فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

واضاف (ع) قائلا :

ان اولياء الله واولياء رسوله من شيعتنا من اذا قال : صدق وإذا وعد وفى ، وإذا أوتمن ادى ، واذا حمل احتمل في الحق ، وإذا سئل الواجب اعطى ، وإذا امر بالحق فعل ، شيعتنا من لا يعدو علمه سمعه ، شيعتنا من لا يمدح لنا معيبا ، ولا يواصل لنا مبغضا ، ولا يجالس لنا خائنا ، ان لقي مؤمنا اكرمه ، وان لقي جاهلا هجره ، شيعتنا من لا يهر هرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب ، ولا يسأل أحدا إلا من اخوانه وان مات جوعا ، شيعتنا من قال : بقولنا ، وفارق احبته فينا ، وادنى البعداء في حبنا ، وأبعد الغرباء في بغضنا .

وبهر بعض الجالسين من وصف الامام لشيعته وراح يقول له :

« اين يوجد مثل هؤلاء؟. »

فاجابه الامام :

« في اطراف الارضين ، اولئك الخفيض عيشهم ، القررة أعينهم ، ان شهدوا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، وإن مرضوا لم يعادوا ، وان خطبوا لم يزوجوا ، وإن وردوا طريقا تنكبوا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ، ويبيتون لربهم سجدا وقياما .

وراح بعض الجالسين يندد بالشيعة ممن عاصروا الامام قائلا :

« يا ابن رسول الله : وكيف بالمتشيعين بالسنتهم وقلوبهم على خلاف

ذلك؟»

وانبرى الامام فاجابه :

« التمحيص يأتي عليهم بسنين تفنيهم ، وضغائن تبيدهم واختلاف يقتلهم ، اما والذي نصرنا بأيدي ملائكته ، لا يقتلهم الله الا بايديهم ، فعليكم بالاقرار اذا حدثتم ، وترك الخصومة فانها تقصيكم ، واياكم أن يبعثكم قبل وقت الأجل فتطل دماؤكم وتذهب أنفسكم ويذمكم من يأتي بعدكم وتصيروا عبرة للناظرين ، وان أحسن الناس فعلا من فارق أهل الدنيا من والد وولي وناصح ، وكافى اخوانه في الله وإن كان حبشيا أو زنجيا ، وإن كان لا يبعث من المؤمنين أسود ، بل يرجعون كالبرد قد غسلوا بماء الجنان ، واصابوا النعيم المقيم ، وجالسوا الملائكة المقربين ، ورافقوا الأنبياء المرسلين ، وليس من عبد اكرم على الله من عبد شرد وطرد في الله حتى يلقي الله ، على ذلك شيعتنا المنذرون في الارض سرج وعلامات ، ونور لمن طلب ما طلبوا وقادة لأهل طاعة الله ، شهداء على من خالفهم ممن ادعى دعواهم ، سكن لمن اتاهم ، لطفاء بمن والاهم ، سمحاء ، اعفاء ، رحماء ، فذلك صفتهم في التوراة والانجيل والقرآن العظيم.

ان الرجل العالم من شيعتنا اذا حفظ لسانه ، وطاب نفسا بطاعة اوليائه واطهر المكائدة لعدوه بقلبه ، ويغدو حين يغدو وهو عارف بعيوبهم ، ولا يبدي ما في نفسه لهم ، ينظر بعينه الى اعمالهم الرديئة ، ويسمع بأذنه مساوئهم ، ويدعو بلسانه عليهم ، مبغضوهم اوليائه ، ومحبوهم اعداءه .. »

وانطلق رجل من الحاضرين فقال للامام :

« بأبي أنت وأمي ما ثواب من وصفت اذا كان يمشي آمنا ، ويصبح آمنا ويبيت

محفوظا ، فما منزلته وثوابه؟ .. »

فقال (ع) :

« تؤمر السماء باظلاله ، والأرض باكرامه ، والنور ببرهانه .. »

فقيل للامام :

« فما صفته في الدنيا؟ »

قال (ع) : « إن سئل أعطى ، وان دعي أجاب ، وان طلب أدرك ، وان نصر

مظلوما أعز .. » (٣٠٨)

لا اكاد اعرف وصية أثرت عن أئمة المتقين مثل هذه الوصية الحافلة بالتعاليم الرفيعة التي تسمو بالانسان ، وترفعه الى أرقى ما يصل إليه الأبرار والمتقون ففيها الدعوة الى التحلي بالأخلاق الكريمة ، والتجنب عن مساوئ الاخلاق والتخلي عن النزعات السيئة ، ولو سار المسلمون على ضوئها لكانوا سادة الأمم ، وقادة الشعوب.

ان هذه الوصية من كنوز الاسلام ، وهي تحمل جوهره وواقعه ، وما ينشده من خير ورحمة وهدى الى الناس ، فمن حق كل مسلم أن يجعلها منهاجا يسير عليها في حياته.

٢ . الشيعة الأوائل :

واشاد الامام أبو جعفر (ع) بالشيعة الأوائل ، وبين معالي اخلاقهم وما اتصفوا به

من الصفات الرفيعة والخيرة فقال (ع) :

« اولياءونا ، وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه ، ان كان امام مسجد في الحي

كان منهم ، وإن كان مؤذن في القبيلة كان منهم ، وإن كان صاحب ودیعة كان منهم ،

وإن كان صاحب امانة كان منهم ، وإن كان عالم في الناس يقصدونه لدينهم ومصالح

أموورهم كان منهم .. » (٣٠٩)

(٣٠٨) عيون الاخبار وفتون الآثار (ص ٢٢٣ . ٢٢٥) .

(٣٠٩) دعائم الاسلام ١ / ٧١ .

وألمت هذه الوصية بما اتصفت به الشيعة الأوائل من النسك والورع والتقوى والحريجة في الدين حتى نالوا ثقة الناس فأتوا بهم في صلاتهم ، واثمنوهم على أموالهم ودينهم ، وقد عرفوا بهذا السم من الورع والصلاح ، وذاع عنهم ذلك ، ومن طريف ما ينقل ان شيعيا مثل شاهدا أمام القضاء فرد القاضي عليه شهادته لأنه من الرفضة ، فاغرق في البكاء فبهر القاضي ، وتوهم ان بكاءه لرد شهادته ، وسأله عن ذلك فاجابه بما مضمونه انك حدث عن الحق فنسبتني الى طائفة لا ينتسب إليها الا الأنبياء والتمتقون.

٣ . صفات الشيعة :

وأدلى (ع) في كثير من احاديثه عن الصفات الرفيعة التي ينبغي أن يتحلى بها من انتحل مذهب أهل البيت (ع) ، وهذا بعض ما أثر عنه .

١ . قال (ع) : « ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع ، والتخشع ، واداء الامانة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم والصلاة والبر بالوالدين ، وتعهد الجيران من الفقراء ، وذوي المسكنة ، والغارمين والايتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلا من خير ، وكانوا امناء عشائهم في الاشياء .. » (٣١٠)

ولا يتحلى بهذه الصفات إلا الابرار والتمتقون الذين يخشون الله ، ويخافون عقابه .

٢ . قال (ع) : « إنما شيعة علي (ع) المتبازلون في ولايتنا ، المتحابون في مودتنا ، المتزاورون لاحياء أمرنا ، الذين اذا غضبوا لم يظلموا واذا رضوا لم يسرفوا ، بركة على من جاورهم ، وسلم لمن خالطوا . » (٣١١)

(٣١٠) تحف العقول (ص ٢٩٥).

(٣١١) تحف العقول (ص ٣٠٠).

ومن توفرت فيهم هذه الصفات من الشيعة فانهم يكونون بركة ورحمة لمن جاورهم ،
وامنا وسلما لمن خالطهم اذ لا تصدر منهم بادرة من بوادر الظلم سوى الخير العميم الى
الناس .

٣ . وتحديث (ع) مع أبي المقدم عن شيعة الامام أمير المؤمنين (ع) وما اتصفوا به
من معالي الاخلاق قال (ع) : « يا أبا المقدم إنما شيعة علي الشاحبون ، الناحلون ،
الذابلون ، ذابلة شفاهم ، خميصة بطونهم ، متغيرة الوانهم ، مصفرة وجوههم ، اذا جنهم
الليل اتخذوا الأرض فراشا ، واستقبلوا الارض بجباههم ، كثير سجودهم ، كثيرة دموعهم ،
كثير دعاؤهم ، كثير بكاؤهم ، يفرح الناس وهم يحزنون .. » (٣١٢)
وهذه صفات عباد الشيعة ونستأكم امثال عمار بن ياسر ، وأبي ذر ، وحجر بن
عدي ، وميثم التمار ، ونظراؤهم من هداة هذه الأمة وقادتها .

٤ . نصائحه للشيعة :

وزود الامام أبو جعفر الشيعة بكثير من نصائحه الرفيعة وتعاليمه القيمة ومن بينها .
أ . روى جابر بن يزيد الجعفي قال : كنا جماعة فدخلنا على أبي جعفر (ع) بعد ما
قضينا مناسكنا فودعناه ، وقلنا له : اوصنا بشيء يا ابن رسول الله (ص) فوجه (ع) لهم
هذه النصيحة القيمة قال (ع) :
« ليعن قويكم ضعيفكم ، وليعطف غنيكم على فقيركم ، ولينصح الرجل أخاه
كنصيحته لنفسه ، واكتموا اسرارنا ، ولا تحملوا الناس على اعناقنا ، وانظروا أمرنا وما
جاءكم عنا ، فان وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقا فردوه ، وإن
اشتبه عليكم الأمر فقفوا عنده ، وردوه

(٣١٢) الخصال (ص ٤١٣) .

إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا .. » (٣١٣)

لقد أوصاهم بمعالي الاخلاق ، ودلهم على ما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم ، كما أوصاهم بعرض ما أثر عن الأئمة من الاخبار على كتاب الله فما وافقه فيأخذون به ، وما شذ عنه فيطرحونه ، وإنما عهد لهم بذلك لأن كثيرا من الاخبار قد افتعلت عليهم ، فقد وضعها من لا حريجة له في الدين لتشويه واقع أهل البيت (ع) وتشويه احكامهم.

ب . قال (ع) : « عليكم بالورع والاجتهاد ، وصدق الحديث ، واداء الامانة إلى من ائتمنكم براكا ن أو فاجرا ، فلو أن قاتل علي بن ابن أبي طالب ائتمني على امانة لأديتها إليه .. » (٣١٤)

وهل هناك اسمى وارفح من هذه النصائح القيمة التي تنشئ خير الانسان وتوازنه في سلوكه مع الناس.

ج . وأوفد (ع) بعض أصحابه إلى جماعة من شيعته ، وأمره أن يبلغهم بما يلي : قال (ع) : « بلغ شيعتنا عنا السلام ، وأوصهم بتقوى الله العظيم ، وبأن يعود غنيهم على فقيرهم ، ويعود صحيحهم عليهم ، ويحضر حيهم جنازة ميتهم ويتلاقوا في بيوتهم فان لقاء بعضهم بعضا حياة لأمرنا.

رحم الله امرا احيا أمرنا ، وعمل بأحسنه ، وقل لهم : إنا لن نغني عنهم من الله شيئا إلا بعمل صالح ، ولن ينالوا ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد ، وان اشد الناس حسرة يوم القيامة لمن وصف عملا ثم

(٣١٣) ضياء العالمين الجزء الثالث مخطوط.

(٣١٤) تحف العقول (ص ٢٩٩).

خالفه الى غيره. » (٣١٥)

لقد اوصاهم بالخير بجميع رحابه ومفاهيمه ، وأمرهم بالتماسك ، والتضامن ، وما يصون جماعتهم من الاختلاف والفرقة.

د . قال (ع) : « رحم الله عبدا حبينا إلى الناس ، ولم يبغضنا إليهم ، أما والله لو يروون عنا ما نقول : ولا يحرفونه ، ولا يبدلونه علينا برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فينيط إليها عشرا ويتأولها على ما يراه ، فرحم الله عبدا سمع من مكنون سرنا فدفنه في قلبه ... والله لا يجعل الله من عادانا ومن تولانا في دار واحدة. » (٣١٦).

وحذر (ع) بهذا الحديث من تحريف اخبارهم وتبديلها لأنها تعود بالاضرار البالغة على أهل البيت (ع) فان فيها تشويها لسيرتهم وواقعهم.

٥ . حب أهل البيت :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) في جملة من أحاديثه مع جماعة من شيعته عن حب أهل البيت (ع) وما يترتب عليه من مزيد الأجر عند الله تعالى ، وفيما يلي ذلك :

١ . وفد عليه جماعة من شيعته من خراسان ، فنظر (ع) الى رجل منهم ، وقد تشققت رجلاه فقال (ع) له : ما هذا؟ فقال : بعد المسافة يا ابن رسول الله ، والله ما جاءني من حيث جئت إلا محبتكم أهل البيت ، فقال (ع) :

« ابشر فأنت والله معنا تحشر . »

(٣١٥) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣).

(٣١٦) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٣).

وطار الخرساني فرحا وراح يقول :

« معكم يا ابن رسول الله؟ .. »

قال (ع) : « نعم ما أحبنا عبد إلا حشره الله معنا ، وهل الدين إلا الحب ، ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**) (٣١٧).

٢ - وفد زياد الأسود على الامام أبي جعفر (ع) وقد قصده من مسافة طويلة ، ومكان بعيد ، وقد جهد في طريقه من كثرة السير حتى تشققت رجلاه فقال له الامام أبو جعفر :

« ما هذا يا زياد؟ . »

فقال زياد : يا مولاي أقبلت على بكر لي (٣١٨) ضعيف فمشيت عامة الطريق ، وذلك إنه لم يكن عندي ما أشتري به مسنا وانما ضمنت شيئا إلى شيء حتى اشتريت هذا البكر.

ورق الامام أبو جعفر (ع) على حاله ، وجرت دموع عينيه ، وقال له زياد : جعلني الله فداك ، اني والله كثير الذنوب مسرف على نفسي ، حتى ربما قلت : قد هلكت ، ثم اذكر ولايتي إياكم وحيي لكم أهل البيت فأرجو بذلك المغفرة ، فاقبل عليه الامام بوجهه وقال له بعطف وحنان :

« سبحان الله!! وهل الدين إلا الحب ، ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه :

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) (٣١٩) وقال :

(٣١٧) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٦).

(٣١٨) البكر : الفتى من الأبل.

(٣١٩) سورة الحجرات : آية ٧.

(**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**) (٣٢٠) وقال : (**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**) (٣٢١) ان اعرابيا اتى النبي (ص) فقال : يا رسول الله اني احب المصلين ولا اصلي ، وأحب الصائمين ولا اصوم ، يعني لا اصلي ولا اصوم التطوع . أي المندوب . فقال له رسول الله : (أنت مع من احببت) .. ما الذي تبغون؟ أما والله لو وقع أمر يفرع الناس له ما فرعتم إلا إلينا ، ولا فرعنا الا إلى نبينا ، انكم معنا فابشروا ثم ابشروا والله ما يساويكم الله وغيركم ، لا والله ولا كرامة « (٣٢٢).

٣ . قال (ع) : إن الجنة لتشتاق ويشتد ضوءها لمجىء آل محمد (ص) وشيعتهم ، ولو ان عبدا عبد الله بين الركن والمقام حتى تتقطع أوصاله ، وهو لا يدين بحبنا وولايتنا أهل البيت ما قبل منه .. « (٣٢٣)

٤ . قال (ع) : لجماعة من شيعته « إنما يغتبط أحدكم اذا بلغت نفسه هاهنا ، . وأوماً بيده الى حلقة . ينزل عليه ملك الموت فيقول له : أما ما كنت ترجوه فقد اعطيته ، وأما ما كنت تخافه فقد أمنت منه ، ويفتح له باب الى منزله من الجنة ، فيقول له : انظر الى مسكنك من الجنة فهذا رسول الله (ص) وعلي والحسن والحسين (ع) هم رفقاؤك .. وهو قول الله عز وجل : (**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي** **الْآخِرَةِ**) (٣٢٤) (٣٢٥) وتواترت الاخبار عن النبي (ص)

(٣٢٠) سورة آل عمران : آية ٣١ .

(٣٢١) سورة الحشر : آية ٩ .

(٣٢٢) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٦) .

(٣٢٣) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٧) .

(٣٢٤) سورة يونس : آية ٦٣ و ٦٤ .

(٣٢٥) عيون الاخبار وفنون الآثار (ص ٢٢٧) .

وعن الأئمة الطاهرين بهذا المضمون وقد ذكرتها مصادر الحديث والاخبار.

٦ . تسمية الشيعة بالرافضة :

وحدث أبو بصير قال : قلت لأبي جعفر : جعلت فداك اسم سميننا به استحلت به
الولاية دماءنا واموالنا وعذابنا ، قال (ع) :

« ما هو؟ »

« الرافضة »

قال (ع) : بعد حديث له « ان ذلك اسم قد نحلكموه الله .. » (٣٢٦)

لقد اصبح هذا الاسم علما للشيعة الذين هم دعاة الاصلاح الاجتماعي في الأرض ،
وقد أخذ يعيبهم به من لاخلق له ، إن الشيعة لتعزز بهذا الاسم ، وتفخر به ، فقد
اصبح لهم وساما لحبهم واخلاصهم لآل البيت (ع) (الذين اذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا) وقد فخر به الامام الشافعي بقوله :
إن كان حب آل محمد رفضا فليشهد الثقلان اني رافض

٧ . دعاؤه لشيئته :

وكان الامام أبو جعفر (ع) يخلص لشيئته كأعظم ما يكون الاخلاص ، وكان يدعو
لهم بهذا الدعاء :

« يا دان غير متوان ، يا ارحم الراحمين اجعل لشيئتي من النار وقاء لهم ، ولهم
عندك رضا ، واغفر ذنوبهم ، ويسر أمورهم ، واقض ديونهم ، واستر عوراتهم ، وهب لهم
الكبائر التي بينك وبينهم ، يا من لا يخاف الضيم ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، اجعل لي من
كل غم فرجا ومخرجا .. » (٣٢٧)

(٣٢٦) محاسن البرقي (ص ١١٩) .

(٣٢٧) مهج الدعوات (ص ١٨) .

وكان (ع) يدعو لشيئته بهذا الدعاء :

« اللهم ان كان لي رضوان وود فاغفر لي ولمن تبغني من إخواني وشيئتي وطيب ما في صلبي برحمتك يا ارحم الراحمين. » (٣٢٨)

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الامام أبي جعفر (ع) مع شيئته.

سنن الأنبياء وحكمهم :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) كثيرا عن حكم الأنبياء وسننهم ، وقد نقل عنه المختصون بهذه البحوث الشيء الكثير ، وفيما يلي بعضها :

١ . من وحي الله لآدم :

وعرض الامام (ع) لأصحابه ما اوحى الله به لآدم من الحكم ومعالي الأخلاق قال (ع) : « اوحى الله تبارك وتعالى لآدم اني اجمع لك الخير كله في اربع كلمات : واحدة منهن لي ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين الناس ، فأما التي لي فتعبدني ، ولا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك فأجازيك بعملك في وقت احوج ما تكون إليه واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة ، واما التي بينك وبين الناس فترضي الناس ما ترضى لنفسك .. » (٣٢٩)

٢ . حكمة لسليمان :

وحكى (ع) لأصحابه حكمة رائعة لنبي الله سليمان بن داود قال (ع) : « قال سليمان بن داود : أوتينا ما أوتي الناس ، وما لم يؤتوا ، وعلمنا ما علم الناس ، وما لم يعلموا ، فلم نجد شيئا افضل من

(٣٢٨) مصباح الكفعمي (ص ١٦١) .

(٣٢٩) أمالي الصدوق (ص ٥٤٤) .

خشية الله في الغيب والمشهد ، والقصد في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والتضرع الى الله عز وجل في كل حال .. » (٣٣٠)

وهذه الحكمة تجمع خصال الخير ، ففيها الدعوة الى خشية الله والخوف منه ، والحث على الاقتصاد ، وعدم التبذير والاسراف في الاموال ، كما فيها الدعوة الى قول الحق ، وإيثاره على كل شيء ، والالتجاء الى الله تعالى الذي بيده مصير العباد.

٣ . حكمة في التوراة :

ونقل (ع) لأصحابه حكمة مكتوبة في التوراة قال (ع) : « ان في التوراة مكتوبا يا موسى إني خلقتك ، واصطفيتك ، وقويتك ، وامرتك بطاعتي ونهيته عن معصيتي فان اطعتني اعنتك على طاعتي ، وان عصيتني لم اعنك على معصيتي ، يا موسى ولي المنة عليك في طاعتك لي ، ولي الحجة عليك في معصيتك لي .. » (٣٣١)

٤ . تسمية نوح بالعبد الشكور :

روى محمد بن مسلم عن الامام أبي جعفر (ع) انه قال : « ان نوحا إنما سمي عبدا شكورا لأنه كان يقول : إذا أمسى واصبح ، اللهم اني اشهدك أنه ما أمسى واصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمناك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد والشكر بها عليّ حتى ترضى .. » (٣٣٢)

(٣٣٠) الخصال (ص ٢١٩).

(٣٣١) أمالي الصدوق (ص ٢٧٤).

(٣٣٢) علل الشرائع (ص ٢٩).

٥ . دعاء نوح على قومه :

سأل سدير الامام أبا جعفر (ع) عن دعاء نوح على قومه فقال له : رأيت نوحا حين دعا على قومه فقال : (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) إنه كان عالما بهم؟ فاجابه (ع) « اوحى الله إليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن فعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء .. » (٣٣٣)

٦ . اسماعيل أول من تكلم بالعربية :

ونقل الامام ابو جعفر (ع) لأصحابه ان نبي الله اسماعيل هو أول من فتق لسانه باللغة العربية ، قال (ع) : « أول من فتق لسانه بالعربية المبينة اسماعيل ، وهو ابن عشر سنة .. » (٣٣٤)

٧ . مناجاة الله مع موسى :

وحكى الامام لأصحابه مناجاة الله تعالى مع نبيه موسى قال (ع) : « في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران ، يا موسى خفني في سر أمرك احفظك من وراء عورتك ، واذكرني في خلواتك ، وعند سرور لذاتك اذكرك عند غفلاتك ، واملك غضبك عن ملكتك عليه اكف عنك غضبي ، واكنم مكنون سري في سريرتك ، واظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي ، ولا تستسب لي عندهم باظهارك مكنون سري فتشرك عدوك وعدوي في سبي .. » (٣٣٥)

(٣٣٣) علل الشرائع (ص ٣١) .

(٣٣٤) البيان والتبيين ٣ / ٢٩٠ .

(٣٣٥) الامالي للصدوق (ص ٢٢٦) .

٨ . نفي الأمية عن النبي :

روى علي بن اسباط قال : قلت لأبي جعفر : إن الناس يزعمون ان رسول الله (ص) لم يكتب ، ولم يقرأ؟ فانكر ٧ ذلك وقال :

« انى يكون ذلك؟! » وقد قال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

كيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟. »

وانبرى على بن اسباط فقال للإمام : لم سمي النبي الأمي؟

فاجابه الامام : « لأنه نسب الى مكة ، وذلك قول الله عز وجل :

(لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) فأم القرى مكة ، فقيل أمي .. » (٣٣٦)

٩ . نوح وابليس :

وحكى الامام أبو جعفر (ع) محاوره جرت بين نبي الله نوح (ع) حينما دعا على

قومه ، وبين ابليس وهي :

ابليس : يا نوح ان لك عندي يدا أريد أن اكفئك عليها.

نوح : والله اني لبغيض إلي ان تكون لي عليك يد فما هي؟

ابليس : بلى دعوت الله على قومك فاغرقتهم ، فلم يبق أحد فاغويه فأنا مستريح

حتى ينشأ قرن آخر فأغويهم.

نوح : ما الذي تريد أن تكافئني به؟

ابليس : اذكرني في ثلاثة مواطن : فاني أقرب ما أكون الى العبد

(٣٣٦) علل الشرائع (ص ١٢٥).

إذا كان في احدهن : اذكرني اذا غضبت ، واذكرني اذا حكمت بين اثنين ، واذكرني مع امرأة خاليا ليس معكما أحد .. (٣٣٧)

وحقا ان ابليس انما يغزو الانسان في هذه المواطن الثلاثة فهي التي تجزه الى اقتراف الأثم والعصيان اعادنا الله من شروره.

١٠ . موت سليمان :

وروى الامام أبو جعفر (ع) لأبي بصير موت نبي الله سليمان فقال : « أمر سليمان بن داود الجن فصنعوا له قبة من قوارير ، فبينما هو متكئ على عصاه في القبة ينظر الى الجن كيف يعملون ، وهم ينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة فاذا رجل معه في القبة قال : من أنت؟ قال : أنا الذي لا أقبل الرشا ، ولا أهاب الملوك أنا ملك الموت فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة ، والجن ينظرون إليه فمكثوا سنة يدأبون له حتى بعث الله عز وجل الارضة فأكلت منسأته وهي العصا ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. » (٣٣٨)

١١ . التقاء يعقوب بيوسف :

وروى الامام أبو جعفر قصة التقاء يعقوب بيوسف قال (ع) : إن يعقوب قال لولده : تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهليكم اجمعين فساروا إليه ، ويعقوب معهم ، وخالة يوسف أم يامين ، فحثوا السير فرحا وسرورا تسعة أيام الى مصر ، فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه وقبله ، وبكى ورفع ورفع خالته على سرير الملك ، ثم دخل منزله

(٣٣٧) الخصال (١٢٨).

(٣٣٨) علل الشرائع (ص ٧٤).

واكتحل وادهن ، ولبس ثياب العز والملك ، فلما رأوه سجدوا جميعا إعظاما له وشكرا لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ، ولا يكتحل ، ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين أبيه واخوته (٣٣٩).

١٢ . مدة حياة يعقوب بمصر :

وسأل محمد بن مسلم الامام أبا جعفر (ع) عن مدة حياة يعقوب بمصر فقال (ع) : عاش يعقوب مع يوسف بمصر حولين ، فقال له محمد بن مسلم : فمن كان الحجة لله في الارض يعقوب أم يوسف؟ قال ٧ : كان يعقوب الحجة ، وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت الى ارض الشام فدفنه في بيت المقدس ، فكان يوسف بعد يعقوب الحجة ، قال محمد : وكان يوسف رسولا نبيا؟ قال ٧ : نعم أما تسمع قوله عز وجل : (لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ) (٣٤٠). هذا بعض ما أثر عنه من الروايات في احوال الأنبياء وسننهم.

مع السيرة النبوية :

وروى الامام أبو جعفر (ع) الشيء الكثير من شئون السيرة النبوية ، وقد أخذ عنه المدونون لها ، وفيما يلي بعض ما رووه عنه .

١ . استعارة النبي السلاح من صفوان :

وروى الطبري بسنده عن الامام أبي جعفر (ع) قال : لما اجمع رسول الله (ص) السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان

(٣٣٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ٦ / ٢٦٤ .

(٣٤٠) مجمع البيان ٦ / ١٦٦ .

ابن أمية ادراعا وسلاحا ، فارسل إليه فقال : يا أبا أمية . وهو يومئذ مشرك . اعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال له صفوان : اغصبا يا محمدا؟ قال : بل عارية مضمونة ، حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فاعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ، وزعموا أن رسول الله (ص) سأله أن يكفيه حملها ففعل.

قال الامام ابو جعفر : فمضت السنة ان العارية مضمونة (٣٤١) وقد المع الامام الى أن هذه الحادثة قد استفيد منها القاعدة الفقهية وهو ان العارية مضمونة مع التفريط ، فمن استعار شيئا فقد ضمنه حتى يؤديه الى صاحبه.

٢ . مسيرة خالد الى بني جذيمة :

وروى ابن هشام بسنده عن الامام أبي جعفر (ع) ان رسول الله (ص) بعث خالد بن الوليد الى بني جذيمة حين فتح مكة داعيا الى الله ، ولم يبعثه مقاتلا الا ان خالدا غار عليهم فاجسوا منه خيفة فبادروا الى اسلحتهم فحملوها ، فلما رأى خالد ذلك قال لهم : ضعوا السلاح ، فان الناس قد اسلموا ، ووثقوا بقوله ، فوضعوا سلاحهم ، إلا إنه غدر بهم ، فأمر بتكتيفهم ثم عرضهم على السيف ، فقتل منهم من قتل ، ولما انتهى خبرهم الى النبي (ص) بلغ به الحزن اقصاه ورفع يديه بالدعاء ، وقال :

« اللهم اني ابرأ إليك مما صنع خالد .. »

ودعا النبي (ص) الامام أمير المؤمنين (ع) فقال له : (اخرج الى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك) وخرج علي حتى جاءهم ، ومعه مال ، فودى لهم الدماء ، وما اصيب لهم

(٣٤١) تاريخ الطبري ٣ / ٧٣ طبع دار المعارف.

من الأموال ، حتى انه ليدي ميلغة الكلب (٣٤٢) حتى اذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، وبقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا : لا . قال : فاني اعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله (ص) مما يعلم ولا تعلمون ، فأعطاهم ثم رجع الى رسول الله (ص) فأخبره الخبر ، فقال (ص) : أصبت واحسنت وقام رسول الله (ص) فاستقبل القبلة شاهرا يديه ، حتى كان يرى ما تحت منكبيه ، وهو يقول : « اللهم اني ابرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » وكرر ذلك ثلاث مرات (٣٤٣).

هذه بعض رواياته عن السيرة النبوية ، أما ذكر جميع ما روي عنه فانه يستدعي الإطالة ، وقد آثرنا الايجاز في امثال هذه البحوث.

سيرة الامام علي :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) في كثير من احاديثه عن سيرة جده الامام أمير المؤمنين (ع) رائد الحق والعدالة في الارض ، وكان من بين ما رواه هذه البادرة .
روى زرارة بن أعين عن أبيه ، عن الامام أبي جعفر (ع) قال : كان علي (ع) إذا صلى الفجر لم يزل معقبا الى أن تطلع الشمس ، فاذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن ، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك ، فقام يوما ، فمر برجل فرماه بكلمة هجر . ولم يم ابو جعفر ذلك الرجل . فرجع الامام ، وصعد المنبر ، وأمر فنودي الصلاة جامعة ، فلما حضر الناس ،

(٣٤٢) البلغة : الاناء يبلغ فيه الكلب أو يسقى فيه .

(٣٤٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ .

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال : أيها الناس انه ليس شيء أحب الى الله ، ولا أعم نفعاً من حلم إمام وفقهه ، ولا شيء ابغض الى الله ، ولا أعم ضرراً من جهل إمام وخرقه ، إلا وانه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ إلا وانه من انصف من نفسه لم يزد الله الا عزاً ، إلا وان الذل في طاعة الله اقرب الى الله من التعزز في معصيته ، ثم قال : اين المتكلم آنفاً؟ فلم يستطع الانكار ، فقال : ها أنا ذا يا أمير المؤمنين ، فقال : أما اني لو أشاء لقلت : فقال : إن تعف وتصفح فأنت اهل لذلك فقال : قد عفوت وصفححت (٣٤٤).

وليس في تاريخ الانسانية على الاطلاق مثل الامام أمير المؤمنين (ع) في عدله ورحمته ، وصفحه عمن اساء إليه ... لقد كان المؤسس الأول بعد النبي (ص) لمكارم الاخلاق ونكران الذات ، وقد ساس الناس أيام خلافته سياسة قوامها العدل الخالص والحق المحض ، فأثر طاعة الله على كل شيء.

أخبار أمير المؤمنين بقتل الحسين :

وتواترت الاخبار عن الامام أمير المؤمنين بقتل ولده الامام الحسين (ع) ومن بين تلك الاخبار ما رواه الامام أبو جعفر (ع) ، فقد قال (ع) : خطب علي (ع) في الكوفة فلما قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة ، وتهدى مائة ، إلا انبأتمكم بناعقها وسائقها ، فقام إليه رجل فقال : اخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ، فقال له علي : والله لقد حدثني خليلي . يعني رسول الله (ص) - ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك ، وإن على كل طاقة شعر من لحيتك

(٣٤٤) شرح النهج ٤ / ١٠٩ - ١١٠.

شيطانا يغويك ، وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله (ص) وكان ابنه قاتل الحسين يومئذ طفلا يحبو ، وهو سنان بن أنس النخعي (٣٤٥).

وتحقق ما اخبر به الامام امير المؤمنين (ع) فلم تمض حفنة من السنين واذا بالخبيث الدنس سنان بن انس كان من القتلة المجرمين لريحانة رسول الله (ص) وسبطه.

صفة الامام أمير المؤمنين :

وسأل اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الامام أبا جعفر عن صفة جده الامام أمير المؤمنين (ع) فقال (ع) : « رجل آدم شديد الأدمة ، ثقیل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، اصلع هو الى القصر أقرب (٣٤٦).

أحداث صفين :

وروى الامام أبو جعفر (ع) الكثير من أحداث صفين ، وقد نقلها عنه نصر بن مزاحم ، والطبري وابن أبي الحديد ، وغيرهم من المؤرخين. وفيما يلي بعضها :

فك الحصار عن الماء :

وزحف معاوية بجنوده الى صفين قبل أن يقدم إليها جيش الامام ، وقد اجمع رأييه على احتلال الفرات فحاطه بقوى مكثفة لمنع اصحاب الامام من الاستسقاء منه ، ولما قدمت جيوش الامام رأوا الفرات قد احتلته قوات معاوية ، وهي تمنعهم أشد المنع من الدنو منه ، وقد روى الامام أبو جعفر (ع) كيفية فك احتلاله من قبل جيش الامام (ع) قال (ع) : « ونادى الاشعث عمرو بن العاص ، فقال : ويحك يا ابن العاص! خل

(٣٤٥) شرح النهج ٢ / ٣٨٦.

(٣٤٦) تاريخ الطبري ٥ / ١٥٣.

بيننا وبين الماء فو الله لعن لم تفعل لتأخذنا واياكم السيوف ، فقال عمرو : والله لا نخلي عنه حتى تأخذنا السيوف واياكم ، فيعلم ربنا أيننا اصبر اليوم ، فترجل الاشعث والأشتر وذوو البصائر من اصحاب علي (ع) وترجل معهما اثنا عشر الفا فحملوا علي عمرو وأبي الأعور ، ومن معهما من أهل الشام ، فأزالوهم عن الماء ، حتى غمست خيل علي سنابكها في الماء « (٣٤٧) ومن الجدير بالذكر أن جيش الامام لما احتل الفرات أرادوا أن يقابلوا اهل الشام بالمثل فيمنعونهم عنه ، كما صنعوا ذلك معهم ، الا ان الامام لم يسمح لهم بذلك ، وعاملهم معاملة المحسن الكريم فخلي بينهم وبين الماء.

معاوية مع ابن العاص :

وروى الامام أبو جعفر (ع) حديثا دار بين معاوية وعمرو بن العاص ، قال (ع) : « طلب معاوية الى عمرو بن العاص أن يسوي صفوف أهل الشام ، فقال له عمرو : علي أن لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب ، واستوسقت لك البلاد ، قال : أليس حكمك في مصر؟ قال : وهل مصر تكون عوضا عن الجنة ، وقتل ابن أبي طالب ثمننا لعذاب النار الذي لا يفتقر عنهم ، وهم فيه مبلسون؟ فقال معاوية : إن لك حكمك أبا عبد الله إن قتل ابن أبي طالب ، رويدا لا يسمع الناس كلامك ، فقال لهم . أي لأهل الشام . عمرو : يا معشر أهل الشام سووا صفوفكم ، واعيروا ربكم جماجمكم ، واستعينوا بالله إلهكم ، وجاهدوا عدو

(٣٤٧) شرح ابن أبي الحديد ٣ / ٣٢٤ .

الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم (**وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) (٣٤٩).

وبهذا الخداع والتضليل استطاع معاوية أن يناجز الامام أمير المؤمنين ٧ رائد
الحكمة والحق في الأرض.

خطبة للامام بصفين :

وروى الامام ابو جعفر (ع) خطبة لجده الامام امير المؤمنين (ع) خطبها بصفين ،
وقد تحدث فيها عن سمو اخلاق النبي العظيم (ص) ومدى الخسارة العظمى التي منيت
بها الانسانية بفقدته (ص) كما ذكر فيها مكانته ومنزلته عند النبي (ص) ثم دعا فيها الى
جهاد عدوه معاوية ابن أبي سفيان ، وهذا نصها :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر ، وعلى
حججه البالغة على خلقه من اطاعه فيهم ، ومن عصاه ، إن رحم فبفضله ومنه ، وإن
عذب فبما كسبت أيديهم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد ، أحمدته على حسن البلاء ،
وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابنا من أمر دنيا أو آخرة ، وأومن به وأتوكل عليه ،
وكفى بالله وكيلا ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك ، وكان أهله ، واصطفاه على جميع
العباد لتبليغ رسالته ، وجعله رحمة منه على خلقه ، فكان كعلمه فيه رءوفا رحيفا ، أكرم
خلق الله حسبا ، واجمله منظرا ، واسخاه نفسا وابره بوالد ، وأوصله لرحم ، وافضله علما ،
واثقله حلما ، وأوفاه بعهد ،

(٣٤٩) وقعة صفين (ص ٢٦٧).

وآمنه على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط ، بل كان يظلم فيغفر ، ويقدر فيصنح ، ويعفو حتى مضى ٦ مطيعا لله ، صابرا على ما اصابه ، مجاهدا في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين (ص) ، فكان ذهابه اعظم المصيبة على جميع اهل الأرض البر والفاجر ، ثم ترك كتاب الله فيكم يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته ، وقد عهد الي رسول الله (ص) عهدا فلست أحميد عنه ، وقد حضرتم عدوكم وقد علمتم من رئيسهم منافق ابن منافق ، يدعوهم الى النار ، وابن عم نبيكم معكم بين أظهركم يدعوكم الى الجنة والى طاعة ربكم ، ويعمل بسنة نبيكم (ص) فلا سواء من صلى قبل كل ذكر ، لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله أحد ، وأنا من اهل بدر ، ومعاوية طليق ابن طليق ، والله إنكم لعلى حق ، وانهم لعلى باطل فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه ، وتفرقون عن حقاكم ، حتى يغلب باطلهم حقاكم « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، فان لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم » فاجابه اصحابه قائلين : يا أمير المؤمنين انهض بنا الى عدونا وعدوك اذا شئت ، فو الله ما نريد بك بدلا نموت معك ، ونحيا معك ، فقال لهم علي : « والذي نفسي بيده لنظر الي رسول الله (ص) أضرب قدامه بسيفي ، فقال : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى الا علي ، وقال : « يا علي ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ، وموتك وحياتك يا علي معي » والله ما كذبت ، ولا كذبت ، ولا ضللت ولا ضل بي ، وما نسيت ما عهد الي ، واني لعلى بينة من ربي ، واني لعلى الطريق الواضح ، الفظه لفظا (٣٥٠).

(٣٥٠) وقعة صفين (ص ٣٥٤-٣٥٦).

يوم الهرير :

وكان من اعظم ايام صفين ، وأشدها محنة يوم الهرير ، وهو اليوم الأعظم . كما يسميه المؤرخون . فقد استعرت فيه نار الحرب ، وأشتد أوارها ، حتى خيم الفزع والموت على الناس وقد تحدث عنه الامام أبو جعفر (ع) قال : « لما كان اليوم الأعظم ، قال اصحاب معاوية : والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، فبادروا القتال غدوة في يوم من ايام الشعري^(٣٥١) طويل شديد الحر ، فتراموا حتى فنيت النبال ، وتطاعنوا حتى تقصفت الرياح ، ثم نزل القوم عن خيولهم ، ومشى بعضهم الى بعض بالسيوف ، حتى كسرت جفونها ، وقام الفرسان في الركب ، ثم اضطربوا بالسيوف ، وبعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلا تغمغم القوم ، وصليل الحديد في الهام ، وتكادم الأفواه ، وكسفت الشمس وثار القتام ، وضلت الألوية والرايات ، ومرت مواقيت اربع صلوات ما يسجد فيهن لله إلا تكبيرا ، ونادت المشيخة في تلك الغمرات ، يا معشر العرب الله ، الله في الحرمات من النساء والبنات . »

ولما انتهى ابو جعفر الى هذه الكلمات بكى^(٣٥٢) فقد طافت به تلك الذكريات الحزينة التي تذيب من هولها القلوب ، فقد مثلت أمامه محنة جده الامام امير المؤمنين (ع) حينما ابتلى بتلك الزمرة الخائنة التي عملت على محو الاسلام ، وأزالة مكاسبه ، واعادة الحياة الجاهلية

(٣٥١) الشعري : كوكب نير يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر « اللسان » .

(٣٥٢) شرح النهج ٢ / ٢١٢ - ٢١٣ ، وقعة صفين (ص ٥٤٧) .

في الارض.

ان من ابشع مهازل التأريخ البشري هي مكيدة ابن العاص في رفع المصاحف وقد وصفها (راوحوست ميلر) بأنها من اشنع المهازل واسوئها في التأريخ البشري (٣٥٣) فقد اشرف جيش الامام على الفتح ، وتفلفت جميع قوى معاوية وأراد أن يلوذ بالفرار ، ولجأ الى ابن العاص يطلب منه الرأي فأشار عليه برفع المصاحف وهي مكيدة مدبرة قد حيكت أصولها ووضعت مخططاتها بين ابن العاص وبين الاشعث بن قيس الماكر الخبيث في جيش الامام.

وقد تحدث الامام أبو جعفر عن عدد المصاحف التي رفعت ، فقال ٧ : استقبلوا عليا بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبة (٣٥٤) مائتي مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف .

وقام فريق من اتباع معاوية ، فنادوا في المعسكر العراقي : « يا معشر العرب ، الله الله في النساء ، والبنات والابناء من الروم والأترك وأهل فارس غدا إذا فنيتم ، الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم .

والتاع الامام ، وانبرى قائلاً : اللهم إنك تعلم ما الكتاب يريدون فأحكم بيننا وبينهم انك أنت الحكم الحق المبين (٣٥٥) .

وقد اطاحت هذه المكيدة بالنصر الذي أحرزه جيش الامام ، فقد انقلب على اعقابه وماج في الفتنة ، واضطرب كأشد ما يكون الاضطراب ، وكان من المتوقع أن تمنى حكومة الامام بانقلاب عسكري يتزعمه الأشعث

(٣٥٣) العقيدة والشريعة في الاسلام (ص ١٩٠) .

(٣٥٤) المجنبة : بكسر النون المشددة ميمنة الجيش وميسرته .

(٣٥٥) شرح النهج ٢ / ٢١٢ ، وقعة صفين (ص ٥٤٦ - ٥٤٧) .

ابن قيس ، وقد ادرك الامام هذا الوضع المتفجر فأبدى من الاناة والصبر ما لا يوصف ، فقد استجاب . على كره . الى إيقاف القتال ، وأوعز الى قائد قواته المسلحة الزعيم مالك الأشر بالانسحاب عن ساحة الحرب بعد ان اشرف على الفتح ، وصار أمرا محتوما .

وثيقة التحكيم :

وبعد ان أجبر الامام على التحكيم الذي انقذ حكومة معاوية ، واطاح بحكومة الامام (ع) فقد تسابق زعماء الفتنة في جيش الامام مع اهل الشام الى تسجيل ما يروونه من الشروط التي تنهي الحرب مؤقتا حتى يجتمع الحكمان ، وقد روى الامام أبو جعفر (ع) نص الوثيقة ، وأخذها عنه المؤرخون لهذه الاحداث وهذا نصها بعد البسملة :

« هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي بن أبي طالب على اهل العراق ، ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية بن أبي سفيان على اهل الشام ، ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، اننا نزل على حكم الله تعالى وكتابه ، ولا يجمع بيننا الا إياه ، وان كتاب الله سبحانه تعالى بيننا من فاتحته الى خاتمته ، نحى ما احيا القرآن ، ونميت ما امات القرآن ، فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه ، وإن لم يجدها أخذنا بالسنة العادلة غير المفرقة ، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وقد أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين انهما امينان على انفسهما وأموالهما وأهلهما ، والأمة لهما انصار ، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة ، وان الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين

الطائفتين الى ان يقع الحكم ، وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكم بالامة بالحق ، لا بالهوى ، وأجل المواعدة سنة كاملة ، فان احب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه ، وان توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا ، لا يألوا الحق والعدل ، وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرضون أمره ، ويحمدون طريقته اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إحدادا وظلما .. « (٣٥٦)

ووقع الفريقان على هذه الوثيقة ، ولم تتعرض الى مطالبة معاوية بدم عثمان ذلك الدم الذي اتخذه شعارا لتمرده وبغيه على حكومة الامام ، ومن المؤكد انه لم يكن يهتم بعثمان فقد استنجد به حينما حاصره الثوار فاعاره اذنا صماء حتى قتل ، فاتخذ قتله وسيلة لنيل اطماعه.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن روايات الامام ابي جعفر لأحداث صفين تلك الأحداث المؤلمة التي جرت للمسلمين اعظم المحن والخطوب ، والقتهم في شر عظيم.

مأساة الامام الحسين :

وفزع المسلمون كأشد ما يكون الفزع من مأساة الامام الحسين (ع) التي انتهكت فيها حرمة الرسول (ص) في ابنائه وعترته ، فقد عمد الجيش الاموي الى استئصال آل النبي (ص) واقتروا معهم من الفضائع ما لم يمر مثلها في جميع مراحل هذه الحياة.

وكان الامام أبو جعفر (ع) صبيا يافعا قد حضر يوم الطف ، وشاهد المحن الكبرى التي تواكبت على آل البيت (ع) وقد وعاهها ، وارتسمت فصولها الحزينة في اعماق نفسه ودخائل ذاته ، وظلت مناظرها الرهيبة ملازمة

(٣٥٦) شرح النهج ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٤.

له ولأبيه الامام زين العابدين طوال حياتهما.
واقبل علماء المسلمين ورواتهم على الامام أبي جعفر (ع) وهم يسألونه عما شاهده
وما سمعه من أبيه من رزايا كربلا ، وما جرى على العترة الطاهرة من صنوف القتل والتنكيل
، وكان (ع) يزودهم بمعلوماته عنها ، وهم يدونونها.
وقد دون العلماء في ذلك العصر وما تلاه حوالي ستين مؤلفا كلها بعنوان « مقتل
الحسين ».

رواية عمار الدهني :

ويروي الطبري أن عمار الدهني وفد على الامام أبي جعفر (ع) يسأله عن مقتل
الحسين فأجابته (ع) وقد روى الطبري الرواية متقطعة غير متصلة ، ونحن نجتمع بين
فصولها ولنا فيها مواقع للنظر نذكرها في آخر الرواية ، وهذا نصها :
« حدثني زكريا بن يحيى الضير ، قال : حدثنا أحمد بن جناب المصيبي . ويكنى
أبا الوليد . قال : حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري قال : حدثني عمار
الدهني ، قال : قلت لأبي جعفر : حدثني بمقتل الحسين حتى كأني حضرته .
قال (ع) : مات معاوية ، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة ، فارسل الى
الحسين بن علي فقال له : اخربي ، وارفق فأخره ، فخرج الى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ،
ورسلهم انا قد حبسنا انفسنا عليك ، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي ، فأقدم علينا ، وكان
النعمان بن بشير الانصاري على الكوفة ، قال : فبعث الحسين الى مسلم بن عقيل بن أبي
طالب ابن عمه ، فقال له : سر الى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي ، فان

كان حقا خرجنا إليهم ، فخرج مسلم حتى أتى المدينة فأخذ منها دليلين ، فمرا به في البرية فأصابهم عطش فمات أحد الدليلين ، وكتب مسلم الى الحسين يستعفيه ، فكتب إليه الحسين : أن امضى الى الكوفة ، فخرج حتى قدمها ، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة^(٣٥٧) قال : فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دبوا إليه فبايعوه ، فبايعه اثنا عشر الفا. قال : فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية الى النعمان بن بشير فقال له : إنك ضعيف أو متضعف ، قد فسد البلاد ، فقال له النعمان : أن أكون ضعيفا ، وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قويا في معصية وما كنت لأهتك سترا ستره الله.

فكتب بقول النعمان الى يزيد فدعا مولى يقال له : سرجون . وكان يستشيريه . فأخبره الخبر ، فقال له : أكنت قابلا من معاوية لو كان حيا؟ قال : نعم ، قال : فاقبل مني فانه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد ، فولها اياه . وكان يزيد عليه ساخطا ، وكان همّ بعزله عن البصرة . فكتب إليه برضائه ، وانه قد ولاه الكوفة مع البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده.

قال : فاقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة مثلثا ، ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا : عليك السلام يا ابن بنت رسول الله . وهم يظنون انه الحسين بن علي (ع) . حتى نزل القصر فدعا مولى له فاعطاه ثلاثة آلاف وقال له : اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبائع له أهل الكوفة فاعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر ، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى ، فلم يزل يتلطف ويرفق به ، حتى

(٣٥٧) المعروف بين المؤرخين ان مسلم أول ما نزل في دار المختار.

دل على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة ، فلقبه فأخبره ، فقال له الشيخ : لقد سرنى لقاؤك إياي ، وقد ساءني ، فأما ما سرنى من ذلك فما هداك الله له ، وأما ما ساءني فان أمرنا لم يستحکم بعد فادخله إليه فأخذ المال وبايعه ورجع الى عبيد الله فآخبره .

فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها الى منزل هانئ بن عروة المرادي ، وكتب مسلم بن عقيل الى الحسين بن علي (ع) يخبره ببيعة اثني عشر الفا من أهل الكوفة ، ويأمره بالقدوم ، وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة : مالي أرى هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني! قال : فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه ، وهو على باب داره ، فقالوا : إن الأمير قد ذكرك واستبطاك فانطلق إليه ، فلم يزلوا به حتى ركب معهم ، وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي ، فلما نظر إليه قال لشريح : « أتتک بحائن رجلاه » فلما سلم عليه ، قال : يا هانئ اين مسلم؟ قال : ما ادري ، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه ، فلما رآه قطع به ، فقال : أصلح الله الأمير ، والله ما دعوته الى منزلي ، ولكنه جاء فطرح نفسه علي ، قال اثني به ، قال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، قال : ادنوه إلي ، فأدني فضربه على حاجبه فشججه ، قال : وأهوى هانئ الى سيف شرطي ليسله ، فدفع عن ذلك ، وقال : قد أحل الله دمك ، فأمر به فحبس في جانب القصر (٣٥٨).

وروى الطبري بعد هذا حديثا فيما يتعلق بتفصيل الحادثة ثم ذكر

(٣٥٨) تاريخ الطبري ٥ / ٣٤٧ . ٣٤٩ طبع دار المعارف بمصر تحقيق أبو الفضل ابراهيم.

كلام الامام أبي جعفر (ع) قال : فيينا هو كذلك اذ خرج الخبر الى مذحج ، فاذا على باب القصر جلبه سمعها عبيد الله ، فقال : ما هذا؟ فقالوا : مذحج ، فقال لشريح : اخرج إليهم فأعلمهم أنني انما حبسته لأسأله ، وبعث عينا عليه من مواليه يسمع ما يقول ، فمر بهانيء بن عروة ، فقال له هانيء : اتق الله يا شريح فانه قاتلي ، فخرج شريح حتى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه ، انما حبسه الأمير ليسأله ، فقالوا صدق ، ليس على صاحبكم بأس فتفرقوا ، فاتي مسلما الخبر ، فنادى بشعاره فاجتمع إليه اربعة آلاف من أهل الكوفة ، فقدم مقدمته ، وعبى ميمنته ، وميسرته وصار في القلب الى عبيد الله ، وبعث عبيد الله الى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر ، فلما سار إليه مسلم فانتهى الى باب القصر أشرفوا على عشائرتهم فجعلوا يكلمونهم ، ويردونهم ، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى امسى في خمسمائة فلما اختلط الظلام ذهب اولئك أيضا.

فلما رأى مسلم انه قد بقي وحده جعل يتردد في الطرق فاني بابا فنزل عليه فخرجت إليه امرأة ، فقال لها : اسقيني فسقته ، ثم دخلت فمكثت ما شاء الله ، ثم خرجت فاذا هو على الباب ، قالت : يا عبد الله إن مجلسك مجلس ريبة ، فقم ، قال : إني مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت : نعم ادخل ، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث ، فلما علم به الغلام انطلق الى محمد فأخبره ، فانطلق محمد الى عبيد الله فأخبره ، فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي . وكان صاحب شرطه . إليه ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلم يعلم مسلم حتى احيط بالدار ، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فاعطاه عبد الرحمن

الامان فأمكن من يده ، فجاء به الى عبيد الله ، فأمر به فاصعد الى أعلى القصر فضربت عنقه والقي جثته الى الناس ، وأمر بهانيء فسحب الى الكناسة ، فصلب هنالك وقال شاعرهم في ذلك :

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري الى هانيء في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الامام (٣٥٩) فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل
أيركب أسماء الهماليج آمنة وقد طلبته مذبح بذحول (٣٦٠)
ثم يذكر الطبري روايات أخرى عن أبي مخنف وغيره في تفصيل الأحداث ثم عقب ذلك بقوله : حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري ، قال : حدثنا عمار الدهني قال : قلت لأبي جعفر : حدثني عن مقتل الحسين حتى كأني حضرته قال :

« فاقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه حتى اذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي ، فقال له : اين تريد؟ قال : أريد هذا المصر قال له : ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيرا أرجوه ، فهم أن يرجع ، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل ، فقال : لا خير في الحياة بعدكم ، فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله ، فلما رأى ذلك عدل الى كربلاء فاسند ظهره الى قصباء وخلا كيلا يقاتل الا من وجه واحد ، فنزل وضرب أبنيته وكان اصحابه خمسة واربعين فارسا ، ومائة راجل وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الري ، ، وعهد إليه عهده ، فقال : اكفني هذا الرجل ، قال : اعفني فأبى أن

(٣٥٩) في رواية « اصابهما بغني الأمير ».

(٣٦٠) تأريخ الطبري ٥ / ٣٤٩ - ٣٥١.

يعفيه ، قال فانظرني الليلة فأخره فنظر في أمره ، فلما اصبح غدا عليه راضيا بما أمر به ، فتوجه إليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث : أما أن تدعوني فانصرف من حيث جئت ، وأما أن تدعوني فاذهب الى يزيد وأما أن تدعوني فألحق بالثغور ، فقبل ذلك عمر فكتب إليه عبيد الله لا ولا كرامة ، حتى يضع يده في يدي ، فقال له الحسين : عشر شابا من أهل بيته ، وجاء سهم فاصاب ابنا له معه في حجره ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ، ثم أمر بحجرة فشقها ثم لبسها ، وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قتل صلوات الله عليه قتله رجل من مذبح واحترز رأسه وانطلق به الى عبيد الله وقال :

أوقر ركابي فضة وذهبا فقد قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم اذ ينسبون النساء
وأوفده الى يزيد بن معاوية ، ومعه الرأس فوضع رأسه بين يديه وعنده ابو برزة
الأسلمي فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول :

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً
فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك ، فو الله لربما رأيت فاه رسول الله (ص) على فيه
يلثمه ، وسرح عمر بن سعد بحرمة وعياله الى عبيد الله ، ولم يكن بقى من أهل بيت
الحسين بن علي ٧ إلا غلام كان مريضاً مع النساء ، فأمر به عبيد الله ليقتل فطرحت زينب
نفسها عليه ، وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني!! فرق لها فتركه وكف عنه.

قال : فجهزهم ، وحملهم الى يزيد ، فلما قدموا عليه جمع من كان بحضرته من
أهل الشام ، ثم ادخلوهم فهنتوه بالفتح ، قال رجل منهم

ازرق أحمر ، ونظر الى وصيفة من بناتهم فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه ، فقالت زينب : لا والله ، ولا كرامة لك ، ولا له إلا أن يخرج من دين الله ، قال فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد كف عن هذا ، ثم أدخلهم على عياله فجهزهم ، وحملهم الى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها ، واضعة كمها على رأسها تلقاهم ، وهي تبكي وتقول :

ما ذا تقولون : إن قال النبي لكم ما فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتي وبأهلي بعد مفتقي مني أسارى وقتلى ضرجوا بدم ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي (٣٤١) وانتهدت بذلك رواية عمار الدهني عن الامام أبي جعفر (ع) : ذكر كارثة كربلاء.

المؤاخذات :

وتواجه هذه الرواية عدة من المؤاخذات منها ما يلي :

- ١ - إن عمار الدهني طلب من الامام (ع) أن يحدثه - بالتفصيل - عن مقتل الامام الحسين (ع) كأنه قد حضره ، أما الجواب فقد كان موجزا ، ولم يشر الى كثير من الأحداث لا بقليل ولا بكثير ، فقد طويت فيه أكثر فصول تلك المأساة ، ومن الطبيعي أن هذا لا يتناسب مع السؤال الذي يطلب فيه المزيد من المعلومات.
- ٢ - إنه جاء في هذه الرواية ان الامام الحسين (ع) حينما اجتمع بابن سعد طلب منه أحد هذه الامور :

أ - ان يسمحوا له بالرجوع الى يشرب.

(٣٦١) تاريخ الطبري ٥ / ٣٨٩ - ٣٩٠.

ب . ان يذهب الى يزيد.

ج . أن يلحق بالثغور.

ومن المقطوع به عدم صحة الامرين الأخيرين ، فان الامام (ع) لو فرض أنه ادلى بهما لما قدم الجيش الأموي على قتاله وحره ، وقد تحدث عن افتعال ذلك عقبة بن سمعان وهو ممن صاحب الامام من المدينة الى مكة ثم الى العراق وظل ملازما له حتى قتل يقول :

« صحبت الحسين من المدينة الى مكة ، ومنها الى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل ، وقد سمعت جميع كلامه ، فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس ، من أن يضع يده في يد يزيد ، ولا أن يسير الى ثغر من الثغور ، لا في المدينة ، ولا في مكة ، ولا في العراق ، ولا في عسكره الى حين قتل نعم سمعته يقول : اذهب الى هذه الارض العريضة حتى انظر ما يصير إليه الناس » (٣٦٢) ونظرا لاشتمال الرواية على هذه البنود فلا تصح نسبتها الى الامام أبي جعفر (ع) ومن المحتمل أن الرواية بناء على صحتها قد نقص منها الشيء الكثير ، وزيد فيها مما جعلها مضطربة لا يمكن التعويل عليها.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض ما أثر عنه من نقل السيرة النبوية وسائر الاحداث التي جرت في العصر الاسلامي الأول.

وصايا القيمة :

وأثرت عن الامام أبي جعفر (ع) وصايا كثيرة ، وجه بعضها لابنائهم ، وبعضها لأصحابه وهي حافلة بالقيم الكريمة ، والمثل العليا ، وزاخرة بأداب السلوك ، والتوجيه الصالح الذي يصون الانسان من الانحراف

(٣٦٢) حياة الامام الحسين ٣ / ١٢٩ .

والسلوك في المنعطفات ، وفيما يلي ذلك :

وصاياه لولده الصادق :

وزود الامام أبو جعفر (ع) ولده الصادق بجمهرة من الوصايا القيمة ، ومن بينها :
١ . قال (ع) : « يا بني ان الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء : خبأ رضاه في طاعته ، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه ، وخبأ اوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي ... » (٣٦٣)

وحفلت هذه الوصية بمعالي الاخلاق ، ففيها الترغيب في طاعة الله والحث عليها ، وفيها التحذير من المعصية ، والتشديد في أمرها ، وفيها الحث على تكريم الناس وعدم الاستهانة بأي احد منهم.

٢ . حكى الامام الصادق (ع) احدي وصايا أبيه الى سفيان الثوري فقد قال له : « يا سفيان أمرني أبي بثلاث ، ونهاني عن ثلاث ، فكان فيما قال لي : يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، ثم أنشدني :

عود لسانك قول الخير تحظ به ان اللسان لما عودت يعتاد
موكل بتقاضى ما سننت له في الخير والشر فانظر كيف تعتاد (٣٦٤)
وهذه الوصايا من روائع الحكم ، ومن خيرة وصايا المصلحين لابنائهم فقد حفلت بجميع مقومات الآداب والفضائل.

(٣٦٣) الفصول المهمة (ص ٢٩) وسيلة المال في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨).

(٣٦٤) الخصال (ص ١٥٧).

وصيته لبعض ابنائه :

ووصى بعض ابنائه بهذه الوصية فقال له : « يا بني اذا انعم الله عليك نعمة فقل : الحمد لله ، واذا احزبك (٣٦٥) أمر فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واذا ابطأ عنك رزقك فقل : استغفر الله. » (٣٦٦)

وصيته لعمرو بن عبد العزيز :

وحيثما ولي الخلافة عمرو بن عبد العزيز طلب من الامام أبي جعفر ٧ أن يزوده بوصية ينتفع بها ، ويسوس بها دولته ، فقال ٧ له :
« أوصيك بتقوى الله ، وأن تتخذ صغير المسلمين ولدا ، وأوسطهم أخا ، وكبيرهم أبا ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وبر أباك ، واذا صنعت معروفا فربه (٣٦٧). » (٣٦٨)
وبهر عمرو بهذه الحكمة الجامعة وراح يبيدي اعجابه قائلا :
« جمعت والله ما ان اخذنا به ، واعاننا الله عليه استقام لنا الخير ان شاء الله. » (٣٦٩)

واروع كلمة جامعة لشؤون السياسة العادلة هذه الكلمة القيمة ، فان رئيس الدولة اذا ساس رعيته بسياسة العدل والانصاف ، واعتبر ابناء

(٣٦٥) حزه الأمر : نابه واشتد عليه.

(٣٦٦) البيان والتبيين ٣ / ٢٨٠ ، الموفقيات (ص ٣٩٩).

(٣٦٧) ربه : أي ادمه : يقال : ربّ بالمكان أي أقام به.

(٣٦٨) الامالي لأبي علي القالي ٢ / ٣٠٨ ، جمهرة خطب العرب ٢ / ١٤٧ .

(٣٦٩) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٨ .

الأمة من أفراد أسرته ، وعاملهم كما يعامل الرجل أهله فيشيع فيهم الخير ، ويبسط فيهم العدل فان الحكومة والشعب يسعدان ، ويستقيم لهما الخير.

وصيته لجابر الجعفي :

وزود الامام أبو جعفر (ع) تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي بهذه الوصية الخالدة الحافلة بجميع القيم الكريمة والمثل العليا التي يسمو بها الانسان فيما لو طبقها على واقع حياته ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« أوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كذبت فلا تغضب ، وإن مدحت فلا تفرح ، وإن ذممت فلا تجزع ، وفكر فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك : فتواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنك لن تكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك ، وقالوا : إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فان كنت سالكا سبيله ، زاهدا في تزهيده راغبا في ترغيبه ، خائفا من تخويفه فاثبت وابشر ، فانه لا يضرك ما قيل فيك ، وإن كنت مبائنا للقرآن ، فما ذا الذي يغرك من نفسك ، إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله ، فينتعش ، ويقلل الله عشرته فيتذكر ، ويفزع الى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بان الله يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٣٧٠).

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصا الى الشكر ، واستقل من نفسك كثير الطاعة لله إزاء على النفس (٣٧١) وتعرضا للعفو ، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم ، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل ، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف ، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة ، وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل ، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم ، واستبق خالص الاعمال ليوم الجزاء ، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص ، وادفع عظيم الحرص بايثار القناعة ، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل ، واقطع اسباب الطمع ببرد اليأس ، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس ، وتخلص الى راحة النفس بصحة التفويض ، واطلب راحة البدن باجمام (٣٧٢) القلب ، وتخلص الى اجمام القلب بقله الخطأ ، وتعرض لرقعة القلب بكثرة الذكر في الخلوات ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن. وتحرز من ابليس بالخوف الصادق ، وإياك والرجاء الكاذب فانه يوقعك في الخوف الصادق ، وتزين لله عز وجل بالصدق في الاعمال ، وتحجب إليه بتعجيل الانتقال وإياك والتسويق فانه بحر يغرق فيه الهلكى ، وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب ، وإياك والتواني فيما لا عذر لك فيه فاليه يلجأ النادمون واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم ، وكثرة

(٣٧٠) سورة الاعراف : آية ٢٠٠ .

(٣٧١) إزاء على النفس : أي احتقارا واستخفافا بها .

(٣٧٢) الجمام : . بالفتح . الراحة .

الاستغفار ، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة ، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء ، والمناجاة في الظلم ، وتخلص الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق ، واستقلال كثير الطاعة ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر ، والتوسل الى عظيم الشكر بخوف زوال النعم ، واطلب بقاء العز باماتة الطمع ، وادفع ذل الطمع بعز اليأس ، واستجلب عز اليأس ببعد الهمة ، وتزود من الدنيا بقصر الأمل ، وبادر بانتهاز البغية عند امكان الفرصة ، ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان ، وإياك والثقة بغير المأمون فان للشكر ضراوة كضراوة الغذاء.

واعلم انه لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا خوف كخوف حاجز ، ولا رجاء كرجاء معين ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كغلبة الهوى ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغارك للدنيا ، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك ، ولا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا شرف كبعد الهمة ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ، ولا عدل كالانصاف ، ولا تعدي كالجور ، ولا جور كموافقة الهوى ، ولا طاعة كاداء الفرائض ، ولا خوف كالحزن ، ولا مصيبة كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلة اليقين ، ولا قلة يقين كفقدهم الخوف ، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف ، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب ، ورضاك بالحالة التي أنت عليها ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة الهوى ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا معصية كحب البقاء ، ولا ذل كذل الطمع ، وإياك والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجز لأهله بالخسران .. « (٣٧٣)

(٣٧٣) تحف العقول (ص ٢٨٤ . ٢٨٦) .

ودلت هذه الوصية الرائعة الحافلة بجواهر الحكم على امامة الامام أبي جعفر (ع) واضاءت جانبا كبيرا من مواهبه وعبقرياته ، ولو لم تكن له إلا هذه الوصية لكفت في الاستدلال على عظمته وما يملكه من طاقات علمية لا تحد ، لقد نظر الامام العظيم الى اعماق النفوس ، وسبر اغوارها وحلل ابعادها ، وعرف ما ابتلي به الانسان من الأمراض والآفات لقد ابتلي الانسان بالجهل والغرور والكبرياء والجشع والطمع ، وطول الأمل وغير ذلك مما يدفعه الى الاغراق في المعاصي واقتتراف الآثام والانحراف عن طريق الحق ، وعدم الاستقامة في سلوكه ، درس الامام (ع) هذه الأمراض فوضع لها العلاج الحاسم ، ووصف لها الدواء السليم الذي يقضي على جراثيمها ، واذا اخذ الانسان بهذه الوصفة فانه يعود انسانا مثاليا مهذبا ، قد صان نفسه ، واتصل بخالقه الذي إليه مرجعه ومآله ، ولو لا خوف الاطالة لشرحنا بنودها شرحا مفصلا ، ودلنا على ما فيها من الحكم والأسرار.

وصيته لرجل :

وفد عليه رجل من المسلمين وطلب منه أن يمنحه بوصية يسير على ضوءها فقال

(ع) له :

« هبئ جهازك ، وقدم زادك ، وكن وصي نفسك. » (٣٧٤)

لقد دله على ما يقربه الى الله زلفى ، وما يضمن له السلامة في دار البقاء والخلود ،

ان الانسان اذا هبئ جهازه وقدم زاده كان على سلامة من دينه ، وضمان آخرته.

(٣٧٤) تاريخ دمشق ٥١ / ٣٨ .

وصيته لبعض اصحابه :

وأراد بعض أصحاب الامام (ع) السفر فزوده (ع) بهذه الوصية القيمة ، قال له :
« لا تسيرن سيرا وأنت حافي ، ولا تنزلن عن دابتك ليلا لقضاء حاجة إلا ورجلك
في خف ، ولا تبولن في نفق ، ولا تذوقن بقلة ولا تشمها حتى تعلم ما هي ، ولا تشرب
من سقاء حتى تعرف ما فيه ، وأحذر من تعرف ولا تصحب من لا تعرف .. » (٣٧٥)
لقد اوصاه الامام (ع) بالمناهج الصحية ، والدروس الاخلاقية التي تضمن له
الصحة والسلامة.

أما ما يتعلق بالصحة والوقاية من الأمراض فهي :

أ . أمره أن لا يسير حافيا ، فان المشي حافيا كثيرا ما يجلب للإنسان بعض
الأمراض التي انتشرت جراثيمها في الارض ، وهي مما تنفذ بسرعة الى مسام القدمين مثل
البهلهزيا.

ب . اوصاه أن لا ينزل من دابته في الليل حافيا لقضاء حاجته لأنه لا يؤمن أن تلذعه
بعض هوام الأرض الكامنة في التراب ، وهو لا يدري.

ج . حذره من أن يبول في التفق لأنه غالبا ما تكمن فيه بعض الحيوانات القاتلة
فتنسب إليه ، وتسبب هلاكه.

د . نهاه من تناول أحد البقول المنتشرة في الصحراء ، ما لم يعرفها فانها قد تكون
سامة وهو لا يعلم فتسبب تسممه وتؤدي بحياته أو مرضه.

هـ . نهاه عن الشرب من السقاء حتى يعلم ما فيه لأنه قد يكون شرابا فاسدا ومضرا
بصحته فيسبب هلاكه أو سقمه ، هذه بعض المناهج

(٣٧٥) تذكرة ابن حمدون (ص ٢٧).

الصحية التي امره بها واما الدروس الاخلاقية فقد اوصاه بأمرين :

- ١ . ان يحذر من يعرف ، فلا يبوح له بأسراره ، كما ان عليه ان يحسن صحبته خوفا منه ، فان السفر يكشف عن حقيقة الشخص ، ويظهر كوامن سره ، وكم سافر جماعة كانت بينهم اعمق المودة فعادوا وهم اعداء يلعن بعضهم بعضا ، فعلى الانسان المستقيم أن يكون في سفره على حذر ممن يعرفه ، وممن لا يعرفه .
- ٢ . نهاه عن السفر مع من لا يعرف ، فانه قد يسبب له كثيرا من المشاكل التي قد تؤدي الى هلاكه ، وقد وقع ذلك بكثرة للمسافرين مع من لا يعرفونهم ... هذه بعض وصاياه القيمة .

مواعظه :

- ووجه الامام أبو جعفر (ع) الى شيعته المواعظ التي وعظ بها الأوصياء أممهم فحذرهم من غرور الدنيا وفتنها ، وبصرهم صولة الدهر ، وفجائع الأيام ، ودعاهم الى التفكير والتبصر فيما يصيرون إليه من مفارقة الدنيا الى القبور المظلمة ، واللحود الموحشة التي لا ينفع فيها إلا ما ادخره الانسان من العمل الصالح ، وهذه بعض مواعظه :
- ١ . قال (ع) : « أيها الناس إنكم في هذه الدار اغراض تنتضل فيكم المنايا ، لن يستقبل أحد منكم يوما جديدا من عمره إلا بانقضاء آخر من أجله ، فأية اكلة ليس فيها غصص؟ أم أي شربة ليس فيها شرق؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظنون عنه ، فان اليوم غنيمة ، وغدا لا تدري لمن هو ، أهل الدنيا في سفر يحلون عقد رجالهم في غيرها ، قد خلت منا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله .
- أين الذين كانوا أطول أعمارا منكم وأبعد آمالا؟! أتاك يا ابن آدم

ما لا ترده ، وذهب عنك ما لا يعود ، فلا تعدن عيشا منصرفا عيشا ، ما لك منه إلا لذة
تزدلف بك الى حمامك ، وتقربك من أجلك؟ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود ،
والسواد المخترم ، فعليك بذات نفسك ، ودع ما سواها ، واستعن بالله يعنك .. « (٣٧٦)

٢ . وحضر عنده جماعة من الشيعة فوعظهم ، وحذرهم عقاب الله ، فلم يحفلوا
بكلامه فغاضه ذلك ، واطرق برأسه مليا الى الارض ، ثم رفع رأسه ، فجعل يعاتبهم ،
ويعظهم مرة أخرى قائلا :

« إن كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتا ، الا يا أشباحا بلا أرواح
وذبابا بلا مصباح كأنكم خشب مسندة ، وأصنام مريدة ، ألا تأخذون الذهب من الحجر
، إلا تقتبسون الضياء من النور الأزهر ، ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر ، خذوا الكلمة الطيبة
ممن قالها وان لم يعمل بها ، فان الله يقول : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) (٣٧٧).

ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانيا ، ويعطيك باقيا ، درهم يفنى بعشرة تبقى
الى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم آتاك الله عند مكافأة هو مطعمك وساقيك ،
وكاسيك ، ومعافيك ، وكافيك ، وساترك ممن يراعيك ، من حفظك في ليلك ونهارك ،
وأجابك عند اضطرارك ، وعزم لك على الرشد في اختبارك ، كأنك قد نسيت ليالي
أوجاعك وخوفك ، دعوته فاستجاب لك فاستوجب بجميل صنيعه الشكر فنسيته فيمن
ذكر ، وخالفته فيما أمر ، وملك انما أنت لص من لصوص الذنوب ، كلما

(٣٧٦) تحف العقول (ص ٢٩٩) الكامل للمبرد ١ / ١٢٧ .

(٣٧٧) سورة الزمر ، آية ١٨ .

عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه ، وأقدمت بجهلك عليه ، فارتكبتك كأنك لست بعين الله أو كأن الله ليس لك بالمرصاد!!!

يا طالب الجنة ما أطول نومك ، وأكل مطيتك ، وأوهى همتك فله أنت من طالب ومطلوب ، ويا هاربا من النار ما أحت مطيتك إليها ، وما اكسبك لما يوقعك فيها!!!
انظروا الى هذه القبور سطورا بافناء الدور ، تدانوا في خططهم ، وقربوا في مزارهم ، وبعثوا في لقاءهم ، عمروا فخرىوا ، وانسوا فأوحشوا وسكنوا فأزعجوا ، وقنطوا فرحلوا ، فمن سمع بدان بعيد وشاحط^(٣٧٨) قريب وعامر مخرب ، وأنس موحش ، وساكن مزعج ، وقاطن مرحل غير أهل القبور!!!

يا ابن الأيام الثلاثة : يومك الذي ولدت فيه ، ويومك الذي تنزل فيه قبرك ، ويومك الذي تخرج فيه الى ربك ، فيا له من يوم عظيم يا ذوي الهيئة المعجبة والهيم المعطنة^(٣٧٩) مالي ارى اجسامكم عامرة ، وقلوبكم دامرة اما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه ، وما أنتم إليه صائرون لقلتم : **(يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)**^(٣٨٠) قال جل من قائل : **(بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ)** .. **(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)**^(٣٨١) « (٣٨٢).

(٣٧٨) الشاحط : البعيد.

(٣٧٩) الهيم : الأبل العطاش ، العاطنة : الأبل التي رويت ثم بركت.

(٣٨٠) سورة الانعام : آية ٢٧ .

(٣٨١) سورة الانعام : آية ٢٨ .

(٣٨٢) تحف العقول (ص ٢٩١ - ٢٩٢) .

لقد انكر الامام أبو جعفر (ع) على هؤلاء القوم انصرفهم عن وعظه ، وارشاداته الهادفة الى استقامتهم وحسن سلوكهم ، وظفرهم بخير الدنيا والآخرة ، وقد وجه إليهم هذه الموعدة البالغة فدعاهم الى الله ، والتمسك بطاعته ، فانه بيده الخير والحرمان .
لقد وعظهم بهذه المواعظ التي تخشع لها النفوس ، وتتوجل منها القلوب ليرجعهم الى حظيرة الايمان وواقع الاسلام .

٣ . ووعظ الامام بعض اصحابه فأحاطه علما بواقع هذه الحياة فقال (ع) له :
« انزل الدنيا كمنزل نزلته وارتحلت عنه ، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت ،
وليس معك منه شيء . » (٣٨٣)

ان الانسان لو نظر الى الدنيا بهذه النظرة الصائبة ، وتعرف على واقعها وحالها لما أصيب بداء الغرور والأنانية ، والجشع والطمع وغير ذلك من الآفات النفسية التي تضله عن طريق الحق .

٤ . ومن مواعظه (ع) أنه قال : « ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا وحرم الله وجه صاحبها على النار ، فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قطر ولا ذلة ، وما من شيء إلا له جزاء إلا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا .. » (٣٨٤)
لقد دعا (ع) الى البكاء من خشية الله فانه من علامة الايمان ، وهو يكشف عن اتصال العبد بربه وخالقه .

٥ . قال (ع) : « أكثر من ذكر الموت فانه لم يكتر انسان ذكر

(٣٨٣) مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ ، شذرات الذهب ١ / ١٤٩ .

(٣٨٤) اخبار الدول (ص ١١) .

الموت إلا زهد في الدنيا. « (٣٨٥)

ان الانسان متى ذكر الموت ، وجعله أمام عينيه فانه يزهد في هذه الدنيا ، وينصرف عن مباحجها ، وملاذها.

٦ . وسئل الامام أبو جعفر عن أشد الناس زهدا؟ فقال (ع) : من لا يبالي الدنيا في يد من كانت ، فقيل له : من أخسر الناس صفقة؟ فقال (ع) : من باع الباقي بالفاني ، فقيل له : من اعظم الناس قدرا؟ فقال (ع) : من لا يرى الدنيا لنفسه قدرا (٣٨٦).

٧ . ووعظ (ع) اصحابه فقال لهم : « إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم تطولت عليك بثلاث : سترت عليك ما لو يعلم به اهلك ما داروك ، وأوسعت عليك فاستقرضت منك فلم تقدم خيرا ، وجعلت لك نظرة في ثلثك فلم تقدم خيرا. « (٣٨٧)

هذه بعض النماذج من مواعظه القيمة وقد ساقها (ع) الى معالجة النفوس وتهذيبها ، وكانت هذه الظاهرة التربوية من ابرز القيم في تعاليم أئمة أهل البيت (ع).

فضل العقل :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) عن فضل العقل ، وانه من اعظم ما خلق الله تعالى قال (ع) :

« لما خلق الله العقل استنطقه ، ثم قال له : اقبل فأقبل ، ثم قال له : ادبر فادبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي

(٣٨٥) جامع السعادات ٢ / ٦١ .

(٣٨٦) البيان والتبيين ٣ / ١٦١ .

(٣٨٧) الخصال (ص ١٣١) .

منك ، ولا اكملتك إلا فيمن أحب أما اني إياك أمر ، وإياك انهى ، وإياك أعاقب ، وإياك أثيب .. » (٣٨٨)

ان بالعقل ترتفع قيمة الانسان ، ولو لاه لما كان هناك أي فرق بينه وبين الحيوان السائم ، وهو من الشرائط الأولية في صحة التكليف . كما يقول الفقهاء ..

الفطنة :

واشاد الامام أبو جعفر (ع) بالفطنة ، وجعلها المصدر الوحيد لسعادة الانسان ، وصلاح معيشته قال (ع) : « صلاح جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل ، فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ، ولا حظا في الصلاح لأن الانسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطنه وعرفه . » (٣٨٩)

وما أروع هذه الكلمة ، وقد علق عليها بعض العلماء فقال : انها جمعت صلاح شأن الدنيا بحذافيرها .

اجالة الفكر :

ودعا (ع) الى اجالة الفكر وانطلاقه قال (ع) : « باجالة الفكر يستدر الرأي المعشب .. » (٣٩٠)

وهذه الكلمة من روائع الحكم فان الرأي الأصيل والسديد انما يصل

(٣٨٨) اصول الكافي ١ / ١٠ .

(٣٨٩) الكامل للمبرد ١ / ٧٦ ، زهر الآداب ١ / ١١٦ ، البيان والتبيين ٣ / ٩٩ .

(٣٩٠) جامع السعادات ١ / ١٦٥ .

إليه الانسان بعد اجالة فكره في الأمور ، وكذلك الحقائق العلمية والمخترعات انما هي وليدة التفكير والدراسة للأمور ، فانه من غير الممكن ان يتوصل الانسان لذلك من دون اجالة الفكر وامعانه.

مكارم الاخلاق :

واهتم الامام أبو جعفر (ع) بنشر مكارم الاخلاق واذاعتها بين الناس ، لأنها من العناصر الذاتية في بناء المجتمع الاسلامي ، وقد حفلت مصادر الحديث وغيرها بالشيء الكثير من كلماته الحكمية ، وفيما يلي ذلك :

١ . الاحسان :

أما الاحسان الى الناس فانه من اوثق الاسباب الى تماسك المجتمع وترابطه وشيوع المحبة والألفة بين ابنائه ، وقد ندب إليه الاسلام ، وحث عليه قال الامام أبو جعفر (ع) : « ما تذرع إلي بذريعة ، ولا توسل بوسيلة هي أقرب الي من يد سالفة مني إليه أتبعتها أختها ليحسن حفظها وربها لأن منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ، وما سمحت لي نفسي برد بكر الحوائج .. » (٣٩١)

ان احب الاشياء الى الامام (ع) مواصلة الاحسان وتكراره ليغرس به المودة والحب في قلوب الناس.

٢ . فعل المعروف :

وحدث الامام (ع) على فعل المعروف الى الناس في كثير من احاديثه ، ومن بين ما قاله :

(٣٩١) تحف العقول (ص ٢٩٦).

أ . قال (ع) : « ان الله جعل للمعروف أهلا من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ، ووجه لطلاب المعروف الطلب إليهم ، ويسر إليهم قضاءه كما يسر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحي أهلها ، وان الله جعل للمعروف اعداء من خلقه بغض إليهم المعروف ، وبغض إليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف التوجه إليهم ، وحظر عليهم قضاءه كما يحظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ، ويهلك أهلها ، وما يعفو الله عنه أكثر .. » (٣٩٢)

ب . قال (ع) : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة ، وأول أهل الجنة دخولا الى الجنة أهل المعروف وان أول أهل النار دخولا الى النار أهل المنكر .. » (٣٩٣)

٣ . مقابلة المعروف بالاحسان :

وأوصى (ع) اصحابه بمقابلة المعروف بالمزيد من الاحسان قال (ع) : « من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافاه . ومن أضعف كان شكورا ، ومن شكر كان كريما . ومن علم أنه ما صنع كان الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيته الى نفسك ، ووقيت به عرضك ، واعلم ان طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده .. » (٣٩٤)

وبعد ما أوصى (ع) بمقابلة المعروف بالاحسان ، دعا الى صنع المعروف

(٣٩٢) تحف العقول (ص ٢٩٥) .

(٣٩٣) أمالي الصدوق (ص ٢٢٥) .

(٣٩٤) تحف العقول (ص ٣٠٠) .

بما هو معروف وان لا ينبغي صاحبه جزاء ، فانه قد صنع ذلك لنفسه. ووقى به شرفه وعرضه.

آداب السلوك :

وحدث الامام (ع) على آداب السلوك الاجتماعي مع الناس ، وكان من بين ذلك.

١ . طلاقة الوجه :

وأمر (ع) بمقابلة الناس بطلاقة الوجه والبشرى بهم قال (ع) :
« البشر الحسن ، وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة ، وقربة من الله ، وعبوس الوجه ، وسوء البشر مكسبة للمقت ، وبعد من الله .. » (٣٩٥)

٢ . معاملة الناس بالحسنى :

وحدث (ع) على معاملة الناس بالحسنى واجتناب هجر الكلام معهم ، قال (ع) :
« قولوا للناس : أحسن ما تحبون أن يقال : لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين ، الفاحش المتفحش ، السائل الملحف ، ويحب الحيّ الحليم العفيف المتعفف .. » (٣٩٦)

حقوق المسلم :

وأدلى (ع) بالحقوق التي شرعها الاسلام للمسلم تجاه أخيه المسلم ، قال (ع) :
« احب أخاك المسلم ، واحب له ما تحب لنفسك ، واكره له ما

(٣٩٥) تحف العقول (ص ٢٩٦).

(٣٩٦) تحف العقول (ص ٣٠٠).

تكره لنفسك ، واذا احتجت فسله ، واذا سألك فاعطه ، ولا تدخر عنه خيرا فانه لا يدخره
عنك ، كن لهظه فانه لك ظهر ، إن غاب فاحفظه في غيبته ، وان شهد فزره ، واجله ،
واكرمه فانه منك ، وأنت منه ، وان كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتى تسل سخيمته (٣٩٧)
وما في نفسه ، واذا اصابه خير فاحمد الله عليه ، وان ابتلي فاعضده ، وتمحل له .. «
(٣٩٨)

ولو طبق المسلمون هذه التعاليم الحية على واقع حياتهم لصاروا من اقوى شعوب
العالم وما تداعت الأمم على غزوهم ، واستعبادهم ، ونهب ثرواتهم ... لقد انحرفوا عن
هذه المبادئ الاصيله فهانوا وذلوا ، وتفرقوا شيعا واحزابا (**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**).

قضاء حاجة المسلم :

وندب الامام أبو جعفر المسلمين الى قضاء حوائج اخوانهم ، وحذر من تركها ،
قال (ع) : « ما من عبد يمتنع عن معونة أخيه الملم ، . والسعي له في حاجته قضيت له
أو لم تقض إلا ابتلي في حاجة فيما يأثم عليه ، ولا يؤجر ، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها
فيما يرضي الله إلا أبتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله .. » (٣٩٩)

صلة الارحام :

وعنى الاسلام بصلة الارحام ، وندب إليها لأنها توجب تماسك الأسرة وارتباطها ،
وتعود على الأمة باروع الثمرات ، وقد حث عليها الامام أبو جعفر (ع) قال (ع) : « صلة
الأرحام تزكي الاعمال ، وتنمي الأموال ،

(٣٩٧) السخيمة : الضغينة

(٣٩٨) أمالي الصدوق (ص ٢٨٨).

(٣٩٩) تحف العقول (ص ٢٩٢).

وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسىء في الأجل .. » (٤٠٠)

الصدقة :

وأكد الامام (ع) على الصدقة ، وذكر الفوائد التي يظفر بها المتصدق ، وقد أدلى بذلك امام اصحابه قال (ع) : « إلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه يبعث السلطان ، والشيطان منكم » فقال له أبو حمزة :

« بلى اخبرنا حتى نفعله . »

قال (ع) : « عليكم بالصدقة فبكروا بها ، فانها تسود وجه ابليس ، وتكسر شره السلطان الظالم عنكم في يومكم ذلك ، وعليكم بالحب لله والتودد والموازرة على العمل الصالح فانه يقطع دابهما . يعني الشيطان والسلطان . وألحوا في الاستغفار فانه ممحاة للذنوب .. » (٤٠١)

العطف على اليتيم :

ودعا الامام (ع) الى العطف على اليتيم والبر بالضعيف قال (ع) : « اربع من كن فيه بنى له الله بيتا في الجنة من آوى اليتيم ، ورحم الضعيف واشفق على والديه ، ورفق بمملوكه .. » (٤٠٢)

محاسن الصفات :

وتحدث الامام أبو جعفر (ع) عن محاسن الصفات التي تقرب الانسان من الله ، وتبعده عن سخطه وعذابه قال (ع) : « اربع من كن فيه كمل إسلامه ، وأعين على ايمانه ، ومحصت ذنوبه ، ولقى الله عز وجل ،

(٤٠٠) تحف العقول (ص ٢٩٨).

(٤٠١) تحف العقول (ص ٢٩٨).

(٤٠٢) الخصال (ص ٢٠٤).

وهو عنه راض ، ولو كان فيما بين قرنه الى قدميه ذنوب حطها الله عنه ، وهي : الوفاء بما يجعل الله على نفسه ، وصدق اللسان مع الناس ، والحياء مما يقبح عند الله ، وعند الناس ، وحسن الخلق مع الأهل والناس ، وأربع من كن فيه من المؤمنين اسكنه الله تعالى في أعلى عليين في غرف فوق الغرف : من آوى اليتيم ، ونظر له ، وكان له أبا ، ومن رحم الضعيف ، واعانه وكفاه ، ومن انفق على والديه ، وترفق بهما ، وسرهما ولم يحزنهما ، ومن لم يخرق مملوكه فاعانه على ما يكلفه .. » (٤٠٣)

لقد أمر الامام (ع) بكل ما يقرب الانسان من ربه ، وقد ارشده الى محاسن الاعمال التي يحبها الله ، ويجزل عليها ثوابه ، وتستوجب المزيد من الطافه .

الصمت :

ودعا (ع) الى الصمت وعدم الخوض فيما لا يكسب فيه الانسان فائدة أو خيرا قال (ع) : « إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر ، فينبغي للمؤمن أن يختم لسانه كما يختم على ذهبه وفضته ، فان رسول الله (ص) قال : (رحم الله مؤمنا أمسك لسانه من كل شر فان ذلك صدقة منه على نفسه) لا يسلم أحد من الذنوب حتى يحزن لسانه .. » (٤٠٤)

مساوى الصفات والأعمال :

وحذر الامام (ع) من الاتصاف بالصفات السيئة ، والاعمال المنكرة ، وهذا بعض ما أثر عنه :

(٤٠٣) الدر النظيم (ص ١٩١) .

(٤٠٤) تحف العقول (ص ٢٩٨) .

١ . قال (ع) : « ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل ذلك أو أكثر .. » (٤٠٥)

وقال (ع) : « المتكبر ينازع الله رداءه » (٤٠٦).

ان الكبرياء ينم عن الجهل ونقصان العقل ، فان الانسان لو عرف مآله وما يصير إليه من مفارقة هذه الحياة ، ونسيان ذكره ، واستحالة جسمه الذي يزهو به الى كتلة من التراب المهين ، لو ادرك ذلك وتبصر فيه لما تكبر على خلق الله.

٢ . وذم الامام (ع) الانسان المنافق الذي يكون ذا وجهين ولسانين قال (ع) : « بس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين يطري أخاه شاهدا ، ويأكله غائبا ، ان أعطي حسده ، وان أبتلي خذله .. » (٤٠٧)

ان هذا الانحراف يكشف عن خبث السريرة ، وسوء الطوية ، وان صاحبه لا خلق له ، ولا ايمان له بربه.

٣ . وحذر الامام من الاتصاف بالصفات التالية قال (ع) : « ما أقيح الأسر عند الظفر ، والكآبة عند النائبة ، والغلظة على الفقير ، والقسوة على الجار ، ومشاحة القريب ، والخلاف على صاحب ، وسوء الخلق على الاهل ، والاستطالة بالقدرة ، والجشع مع الفقر ، والغيبة للجليس ، والكذب في الحديث ، والسعي بالمنكر ، والغدر من السلطان ، والخلق من ذوي المروءة ، من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، صلاح من جهل الكرامة في هوانه ، المسترسل مرقى ، والمحترس ملقى .. » (٤٠٨)

(٤٠٥) صفة الصفوة ٢ / ٦١ ، حلية الاولياء ٣ / ١٨٠ .

(٤٠٦) تحف العقول

(٤٠٧) أمالي الصدوق (ص ٣٠) .

(٤٠٨) تذكرة ابن حمدون (ص ٦٠) .

ومن تجنب هذه الصفات فقد تحلى بمعالي الاخلاق الرفيعة وصار من أفذاذ الناس وخيارهم.

٤ . ونهى الامام (ع) عن ارتكاب ما يلي قال (ع) : « ثلاث خصال : لا يموت صاحبهن أبدا حتى يرى وبالهن ، البغي وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وان أعجل الطاعة ثوبا لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمى أموالهم ، ويثرون ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليدران الديار بلاقع من أهلها .. » (٤٠٩)

٥ . وكره الامام (ع) اتصاف الانسان بما يلي من الصفات قال ٧ : « أربعة اسرع شيء عقوبة : رجل أحسنت إليه ، ويكافيك بالاحسان إليه اساءة ، ورجل لا تبغي عليه ، ويبغي عليك ، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ، ومن أمره الغدر بك ، ورجل يصل قرابته ويقطعونه .. » (٤١٠)

٦ . وحذر الامام (ع) من شرب الخمر الذي هو من أعظم المحرمات قال (ع) : « إن مدمن الخمر كعابد وثن ، ويورثه الارتعاش ، ويهدم مروءته ، ويحمله على التجسر على المحرمات من سفك الدماء ، وركوب الزنا .. » (٤١١)

إن الخمر مصدر لكل رذيلة وموبقة ، وهو من الآفات الاجتماعية ، التي تسبب فقدان الشرف ، والوقوع في جميع المحرمات ، اما اضراره الجسمية فقد تحدثنا عنها في بعض مؤلفاتنا.

(٤٠٩) تحف العقول (ص ٢٩٤) .

(٤١٠) الخصال (ص ٢١٠) .

(٤١١) البحار ١٦ / ٧٧١ .

٧. وذم الامام (ع) الفاحش بقوله : « ان الله يبغض الفاحش المتفحش » (٤١٢).

الغيبة والبهتان :

وفرق الامام (ع) بين الغيبة والبهتان بقوله : « من الغيبة أن تقول : في أخيك ما ستره الله عليه ، فاما الأمر الظاهر منه مثل الحدة والعجلة فلا بأس أن تقوله ، وان البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه .. » (٤١٣)

الغضب وعلاجه :

وحذر الامام (ع) من الغضب ووضع له علاجا قال (ع) : « ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم ، وان أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ، ودخل الشيطان فيه ، فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض ، فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك. » (٤١٤)

وقد شدد الامام أبو جعفر في أمر الغضب ، وحذر من عواقبه قال الامام الصادق (ع) : كان أبي يقول : أي شيء اشد من الغضب ، ان الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ، ويقذف المحصنة (٤١٥).

وقال الامام ابو جعفر (ع) : « إن الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار .. » (٤١٦)

(٤١٢) تحف العقول (ص ٢٩٦).

(٤١٣) تحف العقول (٢٩٨).

٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ جامع السعادات ١ / ٢٨٩.

العجب :

قال (ع) : « عجباً للمختال الفخور ، انما خلق من نطفة ثم يعود جيفة ، وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به » .

أدعيته :

وفي أدعية أئمة أهل البيت (ع) تراث رائع ، ومناجم اخاذة تكمن فيها جواهر الحكم والآداب وهي تمثل مدى اتجاه الأئمة (ع) نحو الله ، واتصالهم به ، وانقطاعهم إليه ، كما تمثل الرصيد الروحي الذي يملكونه من النسك والتقوى والحريجة في الدين ، وبالإضافة لذلك فانها من الثروات الكبرى للاخلاق والفلسفة وعلم الكلام ، .. وقد اثرت عن الامام أبي جعفر (ع) كثير من الادعية ، وهذه بعضها :

١ . روى هذا الدعاء أبو حمزة الثمالي عن الامام أبي جعفر ، وكان يسميه (بالجامع) وقد جاء فيه بعد البسمة « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، آمنت بالله وبجميع رسول الله وبجميع ما أنزل به رسل الله ، وإن وعد الله حق ، ولقائه حق ، وصدق الله ، وبلغ المرسلون ، والحمد لله رب العالمين ، وسبحان الله كلما سبح الله شيء ، وكما يحب الله أن يسبح ، والحمد لله كلما حمد الله شيء ، وكما يحب الله أن يحمد ، ولا إله إلا الله كلما هلى الله شيء ، وكما يحب الله أن يهلل ، والله أكبر كلما كبر الله شيء ، وكما يحب الله أن يكبر .

اللهم : اني اسألك مفاتيح الخير ، وخواتمه ، وشرائعه وسوابقه ، وفوائده وبركاته ، وما بلغ علمه علي ، وما تصر عن احصائه حفظي ، اللهم انهج لي أسباب معرفته ، وأفتح لي أبوابه ، وغشني بركات رحمتك ،

ومنّ عليّ بعصمة من الشيطان الرجيم وما يريدني عن الازالة عن دينك ، وطهر قلبي من الشك ، ولا تشغل قلبي بدنياي ، وعاجل معاشي عن أجل ثواب آخرتي واشغل قلبي بحفظ ما لا تقبل مني جهله ، وذلك لكل خير لساني وطهر قلبي من الرياء ، ولا تجره في مفاصلي ، واجعل عملي خالصا لك .

اللهم : إني اعوذ بك من الشر وأنواع الفواحش كلها ظاهرها وباطنها وغفلاتها وجميع ما يريدني به السلطان العنيد مما أحطت بعلمه وأنت القادر على صرفه عني ... اللهم إني أعوذ بك من طوارق الجن والانس وزوابعهم وتوابعهم ، وبوائقهم ، ومكايدهم ، ومشاهد الفسقة من الجن والانس وان استزل عن ديني فتفسد علي آخرتي ، ويكون ذلك منهم ضررا عليّ في معاشي ، أو بعرض بلاء يصيبني منهم لا قوة لي به ، ولا صبر لي على احتماله ، فلا تبتلني يا الهي بمقاساته فيمنعني ذلك من ذكرك ، ويشغلني عن عبادتك ، أنت العاصم المانع ، والدافع الواقي من ذلك كله ، واسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما أبقيتني في معيشة أقوى بها على طاعتك ، وأبلغ بها رضوانك ، وأصير بها منك الى دار الحيوان غدا ، ولا ترزقني رزقا يطغيني ، ولا تبتلني بفقر اشقى به مضيقا علي اعطني حظا وافرا في آخرتي ، ومعاشا واسعا هنيئا مريئا في دنياي ، ولا تجعل الدنيا عليّ سجنا ، ولا تجعل فراقها علي حزنا ، اخرجني من فتنها مرضيا عني ، واجعل عملي فيها مقبولا ، وسعي فيها مشكورا .

اللهم من أرادني بسوء فارده بمثله ومن كادني فيها فكده ، واصرف عني همّ من ادخل عليّ همه ، وامكر بمن مكر بي فانك خير الماكرين ، وافقا عني عيون الكفرة والظلمة ، والطغاة الحسدة ، اللهم وانزل علي منك

السكينة والوقار ، والبسني درعك الحصينة ، واحفظني بسترک الواقی ، واجعلني في عافيتك النافعة ، وصدق قولی وفعالي ، وبارک لي في ولدي واهلي ، ومالي ، وما قدمت وأخرت ، وما اغفلت ، وما تعمدت ، وما توانيت ، وما اسررت ، فاغفر لي برحمتك يا أرحم الراحمين .. » (٤١٧)

ويكشف هذا الدعاء عن مدى انقطاع الامام الى الله ، وشدة اتصاله به ، فقد ألجأ جميع أموره إليه ، واستعاذ به من فتن الدنيا ، وغرورها ، خوفا ان تصده عن ذكره تعالى .
٢ . روى الربيع عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الامام أبي جعفر ٧ انه قال له :
« إلا أعلمك دعاء لا ندعو به نحن أهل البيت اذا اكرنا أمر ، وتخوفنا من شر السلطان إلا قبل لنا به .. »

« بلى بأبي أنت وأمي .. »

« قل : يا كائنا قبل كل شيء ، ويا مكون كل شيء ، ويا باقي بعد كل شيء صل على محمد واهل بيته .. ثم تذكر حاجتك .. » (٤١٨)
وذكرت له ادعية أخرى ، وهي تدلل على مدى روحانيته ، وعظيم اتصاله بخالقه .

الحث على الدعاء :

وحث الامام (ع) على الدعاء الى الله ، قال (ع) : « ان الله كره الحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة ، واحب ذلك لنفسه جل ذكره

(٤١٧) مهج الدعوات (ص ٢١٣ . ٢١٥) .

(٤١٨) مهج الدعوات (ص ٢١٥) .

ان يسأل ، ويطلب ما عنده .. » (٤١٩)

روائع الحكم :

وأثرت عن الامام أبي جعفر (ع) روائع الحكم القصار الحافلة بالقيم الكريمة والحكم الصائبة والتجارب النافعة ، وهذه بعضها :

١. قال (ع) : « إن استطعت أن لا تعامل أحدا إلا ولك الفضل عليه فافعل .. »
٢. قال (ع) : « صانع المنافق بلسانك ، واخلص مودتك للمؤمن ، وان جالسك يهودي فاحسن مجالسته .. »
٣. قال (ع) : « ما شيب شيء بشيء احسن من حلم بعلم .. »
٤. قال (ع) : « قم بالحق ، واعتزل ما لا يعينك ، وتجنب عدوك ، واحذر صديقك من الاقوام ، إلا الأمين من خشى الله ، ولا تصحب الفاجر ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله .. »
٥. قال (ع) : « صحبة عشرين سنة قرابة .. »
٦. قال (ع) : « في كل قضاء الله خير للمؤمن .. »
٧. قال (ع) : « من لم يجعل الله له من نفسه واعظا فان مواعظ الناس لن تغني عنه شيئا .. »
٨. قال (ع) : « من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه. »
٩. قال (ع) : « كم من رجل لقي رجلا فقال له : اكب الله عدوك ، وماله من عدو الا الله. »
١٠. قال (ع) : « ما عرف الله من عصاه ، وانشد.
تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع

(٤١٩) تحف العقول.

لو كان حبك صادقا لأطعته ان المحب لمن أحب مطيع
١١ . قال (ع) : « إنما مثل الحاجة الى من اصاب مالا حديثا . يعني به
مستحدث النعمة . كمثل الدرهم في فم الأفعى أنت إليه محوج ، وأنت منها على خطر ..
»

١٢ . قال (ع) : « اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك .. »

١٣ . قال (ع) : « الايمان حب وبغض .. »

١٤ . قال (ع) : « أربع من كنوز البر كتمان الحاجة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان
الوجع ، وكتمان المصيبة .. »

١٥ . قال (ع) : « من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ،
ومن حسن بره في أهله زيد في عمره . »

١٦ . قال (ع) : « من استفاد اخا في الله على ايمان بالله ووفاء باخائه طلبا
لمرضات الله فقد استفاد شعاعا من نور الله ، وامانا من عذاب الله وحجة يفلج بها يوم
القيامة ، وعزا باقيا ، وذكرنا ناميا لأن المؤمن من الله عز وجل لا موصول ، ولا مفصول ،
قيل له : ما معنى لا موصول ، ولا مفصول؟ قال (ع) : لا موصول به انه هو ، ولا مفصول
منه ، انه من غيره .. »

١٧ . قال (ع) : « كفى بالمرء غشا لنفسه ان يبصر من الناس ما يعمى عليه من
أمر نفسه أو يعيب غيره بما لا يستطيع تركه ، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه .. »

١٨ . قال (ع) : « التواضع : الرضا بالمجلس دون شرفه ، وان تسلم على من لقيته
، وان تترك المرء ، وان كنت محقا .. »

١٩ . قال (ع) : « إن المؤمن اخو المؤمن ، لا يشتمه ، ولا يحرمه ،

ولا يسيء به الظن .. »

٢٠ . قال (ع) : « من قسم له الخرق (٤٢٠) حجب عنه الايمان .. »

٢١ . قال (ع) : « ان لله عقوبات في القلوب ، والابدان ، ضنك في المعيشة ،

ووهن في العبادة ، وما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب .. »

٢٢ . قال (ع) : « اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الصابرون؟ فيقوم فقام (٤٢١) من

الناس ، ثم ينادي مناد اين المتصبرون؟ فيقوم فقام من الناس ، فقيل له :

« ما الصابرون والمتصبرون؟ »

قال (ع) : الصابرون على اداء الفرائض ، والمتصبرون على ترك المحارم .. »

٢٣ . قال (ع) : « يقول الله : يا ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك تكن من أروع

الناس .. »

٢٤ . قال (ع) : « أفضل العبادة عفة البطن والفرج .. »

٢٥ . قال (ع) : « الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب أحدهما تبعه

صاحبه .. »

٢٦ . قال (ع) : « ان هذه الدنيا تعاطاها البر والفاجر ، وان هذا الدين لا يعطيه

الله إلا أهل خاصته .. »

٢٧ . قال (ع) : « إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ، ولا يعطي دينه إلا من

يحب .. »

(٤٢٠) الخرق : ضعف العقل.

(٤٢١) الفتام : الجماعة من الناس.

- ٢٨ . قال (ع) : « لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحدًا ، ولو يعلم المسئول ما في المنع ما منع أحد أحدًا .. »
- ٢٩ . قال (ع) : « إن لله عبادة ميامين مياسير يعيشون ، ويعيش الناس في أكنافهم وهم في عباده مثل القطر ، والله عبادة ملاعين مناكيد لا يعيشون ، ولا يعيش الناس في أكنافهم ، وهم في عباده مثل الجراد لا يقعون على شيء إلا أتوا عليه .. »
- ٣٠ . قال (ع) : « ان الله يحب افشاء السلام .. » (٤٢٢)
- ٣١ . قال (ع) : « لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان .. » (٤٢٣)
- ٣٢ . قال (ع) : « اللهم اعني على الدنيا بالغنى ، وعلى الآخرة بالتقوى » (٤٢٤).
- ٣٣ . قال (ع) : « لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره .. » (٤٢٥)
- ٣٤ . قال (ع) : « سلاح اللئام قبيح الكلام .. » (٤٢٦) ونظم بعض الشعراء هذه الحكمة الرائعة بقوله :

لقد صدق الباقر المرتضى سليل الامام ٧
بما قال : في بعض الفاظه قبيح الكلام سلاح اللئام (٤٢٧)

(٤٢٢) هذه الحكم القيمة أخذت من تحف العقول (ص ٢٩٢ - ٣٠٠).

(٤٢٣) البداية والنهاية ٩ / ٣١٠.

(٤٢٤) البيان والتبيين ٣ / ٢٢٢.

(٤٢٥) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ / ٣٠٠.

(٤٢٦) حلية الأولياء ٣ / ١٨٤ ، صفة الصفوة ٢ / ٦١.

(٤٢٧) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٥٣).

٣٥ . قال (ع) : « الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذآكر . »
(٤٢٨)

٣٦ . قال (ع) : « اشد الاعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، وانصافك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال .. » (٤٢٩)

٣٧ . قال (ع) : « لا يكون المعروف معروفا إلا باستصغاره وتعجيله وكتمانه »
(٤٣٠).

٣٨ . قال (ع) : « ان من الصدق في السنة التجافي في الدين لأهل المروءات »
(٤٣١).

٣٩ . قال (ع) : « ما احسن الحسنات بعد السيئات ، وما اقبح السيئات بعد الحسنات .. » (٤٣٢)

٤٠ . قال (ع) : « من اصاب مالا من أربع لم يقبل منه في أربع ، من اصاب مالا من غلول أوربا أو خيانة أو سرقة ، لم يقبل منه في زكاة ، ولا في صدقة ولا في حج ، ولا في عمرة .. » (٤٣٣)

٤١ . قال (ع) : « لا يقبل الله عز وجل حجاً ولا عمرة من مال

(٤٢٨) حلية الأولياء ٣ / ١٨١ ، صفة الصفوة ٢ / ٦٠ ، سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٤٢ ، مرآة الزمان ٥ / ٧٨ .

(٤٢٩) حلية الاولياء ٣ / ١٨٣ .

(٤٣٠) الاخبار الموقيات (ص ٤٠٠) .

(٤٣١) المردة للمرزياني ٢ / ب ، من مصورات مكتبة العلامة السيد مهدي الخرسان .

(٤٣٢) أمالي الصدوق (ص ٢٢٤) .

(٤٣٣) أمالي الصدوق (ص ٢٩٦) .

حرام .. « (٤٣٤)

٤٢ . قال (ع) : « من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه . » (٤٣٥)

٤٣ . قال (ع) : « ان الكذب هو حراب الايمان .. » (٤٣٦)

٤٤ . قال (ع) : « كان لي أخ في عيني عظيما ، وكان الذي عظمه صغر الدنيا

في عينيه .. » (٤٣٧)

٤٥ . قال (ع) : لأصحابه يدخل احدكم يده في كيس صاحبه فيأخذ ما يريد؟

فقالوا له : لا ، فقال (ع) : لستم اخوانا كما تزعمون . (٤٣٨)

٤٦ . قال (ع) : « شر الآباء من دعاه البر الى الافراط ، وشر الأبناء من دعاه

التقصير الى العقوق .. » (٤٣٩)

٤٧ . قال (ع) : « عظموا أصحابكم ، ووقروهم ، ولا يتهجم بعضكم على بعض ..

« (٤٤٠)

٤٨ . قال (ع) : « ما من نكبة تصيب العبد الا بذنب .. » (٤٤١)

(٤٣٤) أمالي الصدوق (ص ٢٩٦) .

(٤٣٥) أمالي الصدوق (ص ٢٩٦) .

(٤٣٦) اصول الكافي ٢ / ٣٣٩ .

(٤٣٧) مرآة الجنان ١ / ٢٤٨ .

(٤٣٨) صفة الصفوة ٢ / ٦٣ .

(٤٣٩) تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٣ .

(٤٤٠) اصول الكافي ٢ / ١٧٣ .

(٤٤١) اصول الكافي ٢ / ٢٦٩ .

- ٤٩ . قال (ع) : « إن الله قضى قضاء حتماً ألا ينعم على العبد نعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة .. » (٤٤٢)
- ٥٠ . قال (ع) : « لو صمت النهار لا افطر ، وصليت الليل لا أفتر ، وانفقت مالي في سبيل الله علقا ، علقا ، ثم لم تكن في قلبي محبة لاوليائه ، ولا بغضة لاعدائه ما نفني ذلك شيئاً ... » (٤٤٣)
- ٥١ . سأل زرارَةَ الامام أبي جعفر (ع) قال له : ما الحنيفية؟ قال ٧ : هي الفطرة التي فطر الناس عليها ... فطرهم على معرفته .. » (٤٤٤)
- ٥٢ . قيل للامام أبي جعفر (ع) : أتعرف شيئاً خيراً من الذهب؟ قال (ع) : نعم معطيه (٤٤٥).
- ٥٣ . قال (ع) : بلية الناس علينا عظيمة ، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا .. » (٤٤٦)
- ٥٤ . قال (ع) : « ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج .. » (٤٤٧)
- ٥٥ . قال (ع) : « اصبر للنوائب ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تعط أحداً من نفسك ما ضره عليك أكثر من نفعه .. » (٤٤٨)

(٤٤٢) اصول الكافي ٢ / ٢٧٣ .

(٤٤٣) تاريخ يعقوبي ٣ / ٦١ .

(٤٤٤) البحار ١٢ / ٨٧ .

(٤٤٥) تاريخ يعقوبي ٣ / ٦١ .

(٤٤٦) اعلام الورى (ص ٢٧) .

(٤٤٧) جامع السعادات ٢ / ١٦ .

(٤٤٨) تاريخ يعقوبي ٣ / ٦١ .

- ٥٦ . قال (ع) : « شيعتنا من أطاع الله .. » (٤٤٩)
- ٥٧ . قال (ع) : « بئس الأخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا .. » (٤٥٠)
- ٥٨ . قال (ع) : « ليس في الدنيا شيء أعون من الاحسان الى الاخوان. » (٤٥١)
- ٥٩ . قال (ع) : « من أعطي الخلق والرفق فقد أعطي الخير والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرهما كان ذلك سبيلا الى كل شر وبلية الا من عصمه الله .. » (٤٥٢)
- ٦٠ . قال (ع) : « ما يضر من عرفه الله الحق ان يكون على قلة جبل يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت .. » (٤٥٣)
- ٦١ . قال (ع) : « اذا دخل أهل الجنة ، الجنة بأعمالهم ، فاين عتقاء الله من النار ، ان لله عتقاء من النار .. » (٤٥٤)
- ٦٢ . قال (ع) : « لا خير فيمن لا تقية له .. » (٤٥٥)
- ٦٣ . قال (ع) : « إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا فانظر الى قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ، ويبغض أهل معصيته ففبك خير ، والله يحبك ، وان كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل

(٤٤٩) نور الابصار للشبلنجي (ص ١٣١).

(٤٥٠) نور الابصار (ص ١٣١).

(٤٥١) اسعاف الراغبين (ص ٣١٦).

(٤٥٢) البداية والنهاية ٩ / ٣١١.

(٤٥٣) التحصين (ص ٢٢٥) لاحمد بن فهد الحلبي.

(٤٥٤) الدر النظيم (ص ١٩١).

(٤٥٥) علل الشرائع (ص ٥١).

معصيته فليس فيك خير ، والله ييغضك ، والمرء مع من أحب .. » (٤٥٦)

٦٤ . قال (ع) : « إن من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق ، والنذر في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى .. » (٤٥٧)

٦٥ . قال (ع) : « إذا شيع البطن طغى .. » (٤٥٨)

٦٦ . قال (ع) : « ما من شيء أبغض الى الله من بطن مملؤ .. » (٤٥٩)

٦٧ . قال (ع) : « من طلب الدنيا استعفافا عن الناس ، وسعيا على أهله وتعطفها على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ، ووجهه مثل القمر ليلة البدر » (٤٦٠).

٦٨ . قال (ع) : « إن حديثنا صعب مستصعب ، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للأيمان .. » (٤٦١)

٦٩ . قال (ع) : « اني لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله. » (٤٦٢)

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض كلماته الحكمية التي تمثل اصالة الفكر والابداع.

(٤٥٦) علل الشرائع (ص ١١٧).

(٤٥٧) مجمع البيان ١ / ٢٥٢.

(٤٥٨) جامع السعادات ٢ / ٥.

(٤٥٩) جامع السعادات ٢ / ٥.

(٤٦٠) جامع السعادات ٢ / ٢١.

(٤٦١) اعلام الوری.

(٤٦٢) شرح النهج ٧ / ٩٢.

نظمه للشعر :

ولم تنص المصادر المترجمة للإمام أبي جعفر (ع) على أنه كان ينظم الشعر ، وإنما نصت على أنه فتق أبوابا كثيرة من العلوم ، واسب معظم قواعدها ، وانه ممن أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، غير أن السيد علي صدر المدني نسب له هذه الأبيات :

عجبت من معجب بصورته وكان من قبل نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته يصير في القبر جيفة قذرة
وهو على عجبه ونخوته ما بين جنبه يحمل العذرة (٤٤٣)
وسواء أصح أن الامام (ع) كان ينظم الشعر أم لم يصح فان . من المقطوع به . انه كان في طليعة البلغاء ، وقد دلت على ذلك المجموعة الضخمة من كلماته الحكيمية التي هي من الطراز الأول في فصاحتها وبلاغتها.

وقبل أن أطوي الحديث عن مواهب الامام أبي جعفر (ع) أرى من الحق أن ابين اني لم اذكر الا نماذج يسيرة ، وصورا موجزة من علومه ومعارفه وحكمه ، ولا أزعم أنني احطت بها أو الممت ببعضها ، فذلك من غير الممكن لي ، فقد تركت الباب مفتوحا لغيري من البحاث للكشف عنها وعن ، سائر جوانب حياته المشرقة التي هي امتداد ذاتي لحياة آبائه العظام الذين اضاءوا الحياة الفكرية للناس.

(٤٦٣) أنوار الربيع ٦ / ٣٠٠.

مع كثير عزة : والكميت

وكانت للشاعرين الشهيرين كثير عزة ، والكميت الأسدي اتصالات وثيقة بالامام أبي جعفر فكلاهما يدينان بإمامته ، ووجوب طاعته ، والانقطاع إليه ، وقد شاع ذلك عنهما ، وعرفا به عند جميع الأوساط ، ونعرض . بايجاز . لبعض شئونهما ، ومدى ارتباطهما بالامام (ع) :

كثير عزة :

أما كثير عزة فهو أبو حمزة الخزاعي المدني ، أحد عشاق العرب المشهورين هام بحب عزة بنت جميل ، وله معها أخبار كثيرة ، ذكرها المعنيون بترجمته ، وكان في مواهبه الشعرية أشعر أهل الاسلام . كما يقول ابن اسحاق .^(١)

ولاؤه لأهل البيت (ع) :

كان كثير شديد الولاء لأهل البيت (ع) متعصبا لهم ، ولم يخف تشييعه على الامويين ، فقد أقسم عليه عبد الملك بن مروان بحق الامام أمير المؤمنين (ع) أن يحدثه هل رأى أحدا هو اعشق منه؟ فقال له كثير : لو سألتني بحقك أخبرتك ، فأقسم عليه ، فأخبره عن غرام بعض العشاق^(٢).

مع الامام الباقر :

كان كثير يكن في اعماق نفسه خالص الحب والولاء للإمام أبي جعفر ٧ ويدين بامامته وفضله ، ويقول المؤرخون : ان رجلا نظر إليه وهو راكب ، والامام أبو جعفر (ع) يمشي فانكر عليه ذلك

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة (ص ٥٨٧) .

(٢) وفيات الاعيان ٣ / ٢٦٦ .

وقال له :

« اتركب وأبو جعفر يمشي !!؟ »

فاجابه كثير جواب المؤمن بدينه ، المتبصر في عقيدته قائلاً :

« هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب أفضل من عصياني اياه بالمشي .. »

(٣)

ودلت هذه البادرة على حسن أدبه ، وكمال عقيدته ، فان طاعة الامام واجبة ليس الى مخالفتها من سبيل.

مدحه لبني مروان :

واختص كثير ببني مروان فكانوا يعظمونه ويكرمونه (٤) ونظم في مدحهم عدة قصائد ذكرت في (ديوانه) الا انه لم يكن في مدحه لهم جادا ، ولا مؤمنا بما يقول ، وإنما مدحهم طمعا بأموالهم وهباتهم ، وكان يسخر منهم فكان يشبههم بالحيات والعقارب ، فقد روى المؤرخون أنه وفد على الامام أبي جعفر (ع) فقال (ع) له :

« تزعم أنك من شيعتنا ، وتمدح آل مروان !!؟ »

فأنبرى كثير قائلاً :

« إنما أسخر منهم ، وأجعلهم حيات ، وعقارب ، ألم تسمع الى قولي في عبد

العزير بن مروان :

وكنت عتبت معتبة فلججت بي الغلواء في سن العقاب
ويرقيني لك الراقون حتى أجابك حية تحت الحجاب

وفهم ذلك عبد الملك فقال لأخيه عبد العزيز : ما مدحك ، انما

(٣) أمالي المرتضى ١ / ٢٨٣ .

(٤) الاعلام ٦ / ٧٢ .

جعلك راقيا للحيات ، ونقل لي ذلك عبد العزيز فقلت له : والله لأجعلنه حية ، ثم لا ينكر ذلك فقلت فيه :

يقلب عيني حية بمجارة أضاف إليها الساريات سبيلها
يصيد ويغضي وهو ليث خفية إذا أمكنته عدوة لا يقيلها
ولما تلوت ذلك على عبد الملك اجزل لي بالعطاء ، وخفي عليه ما قصدته (٥) فلم
يكن كثير في مديحه لبني مروان جادا ، ولا مؤمنا بما يقول : وانما كان ساخرا وهازء ،
فقد خادعهم ليكسب منهم الأموال التي اختلسوها بغير حق ، ولم تكن له مندوحة لأخذ
شيء منها الا بهذه الوسيلة.

وفاته :

توفى سنة (١٠٥ هـ) وقد توفى في اليوم الذي توفى فيه عكرمة وصلي عليهما في
موضع واحد بعد الظهر ، فقال الناس : مات أفقه الناس ، واشعر الناس (٦) وقد شيع
بتشييع حافل ، وكان من جملة المشيعين لجنائزه الامام أبو جعفر (ع).

رواية موضوعة :

وذكر بعض المؤرخين رواية . فيما نحسب . أنها من الموضوعات فقد رواها عن يزيد
بن عروة أنه قال : غلبت النساء على جنازة كثير ، وهن يبكينه ، ويدكرن عزة في نديتهن ،
فقال أبو جعفر محمد بن علي : افرجوا لي عن الجنازة لأدفعها ، قال : فجعلنا ندفع عنها
النساء ، وجعل أبو جعفر يضربهن بكمه ، ويقول : تنحين يا صويحبات ، يوسف ،
فانتدبت

(٥) اخبار شعراء الشيعة (ص ٦٢) .

(٦) وفيات الاعيان ٣ / ٢٦٩ .

امرأة منهن ، واقبلت على الامام فقالت له : يا ابن رسول الله لقد صدقت انا لصويحبات يوسف ، وقد كنا خيرا منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى نجىء ، فلما فرغوا من دفن جنازة كثير جيء له بالمرأة فقال (ع) لها :

« أنت القائلة : إنكن خير منا؟ .. »

« نعم ، تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله؟ .. »

« أنت آمنة من غضبي فاييني .. »

« نحن يا ابن رسول الله دعونا الى اللذات من المطعم والمشرب ، والتمتع ، وانتم معاشر الرجال القيتموه في الجب ، ويعتموه بأبخس الاثمان ، وحبستموه في السجن ، فأينا كان به لحن ، وعليه أراف؟ .. »

وابدى الامام اعجابه بها فقال لها :

« لله درك لن تغالب امرأة الا غلبت ، ثم قال لها الك بعل؟ .. »

« لي من الرجال من أنا بعله .. »

« صدقت مثلك من تملك زوجها ، ولا يملكها .. »

وانصرفت المرأة ، فقال رجل من القوم وكان يعرفها : هذه زينب بنت معيقب الانصارية (٧).

والذي يواجه هذه الرواية من المؤاخذات ما يلي :

١ . ما معنى تجمهر السيدات من النساء حول جثمان كثير ، واحاطتهن به حتى صعب على الامام الوصول إليه ، فاضطر حتى أمر بكشفهن عنه ، مع العلم أن المرأة لم يعهد انها تشترك في مثل هذه المراسيم ، فقد امرت أن تقرر في بيتها.

(٧) الدرجات الرفيعة (ص ٥٩٠).

٢ . ومما يدعو الى الاطمئنان بوضع الرواية تهجم الامام على السيدات اللاتي ازدحمن على جنازة كثير ، فانه (ع) كان المثل الأعلى للآداب الرفيعة والاخلاق الفاضلة ، ومن المستحيل أن تصدر منه أية كلمة نابية.

٣ . ومما يدعم وضع الرواية هو الحوار الذي دار بين الامام ، وبين السيدة الانصارية وسؤاله منها انها لها زوج وهل يتناسب مع قدسية الامام والحق انها الى الخيال اقرب منه الى الواقع ، .. وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ترجمة كثير (٨).

الكميت الاسدي :

الكميت بن زيد بن خنيس (أبو المستهل) الأسدي ، شاعر الاولين والآخرين . على حد تعبير الفرزدق . (٩) ولو لا شعره لم يكن للغة ترجمان ، ولا للبيان لسان . حسبما يقول عكرمة الضبي . (١٠). وهو في طليعة رجال الفكر والأدب في عصره ، وقد ساهم مساهمة ايجابية في تطور الثقافة العربية وازدهار الحركة العلمية في الاسلام ، ونعرض لبعض البنود المشرفة من جوانب حياته.

ولادته ونشأته :

ولد الكميت سنة (٦٠ هـ) وهي السنة التي فجعت بها الأمة الاسلامية

(٨) توجد ترجمة كثير في كل من الاغاني ٨ / ٢٥ ، وشذرات الذهب ١ / ١٣١ ، وسير اعلام النبلاء ، وخزانة البغدادي ٢ / ٣٨١ ، ومعجم الشعراء للمرزباني (ص ٣٥٠) واخبار الشيعة (٦٢) ووفيات الاعيان ٣ / ٢٦٥ . ٢٧٠ .

(٩) الاغاني ١٥ / ١١٥ .

(١٠) روضات الجنات ٦ / ٥٩ .

بقتل سيد الشهداء الامام الحسين (ع) ^(١١) وقد انطبعت في نفسه صورة تلك المأساة المروعة وأخذت تتفاعل مع مشاعره وعواطفه ، وظهر أثر ذلك في شعره الحزين الذي يرثي به الامام الحسين (ع).

أما نشأته فقد نشأ بالكوفة التي هي عاصمة الشيعة ، وينبوع التشيع ، ومنجم الثورات على بني أمية ، وتربى على حب أهل البيت (ع) فكان حبه من عناصره ، ومقوماته.

مواهبه :

كان الكمييت من أفذاذ التأريخ ، ومن اعلام الأمة العربية ، وكان يتمتع بمواهب شريفة وصفات رفيعة ، عدها بعضهم بعشر خصال قال : « كان في الكمييت عشر خصال لم تكن في شاعر ، كان خطيب أسد ، وفقه الشيعة ، حافظ القرآن العظيم ، ثبت الجنان ، وكان كاتباً حسن الخط ، وكان نسابه ، وكان جدلاً ، وهو أول من ناظر في التشيع ، وكان رامياً لم يكن في بني اسد أرمى منه ، وكان فارساً شجاعاً ديناً ، وكان مشهوراً في التشيع مجاهراً في ذلك .. » ^(١٢)

وهذه الصفات قد رفعتة الى القمة ، وميزته على جميع ادباء عصره.

شعره :

اما شعره فهو من مناجم الأدب العربي ، ومن أروع ما قاله شعراء العرب على الاطلاق ، فلم يكن في شعره يميل الى الدعابة والمجون ، وبذلك فقد فارق شعراء العصر الاموي والعباسي الذين اتجهوا بمواهبهم الفكرية والادبية الى اللهو والعبث وفساد الاخلاق.

(١١) الغدير ٢ / ٢١١ .

(١٢) خزانة الأدب ١ / ٩٩ .

اما الكميت فقد صرف فكره الى ساداته من بني هاشم ، فاخذ ينشر مآثرهم ،
ويذيع فضائلهم بأروع ما نظم في الأدب العربي .

ويقول المؤرخون : كان الكميت لا يذيع شعره بين الناس حتى يرضى به ، ويطمئن
إليه ، فلذا كان لوحة فنية تحكي الابداع والفن والفكر ، أما هاشمياته ، فقد كبرت عن
التحديد والتقييم ، وقد ضمنها الاستدلال على مذهبه الذي لا يقبل الجدل والتشكيك ،
وكانت هاشمياته احدى الوسائل الثقافية في تلك العصور لما فيها من الخصب وغزارة
الفكر والادب ، وكانت تروى في الاندية ، والمجالس ويحفظها الناس .

الكميت مع الفرزدق :

ويروي المؤرخون أن الكميت لما نظم (الهاشميات) سترها ولم يذعها بين الناس ،
ورأى أن يعرضها على شاعر العرب الأكبر الفرزدق بن غالب ليرى رأيه فيها ، فقصده ،
وبعد أن استقر به المجلس قال له :

- يا أبا فراس ، إنك شيخ مضر ، وشاعرها ، وأنا ابن اخيك الكميت ابن زيد
الأسدي .

. صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك؟

- نفث على لساني ، فقلت : شعرا فأحببت أن أعرضه عليك ، فان كان حسنا
أمرتني باذاعته ، وإن كان قبيحا أمرتني بستره ، وكنت أول من ستره علي

وعجب الفرزدق من حسن أدبه ، فطفق يقول له :

- أما عقلك فحسن ، واني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فانشدني ما

قلت : وانبرى الفرزدق يتلو عليه رائعته قائلا :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب

وقطع الفرزدق عليه كلامه قائلاً : فيم تطرب يا ابن أخي؟! فقال :
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب؟!
وراح الفرزدق يقول : بلى يا ابن أخي فالعب ، فانك في أوان اللعب ، فقال :
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب
وأكبر الفرزدق هذا الشعر ، وانطلق يقول : ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال :
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
فقال الفرزدق : اجل لا تتطير فقال الكميت :
ولكن الى أهل الفضائل والتقوى وخير بني حواء والخير يطلب
واهتر الفرزدق من روعة هذا الادب العالي فراح يقول :
« من هؤلاء؟ ويحك. »
قال الكميت :
الى نفر البيض الذين يحبهم الى الله فيما نابني اتقرب
واستولى الكميت على مشاعر الفرزدق وعواطفه فصاح :
« ارحني ويحك من هؤلاء؟! » قال الكميت :
بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وملك هذا الشعر احاسيس الفرزدق ، وانطلق يقول :
« يا ابن أخي ، اذع ، ثم اذع ، فأنت والله اشعر من مضى ، وأشعر من بقي » (١٣).

(١٣) الاغاني ١٥ / ١٢٤.

مميزات شعره :

ويمتاز شعر الكميت بأنه كان مسرحاً للقيم الدينية التي تعبر اصدق التعبير عن عواطفه تجاه ساداته بني هاشم الذين اخلص لهم في مودته وحبه ، وفقد فرضت عليه ذلك الأدلة الشرعية التي لا تقبل الجدل والنقاش أما الظواهر التي امتاز بها شعره ، فمن بينها .

١ . ان شعره في بني هاشم لم يكن عاطفياً ، وانما قام على الجدل والاقناع ، يقول شوقي ضيف : « وهكذا لم يعد الشعر عند الكميت يعبر عن الشعور فحسب ، بل اصبح يعبر أيضاً عن الفكر ، وأصبح يشفع بكل ما وصل إليه العقل العربي في هذا العصر من قدرة على الجدل والاقناع »^(١٤) « بل لعل تعبيره عن الفكر أهم من تعبيره عن العواطف »^(١٥) وهذه لوحة من احدى روائعه التي تمثل هذا الاتجاه :

وقالوا : ورثناها أباناً وأمناً ومما ورثتهم ذاك أم ولا أب
يرون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً وحق الهاشميين أوجب^(١٦)

وشجب الكميت بهذين البيتين دعوى الذين انتحلوا الخلافة ، وفرضوا لهم حقاً على الناس لأنهم من قريش أسرة النبي (ص) فان هذه الجهة التي توصلوا بها الى الخلافة قد توفرت في آل البيت (ع) على اكمل صورها فهم الصق الناس به ، واقربهم إليه ... ويأخذ الكميت بعد هذين البيتين في الثناء على الرسول الاعظم (ص) ثم يعرج على ما ذهب إليه من أحقية آل البيت (ع) بالخلافة فيقول :

(١٤) التطور والتجديد (ص ٢٤١) .

(١٥) التطور والتجديد (ص ٢٤٠) .

(١٦) الهاشميات (ص ٤١ - ٤٢) .

يقولون : لم يورث ولو لا تراثه لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعك ولخم والسكون وحمير وكندة والحيان بكر وتغلب^(١٧)
وقد أراد بهذين البيتين ابطال ما زعموه أن النبي (ص) لم يورث فان كان ذلك حقا
فان القبائل المذكورة لها نصيب في الخلافة بل كانت الناس فيها سواء . حسبما يقول
شارح الهاشميات . ولا وجه لاختصاص قريش بها ، وهو منطوق رصين يقوم على المنطق
والفكر ... لقد كان الكميت بهذا الاستدلال فقيها فقد صاغ شعره صياغة العالم الفقيه
الذي يعرف كيف يناقش المسائل ، ويثبتها ويدلل عليها . كما يقول الدكتور يوسف خليف
.(١٨).

٢ . وأقام الكميت شعره في مدح بني هاشم على الاستشهاد بآيات من القرآن
الكريم تدلل على ما ذهب إليه ، يقول مخاطبا بني هاشم :
وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقى ومعرب
وفي غيرها آيا وآيا تتابعت لكم نصب فيها الذي الشك منصب^(١٩)
انه يشير في البيت الأول الى قوله تعالى : (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى**) (٢٠).

وفي البيت الثاني الى قوله تعالى : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) (٢١) وقوله تعالى : (**وَأْتِ ذَا**

(١٧) الهاشميات (ص ٤٢) .

(١٨) حياة الشعر في الكوفة (ص ٧١٣) .

(١٩) الهاشميات (ص ٤٠) .

(٢٠) سورة الشورى : آية ٢٣ .

(٢١) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

الْقُرْبَى حَقَّهُ) (٢٢) وقوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَى) (٢٣).

لقد دعم الكميت ما ذهب إليه في فضل ساداته بني هاشم بآيات من القرآن الكريم
« الذي (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) فهو حجة قاطعة لا ريب فيه .

٣ . واتسم شعر الكميت في مدحه لأهل البيت (ع) بأنه صادق اللهجة ، قوي
العاطفة ، مبعثه الايمان الخالص الذي لا يشوبه أي عرض من اعراض الدنيا ، فقد كان
يبغي فيه وجه الله والدار الآخرة ويدلل على ذلك قوله :

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نالني أتقرب
لقد اخلص الكميت في هواه وحبه لأهل البيت (ع) لأنه لم ير وسيلة تقربه الى الله
زلفى سوى الاخلاص في المودة لهم .

٤ . والظاهرة التي يمتاز بها شعر الكميت في بني هاشم انه لم يستند فيما نظمه
فيهم الى ما يسمعه عنهم من المآثر والفضائل ، وإنما يستند الى مشاهداته فقد عاصرهم ،
ونظر الى مثلهم العليا التي طبق شذاها العالم بأسره ، فهام بها ، شأنه شأن الأحرار الذين
يقدمون الفضيلة ، ويكبرون من اتصف بها ، .. لقد كان شعر الكميت صورة حية يحكي
الواقع المشرق لأهل البيت (ع) الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

هذه بعض مميزات شعر الكميت ، أما الحديث عن مظاهره الفنية فانه يستدعي
الاطالة ، وقد آثرنا الايجاز في أكثر هذه البحوث .

(٢٢) سورة الأسراء : آية ٢٦ .

(٢٣) سورة الانفال : آية ٤١ .

صلايته في عقيدته :

كان الكميت صلب العقيدة ، راسخ الايمان ، قد أقام عقيدته على الواقع العلمي الذي لا يقبل الجدل والنقاش ، فهو شاعر العقيدة الشيعية ، والمعبر عن آرائها ، ومبادئها ويجمع الرواة على أنه اول من فتق باب الاحتجاج للشيعه في هاشمياته ، وانه كان لسانهم ، والمدافع عنهم ، والمحتج لهم ، وقد صورت هاشمياته الجانب الفكري ، والعقائدي للشيعه ، واحاطت . بوضوح . بشئون الامامة التي تعتبر من العناصر الاساسية في مبادئهم .

مع الامام الباقر :

واختص الكميت بالامام أبي جعفر (ع) فكان شاعره الخاص ، وقد تلا عليه بعض هاشمياته وقصائده التي نظمها في حق أهل البيت (ع) فأخذت موقعها من نفس الامام (ع) فشكره ودعا له بالمغفرة والرضوان .

وكان الكميت لا يرى أحدا في هذه الدنيا يستحق الولاء والتقدير غير سيده الامام أبي جعفر (ع) فقد دخل عليه وهو يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم لم يبق إلا شامت أو حاسد
وبقي على ظهر البسيطة واحد فهو المراد وأنت ذاك الواحد (٢٤)

تعطشه لرؤيا الامام :

كان الكميت مقيما في الكوفة ، فاشتد به الوجد الى رؤيا الامام فسافر الى يثرب ، ولما مثل عند الامام تلا عليه قصيدته التي يذكر فيها تعطشه لرؤياه ، يقول فيها :

كم جزت فيك من احواز وايقاع وأوقع الشوق بي قاعا الى قاع

(٢٤) روضات الجنات ٦ / ٥٦ .

يا خير من حملت أنثى ومن وضعت به إليك غدى سيري وايضاعي
أما بلغتك فالآمال بالغلة بنا الى غاية يسعى لها الساعي
من معشر شيعة الله ثم لكم صور إليكم بأبصار واسماعي
دعاة أمر ونهي عن أئمتهم يوصي بها منهم واع الى واعي
لا يسأمون دعاء الخير ربهم أن يدركوا فيلبوا دعوة الداعي (٢٥)
وصورت هذه الابيات عظيم ولائه للامام ، وما عاناه من جهد الطريق ، وعناء
السفر في سبيل رؤيته والالتقاء به.

رثاؤه للحسين :

وكان الكمييت قد ولد في السنة التي استشهد بها أبو الأحرار الامام الحسين (ع)
ولما ترعرع ، وفهم الحياة رأى الناس قد ذهلتهم أهوال تلك المأساة الخالدة في دنيا
الأحزان ، وهم يرددون في انديتهم ومجالسهم ما عاناه ريحانة رسول الله (ص) من فواح
المحن والخطوب ، وقد هزت مشاعره وعواطفه ، وملأت نفسه الما عاصفا ، وقد رثاه
بذوب روحه في كثير من شعره ، ويقول الرواة انه نظم قصيدة في رثاء الحسين ووفد على
الامام أبي جعفر ليتلوها عليه فلما مثل عنده قال له :

. يا ابن رسول الله قد قلت فيكم أبياتا من الشعر : أفتأذن لي في انشادها؟

(٢٥) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (ص ١٨٩) وفي اعيان الشيعة ق ١ / ٤ / ٥١٦ ان هذه الابيات قالها
اخو الكمييت الورد بن زيد الأسدي أمام الامام ابي جعفر ، وليست للكمييت ، وذكر ذلك احمد بن محمد
عياش في مقتضب الأثر (ص ١٣٢) .

. انها ايام البيض ^(٢٦) . التي يكره فيها انشاد الشعر ..

. هي فيكم خاصة.

. هات ما عندك.

فانبرى يقول :

اضحكني الدهر وابكاني والدهر ذو صرف والوان
لتسعة بالطف قد غودروا صاروا جميعا رهنا كفان
وتألم الامام كأشد ما يكون التألم حينما سمع رثاء جده الامام الحسين ، واغرق في
البكاء وبكى معه ولده الامام الصادق (ع) كما بكت العلويات من وراء الخباء ، ولما بلغ
الى قوله :

وسنة لا يتجارى بهم بنو عقيل خير فرسان
ثم علي الخير مولاهم ذكرهم هياج أحزانني
بكي الامام أبو جعفر (ع) أمرّ البكاء ، وذكر له ما اعد الله من الثواب الجزيل لمن
يذكر أهل البيت ، ويحزن لحزنهم ، ولما بلغ قوله :

من كان مسرورا بما مسكم أو شامتا يوما من الآن
فقد ذلتم بعد عز فما ادفع ضيما حين يغشاني

أخذ الامام (ع) بيد الكميت وأخذ يدعو له قائلا :

« اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. »

ولما بلغ قوله :

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني

(٢٦) الايام البيض : يراد بها أيام الليالي البيض ، وهي الثالث عشر والرابع عشر ، والخامس عشر ، وسميت
لياليها بيضا لأن القمر يطلع فيها من أولها الى آخرها.

التفت إليه الامام ، وعرفه بأن الامام المهدي (ع) هو الامام المنتظر الذي يملأ الارض عدلا وقسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا ، وسأله الكميت عن زمان خروجه فقال (ع) : لقد سئل رسول الله (ص) عن ذلك ، فقال : انما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم الا بغتة (٢٧).

الميمية من هاشمياته :

وانشد الكميت بحضرة الامام أبي جعفر (ع) الميمية من هاشمياته ، وهي من أروع الشعر العربي وارقاه فهي تصور . بوضوح . انطباعاته الخاصة عن أهل البيت (ع) تصويرا رائعا يستند الى مشاهداته لمآثرهم الرفيعة ومثلهم العليا ، يقول فيها :

من لقلب متيم مستهام	غير ما صبوة ولا احلام
طارقات ولا اذكار غوان	واضحات الخدود كالآرام
بل هواي الذي أجن وابدي	لبنى هاشم فروع الانام
للقريين من ندى والبعيد	من الجور في عرى الاحكام
والمصيبين باب ما اخطأ الناس	ومرسي قواعد الاسلام
والحماة الكفاة في الحرب ان	لف ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين أن أمحل الناس	فماوى حواضن الأيتام
والوالة الكفاة للأمران طر	ق يتنا بمجهض أو تمام
والأساة الشفاة للداء ذي	الريية والمدركين بالاوغام
والروايا التي يحمل بها النا	س وسوق المطبوعات العظام
والبحور التي بها تكشف الحر	ة والداء من غليل الأوام
لكثيرين طيبين من النا	س وبيرين صادقين كرام
واضحى أوجه كرام جودود	واسطي نسبة لهام فهام

(٢٧) الغدير ٢ / ٢٠٠ .

للذرى فالذرى من الحسب الثا قـب بين القمقام فالقمقام
راجحي الوزن كاملي العدل في ال سيرة طـبين بالامور العظام
فضلوا الناس في الحديث حديثا وقـديما في اول القـدام
لقد ذكر في مطلع قصيدته هيامه في الحب ، وانه قد استولى على مشاعره وعواطفه
، فصار اسيرا ، لا يملك من أمر نفسه شيئا. ولكن لمن هذا الحب العارم الذي وقع في
شبكة؟ انه ليس للغايات التي يفتتن الناس بجمالهن ، وانما كان لأرفع الناس شأننا ،
واسماهم مكانة ، انهم بنو هاشم الذين التقت بهم جميع عناصر الشرف والمجد ، وفاقوا
جميع الناس بمواهبهم وعبقرياتهم ، فقد قصر عليهم اخلاصه وهواه الذي يجنه ويديه.
ولم يندفع الكميت بحب ساداته بني هاشم وراء العاطفة ، وإنما رآهم صورة رائعة لا
ثاني لها في تاريخ البشرية ، فقد رأى ، وشاهد ، ولمس أروع صور الانسانية التي رفعتهم
الى القمة السامقة ، قمة الفكر ، والقيادة العليا في الاسلام.
رأى الكميت من صفات اسياده التي هام بها ما يلي :

١ . انهم معدن الجود والكرم والسخاء ، فقد جادوا بجميع ما يملكونه لانعاش
المحرومين ، وانقاذ البائسين.

٢ . انهم مصدر العدل بين الناس ، فلا يؤثرون قريبا على بعيد ، وانما الناس جميعا
عندهم على حد سواء ، فلا يعرفون المحسوبية ، ولا سائر الاعتبارات الأخرى التي يأخذ
بها الناس اندفاعا مع العاطفة والهوى.

٣ . انهم اشجع من خلق الله ، فلم يمر الخوف على نفوسهم ، فقد خاضوا غمرات
الحروب ، وأبدوا من صنوف البسالة ، ما لم يشاهد مثله في جميع فترات التاريخ ، فكان
الامام امير المؤمنين (ع) مضرب المثل في

الدنيا في شجاعته وبسالته ، وكذلك الامام الحسين سيد الأباة والاحرار في الارض فقد ابدى يوم عاشوراء من قوة البأس وروعة التصميم ما حير العقول وأذهل الألباب ، وتطعمت بهذه الروح العالية سائر ابناء الأسرة النبوية ، فقد ملكوا من الشجاعة ما لا يملكها أي أحد من الناس .

٤ . انهم كانوا الملجأ والمأوى لايتام الناس وسائر الفقراء والمحرومين ان امحل الناس ، ولم يجذبوا فليس هناك من يعطف عليهم سوى أهل البيت .:

٥ . انهم ولاة الأمور للناس ان التبت عليهم الأمور أو طرقتهم الازمات والأحداث ، فليس هناك من يستطيع التغلب عليها سواهم ، فهم الذين يملكون العقول النيرة ، والافكار الصائبة التي يحلون بها مشاكل الناس وازماتهم .

٦ . انهم الحكماء الماهرون في معالجة أمراض النفوس ، وازالة ما فيها من جرائم الزيغ والانحراف ، فقد درسوا واقع هذا الانسان ، وسبروا اعماق نفسه ، ودخائل ذاته ، ووقفوا على اندفاعاته نحو الحرص والطمع والجشع وايثاره للهوى على الحق ، فوضعوا العلاج الحاسم لجميع أمراضه وآفاته ، وتجد في كلماتهم روائع الحكم والمواعظ الهادفة الى اصلاح الناس وتهذيبهم .

٧ . انهم الروايا الذين يحملون الحكمة والحياة الى الناس ، فاليهم يلجأ الضامئ ومن ساحل كرمهم وجودهم ينتهل كل من يريد الحياة .

٨ . انهم البحور الذين يرتوي منهم كل من اشرف على الهلاك ، فهم مصدر السعادة والخير لهذا الانسان .

٩ . انهم اطيب الناس برا وصدقا ، وكرما ، وأصبح الناس وجوها ،

واكرمهم جدودا ، واعلاهم شأننا ، ونسبا.

١٠ . انهم ارجح الناس وزنا ، واكملهم في العدل بين الناس ، وأخبرهم بالامور العظام.

١١ . انهم فاقوا الناس في جميع مراحل التاريخ فاقوهم في صدق حديثهم واصالة فكرهم ، وخصب رأيهم.

ويسترسل الكميت بعد هذه الأبيات في ذكر مآثر ساداته بني هاشم وفضائلهم التي هام بها فيقول :

مسـتفيدين متلفين مـواهي	ب مطاعيم غير ما ابرام
مسـعفين مفضلين مسامي	ح مراجيح في الخميس اللهم
ومـداريك للذحول متاري	ك وان احفظوا لـعور الكلام
لا حباهم تحل للمنطق الشغ	ب ولا للطمام يوم اللطم
ابطحين اريحين كالانج	م ذات الرجوم والاعلام
غالبين هاشميين في العـل	م ربوا من عطية العلام
ومصـفين في المناصب محضي	ن خضمين كالقروم السوام
واذا الحرب أو مضت بسنا الحر	ب وسار الهمام نحو الهمام
فهم الأسد في الوغى لا اللواتي	بين خيس العرين والآجام
أسد حرب غيوث جذب بهالي	ل مقاويل غير ما اقدام
لامها ذير في الندى مكائي	ر ولا مصممين بالافحام
سادة ذادة عن الخرد البي	ض اذا اليوم صار كالأيام
ومغايير عندهن مغاو	ير مساعير ليلة الأجام
لا معازيل في الحروب تنا	ييل ولا رائمين بو اهتضام
وهم الآخذون من ثقة الأ	مر بتقواهم عرى لا انفصام

والمصـيـبون والمجـيـبون للـد عـوة والمحرزون خصل الترامي
ومحلون محرمون مقـرو ن لـحل قـراره وحـرام
وعرض الكميـت في هذه الأبيات الى الصفات الرفيعة الماثلة في أهل البيت (ع)
وهي :

١ . ان الأموال التي تردهم يذلونها بسخاء وطيب نفس الى ذوي الحاجة لا ييغون
جزاء ولا شكورا.

٢ . انهم اذا وتروا فهم غير قاصرين ولا عاجزين من الأخذ بثأرهم ، ولكنهم تركوا
ذلك إثارا لما عند الله ، وان نالهم من اعدائهم قبيح الكلام.

٣ . ووصف الكميـت بقوله : « لا حباهم تحل للمنطق الشغب » سعة حلمهم
وانهم لا تطيش احلامهم عند المشاغبة فلا يحلون حباهم ولا يتحركون.

٤ . وعرض بقوله : « ابطحين اريحيين » الى انهم اشراف قريش بما اتصفوا به من
الأريحية فهم كالنجوم والاعلام التي يهتدي بها الضال.

٥ . وأراد بقوله : « غالبين هاشميين في العلم » انهم ينتمون الى سيد العرب غالب
بن فهر ، ثم الى هاشم ، وانهم نالوا من العلم ما لم ينله أحد ، فقد منحهم بذلك الله تعالى
الذي بيده الخير.

٦ . وعرض بقوله : ومصفين في المناصب الخ « الى انهم في مناصبهم ومكانتهم
قد خلصوا من الدنس ، ونزهوا من كل عيب فرفعوا رءوسهم اعتزازا لأنهم لم يحميدوا عن
الحق ، ولم يقترفوا أي باطل أو أثم ،

٧ . وعرض بقوله : « وإذا الحرب أو مضت بسنا الحرب » وبالبيتين اللذين بعده
الى شجاعة العلويين ، وان الحرب اذا استعرت ، واشتد اوارها ، فانهم يخوضون غمارها
بسالمة وصمود وقوة بأس لا يعرفون الفرع ولا

الخوف وانما يستقبلون الموت بثغورهم الباسمة.

٨ . وأراد بقوله : « لا مهاذير في الندى » انهم إذا ضمهم النادي فلا يتدلون بكثرة

الكلام ، وإنما يصمتون في مواضع الصمت من غير افحام.

٩ . واعرب بقوله : « سادة ذادة عن الخرد » الى انهم الحماية الذين يحمون اهلهم

عن الضيم في احلك الايام المشهورة بالحروب والوفائع.

١٠ . وعرض بقوله : « ومغاير عندهن مغاير » وبالبيت الذي بعده الى انهم اسد

الحروب الذين يوقدون نارها ويسعون لهيها ، ويقذفون بنفوسهم فيها ، وليسوا بمعازيل ولا بتنايل ، وانما هم الاعلام ، والقادة والرءوس.

١١ . واعطى الكميت بقوله : « وهم الآخذون من ثقة الأمر » صورة عن تكامل

شخصية أهل البيت (ع) بأنهم يأخذون بأوثق الأمور ، واشدها صلة بالحق ، ولا يأخذون بما التبس عليهم أو شكوا في مشروعيته ، وذلك لشدة تقواهم وورعهم ، وعرض في البيت الذي يليه الى انهم أول من اجاب دعوة الحق التي اعلنها الرسول الاعظم (ص) فقد كان الامام أمير المؤمنين (ع) سيد العترة الطاهرة هو أول من سبق الى الاسلام كما كان المدافع الاول عن النبي (ص) والمحامي عن دعوته.

وعرض الكميت بعد هذا المدح للعلويين الى هجاء خصومهم الأمويين يقول :

ساسنة لا كمن يرعي الناس	س سواء ورعية الانعام
لا كعبد المليك أو كوليـد	أو كسليمان بعد أو كهشام
رأيه فيهم كـرأي ذوي الثل	ة في الثائجات جنح الظلام
جز ذي الصوف وانتقاء لذي المخ	ة نعقنا ودعدعا بالبهام

من يمت لا يمت فقيدا وإن يح ي فلا ذو إل ولا ذو ذمام
لا أكاد أعرف هجاء امض ، ولا اصدق من هذا الهجاء ، فقد كشف النقاب عن
سوء السياسة الأموية ، التي ساست الناس سياسة لم يألّفوها ، فقد نظرت إليهم كالانعام ،
ولم تؤمن بأي حق من حقوقهم ، فصبت عليهم وابلا من العذاب الأليم ، وعرض الي من
مات من ملوك الامويين ، وانه لا ذكر لهم ، لأنهم لم يقيموا حقا ، ولم يؤسسوا عدلا فلذا
لا يذكرهم الناس بخير ، وإنما يعددون ظلمهم ، ويذكرون جورهم وبطشهم.
ويواصل الكميت مدحه لبيني هاشم فيقول :

فهم الأقرّبون من كل خير وهم الأبعدون من كل ذام
وهم الأوفون بالناس في الرأفة والأحلمون في الاحلام
بسطوا أيدي النوال وكفوا أيدي البغي عنهم والعرام
أخذوا القصد فاستقاموا عليه حين مالت زوامل الأثام
عيرات الفعال والحسب العو د إليهم محطوطة الاعكام
أسرة الصادق الحديث أبي القا سم فرع القدامس القدام
وصورت هذه الأبيات المثل العليا التي اتصف بها أهل البيت (ع) من قريبهم الي
الخير ، وبعدهم عن كل ما يوجب الذم ، ووفائهم بكل عهد ، ورأفتهم بالناس وسعة
حلمهم ، وغير ذلك من الصفات التي جعلتهم مهوى الأفتدة ، وموضع تقديس الناس
واكبارهم.

ويأخذ الكميت في رثعته بمدح النبي العظيم (ص) فيقول :

خير حي وميت من بني آ دم طرا مأمومهم والامام
كان ميتا جنازة خير ميت غيبته مقابر الاقوام
وجنيننا ومرضعا ساكن المه د وبعده الرضاع عند الفطام

خير مسترضع وخير فطيم وحنين أقر في الأرحام
وغلاما وناشئا ثم كهلا خير كهل وناشئ وغلام
انقذ الله شلونا من شفى النا ربه نعمة من المنعم
لوفدى الحي ميتا قلت نفسي وبنى الفدا لتلك العظام
طيب الاصل طيب العود في البن ية والفرع يثربي تهامي
ابطحي بمكة استتقب الل ه ضياء العماء به والظلام
والى يثرب التحول عنها لمقام من غير دار مقام
هجرة حولت الى الأوس والخز رج اهل الفسيل والآطام
غير دنيا محالفا واسم صدق باقيا مجده بقاء السلام

وبعد هذا الثناء العاطر على النبي (ص) أخذ في مدح الشهيد العظيم جعفر الطيار

ابن عم النبي (ص) ومدح عم النبي (ص) الشهيد الخالد حمزة ، يقول :

ذو الجناحين وابن هالة منهم أسد الله والكمي المحامي
لا ابن عم يرى كهذا ولا ع م كهذاك سيد الاعمام
وبعرض الكميت بعد هذا الى مدح سيد الاوصياء ، وباب مدينة علم النبي (ص)

الامام أمير المؤمنين (ع) يقول :

والوصي الذي أمال التجوي به عرش أمة لانهدام
كان أهل العفاف والمجد والخي ر ونقض الامور والابرام
والوصي الولي والفراس المع لم تحت العجاج غير الكهام
كم له ثم كم له من قتيل وصريع تحت السنابك دام
وخميس يلفه بخميس وفئام حواه بعد فئام
وعמיד متوج حل عنه عق د التاج بالصنيع الحسام

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه حكما لا كغابر الحكام
راعيًا كان مسجحا ففقدنا هر وفقد المسيم هلك السوام
واشتت بنا مصادر شتى بعد نهج السبيل ذي الآرام
جرد السيف تارتين من الده ر على حين درة من صرام
في مريدين مخطئين هدى الل هر ومستقسمين بالالزام
وانبرى الى ذكر الامام الحسن سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (ص) قال

ووصي الوصي ذي الخطة الفض ل ومردى الخصوم يوم الخصام
وعرج بعد ذلك الى ذكر مأساة الامام الحسين (ع) تلك المأساة المروعة التي
تركت اعظم اللوعة والاسى في النفوس قال :
وقتيل بالطف غودر منه بين غوغاء أمة وطغام
وحينما سمع الامام أبو جعفر (ع) هذا البيت تناثرت دموعه ، وبكى ، وقال له : .
كما قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت . لا زلت مؤيدا بروح القدس ما ذبيت عنا أهل
البيت (٢٨).

ويستمر الكميت في تلاوة رثائه للامام الحسين (ع) يقول :

تركب الطير كالمجاسد منه مع هاب من التراب هيام
وتطيل المرزآت المقالي ت عليه القعود بعد القيام
يتعرفن حر وجهه عليه عقبه السرو ظاهرا والوسام
قتل الادعياء إذ قتلوه أكرم الشارين صوب الغمام
وعرض بعد ذلك الى محمد بن الحنفية قال :

وسمي النبي بالشعب ذي الخي ف طريد المحلل بالاحرام

(٢٨) قصص العرب ٢ / ٢٦٩ ، مروج الذهب ٢ / ١٩٥ .

يشير بذلك الى ما تعرض إليه محمد من التنكيل من قبل ابن الزبير لانه امتنع من بيعته ، فحصره بالخيف ، وهدده ومن معه بالحرق ان لم يبايعوه ، وذكر بعد ذلك الشهيد العظيم أبا الفضل العباس بن الامام امير المؤمنين (ع) الذي استشهد دفاعا عن أخيه سيد الاحرار الامام الحسين (ع) يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحل وبنبي الشفاء للاسقام (٢٩)

ويعرض بعد ذلك الى مدى ولاءه العميق لأهل البيت (ع) يقول :

فبهم كنت للبعدين عما واتهمت القريب أي اتهام
صدق الناس في حنين بضرب شاب منه مفارق القمقام
وتناولت من تناول بالغى بة أعراضهم وقل اكتتام
ورأيت الشريف في اعين الن اس وضيعا وقل منه احتشامي
معلنا للمعالنين مسرا للمسرين غير دحض المقام
مبديا صفحتي على المرقب المع لم بالله عزتي واعتصامي
ما أبالي اذا حفظت أبا القا سم فيهم ملامة اللوام
لا أبالي ولن أبالي فيهم أبدا رغم ساخطين رغام
فهم شيعتي وقسمي من الا مة حسبي من سائر الاقسام
إن أمت لا أمت ونفسي نفسا ن من الشك في عمى أو تعامي

(٢٩) في مقاتل الطالبين (ص ٨٤).

وأبو الفضل ان ذكرهم الحلو شفاء النفوس من اسقام
قتل الادعياء اذ قتلوه اكرم الشارين صوب الغمام
وذكر شارح الهاشميات ان المراد بابي الفضل هو العباس عم النبي (ص) وهو اشتباه محض نشأ من قلة التتبع.

عادلا غيرهم من الناس طرا بهم لاهمام بي لاهمام
لم ابع ديني المساوم بالوك س ولا مغليا من السوام
وعبر بهذه الابيات عن اصدق الولاء لبني هاشم ، فقد اخلص للبعيد الذي يخلص
لهم وعادى القريب الذي يعاديهم ، وكان ذلك منتهى الايمان ، ولما بلغ الكميت الى قوله
:

اخلص الله لي هواي فما اغ رق نزعا ولا تطيش سهامي^(٣٠)
قال له الامام : قل : « فقد أغرق نزعا ولا تطيش سهامي » التفت الكميت الى
النكتة في ذلك ، فقال للإمام : أنت أشعر مني في هذا المعنى ، ولما فرغ الكميت من
انشاد رائعته توجه الامام نحو الكعبة ، واخذ يدعو له قائلا :
« اللهم ارحم الكميت ، واغفر له . »

وكرر الدعاء بالمغفرة له ثلاث مرات ، ثم قال له : يا كميت هذه مائة الف قد
جمعتها لك من أهل بيتي ، فابى الكميت من قبولها ، واعتذر بأنه يطلب المكافأة من الله
تعالى ، وطلب من الامام (ع) أن يتكرم عليه بقميص من قمصه ، فاعطاه ذلك^(٣١).
وخرج الكميت من الامام فقصد عبد الله بن الحسن فانشدته رائعته فاعجب بها عبد
الله وقال له :

(٣٠) النزع : جذب الوتر بالسهم ، الاغراق في النزع : مثل يضرب للغلو والافراط ، فقوله : فما اغرق نزعا لا
يناسب المقام لان معناه انه لا يبالي في محبة أهل البيت (ع) مع أن المناسب المبالغة فيها فلهذا غير الامام
الشعر من النفي الى الايجاب.

(٣١) اعيان الشيعة ١ / ٤ / ٥١٥ . ٥١٦ .

« يا أبا المستهل ان لي ضيعة أعطيت فيها اربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد اشهدت بذلك شهودا .. »

وناوله الكتاب ، فانبرى الكميث قائلا :

« بأبي أنت وأمي اني كنت أقول : الشعر في غيركم أريد به الدنيا ، ولا والله ما قلت : فيكم إلا لله ، وما كنت لأخذ على شيء جعلته لله مالا ولا ثمنا .. »
فالح عليه عبد الله ، فأخذ الكميث الكتاب ، ومضى أياما ، ثم قصد عبد الله فقال له :

« إن لي حاجة »

« ما هي؟ كل حاجة لك مقضية »

« كائنة ما كانت؟ » « نعم »

« هذا الكتاب تقبله ، وترجع الضيعة .. »

وناوله الكتاب فقبله عبد الله ، ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر فاخذ جلدا ودفعه الى اربعة من غلمانة ، وجعل يدخل دور بني هاشم وهو يرفع عقيرته قائلا :

« يا بني هاشم ، هذا الكميث قال : فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبني أمية فاثبوه بما قدرتم .. »

واخذ العلويون يطرحون في الجلد ما يقدرون عليه من الدنانير والدرهم ، وعلمت السيدات من العلويات فكن يبعثن إليه ما يتمكن عليه حتى كانت العلوية تخلع الحللي من جسدها ، وتدفعه ، واجتمع عنده من المال ما قيمته مائة الف درهم ، فجاء بها الى الكميث ، وقال له :

« يا أبا المستهل اتيناك بجهد المقل ، ونحن في دولة عدونا ، وقد جمعنا هذا المال ، وفيه حلي النساء ، فاستعن به على دهرك .. »
وأبى الكميت من قبوله قائلاً :
« بأبي أنتم وأمي قد أكثرتم ، واطيبتم ، وما أردت بمدحي اياكم إلا الله ورسوله ، ولم اك لآخذ ثمننا من الدنيا ، فاردده الى اهله .. »
وجهد عبد الله ان يقبل الكميت تلك الاموال فأبى وامتنع^(٣٢).

اللامية من هاشمياته :

وانشد الكميت اللامية من هاشمياته أمام الامام أبي جعفر (ع) وقد أخذت منه مأخذاً عظيماً ، فقد تركت في نفسه اعظم الاثر ، فقد عرض فيها الى الاحداث السياسية المؤلمة في ذلك العصر ، وما حل بأهل البيت (ع) من صنوف التنكيل والارهاق يقول في أولها :

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل
وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يعدل
ودعا الكميت بهذه الايات المسلمين الى اليقظة من سباتهم ، واهاب بهم من الجمود والخمول ، وقد حفزهم على الثورة للتخلص من ظلم الامويين وجورهم فقد جهدوا على الاستبداد بشئون الناس وارغامهم على ما يكرهون ، ويقول الكميت في هذه الرائعة :
وعطلت الاحكام حتى كأننا على ملء غير التي نتنحل
كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل

(٣٢) مروج الذهب ٢ / ١٩٥ .

رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة مما نخاف ونعقل
وعرض في البيت الاول الى تعطيل الامويين للاحكام الدينية ، وتجميدهم لمبادئ
الاسلام حتى صار المسلمون بشكل مؤسف كأنهم قد انتحلوا دينا غير دين الاسلام.
اما البيت الثاني فقد قدح فيه ولاة الحكم الاموي ، وانهم يقولون : كلام الهداة
المصلحين إلا ان اعمالهم تتجافى مع اقوالهم ، فهم يعملون أعمال اهل الجاهلية الاولى
اما البيتان الاخيران فانه يعزو فيهما الحالة الراهنة التي منى بها المسلمون الى حبهام للحياة
وايثارهم للعافية ، وتمسكهم بالدنيا ، فلم يهبوا للجهاد والثورة على الحكم الاموي ويقول
الكميت :

فتلك أمور الناس أضحت كأنها امور مضيع آثر النوم بهل
فباساسة هاتوا لنا من حديثكم ففيكم لعمري ذو أفانين مقول
أهل كتاب نحن فيه وانتم على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
ويعرض في البيت الاول الى اهمال احكام الامويين لشؤون الرعية حتى غدت كأنها
الابل المهملة تسرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع ، ويسأل في البيتين الاخيرين اولئك
الساسة القابضين على زمام الحكم ، هل انهم اهل كتاب يقضون بالحق ، وعلى ضوئه
يسوسون شؤون رعيتهم؟ واذا كانوا كذلك فما بالهم قد شذوا في سياستهم عن الدين ،
وابتعدوا عن تعاليمه.

ويستمر الكميت في محاسبة الامويين ، وتحميلهم المسؤولية عما اصاب الامة من
الظلم والجور ، ويعدد مثالبهم ، ويدعو المسلمين الى الانتفاضة على حكمهم ، وبعد ذلك
عرج على رثاء أبي الاحرار الامام الحسين ٧ قائلا :

كأن حسينا والبهايل حوله لاسيافهم ما يختلي المتقبل
يخضن به من آل احمد في الوغى وما ظل منهم كالبهيم المحجل
وغاب نبي الله عنهم وفقده على الناس رزء ما هناك مجلل
لقد كان الكميت صادق اللهجة والعاطفة في رثائه للحسين (ع) ، وقد تركت ابياته
اعظم الاثر في نفس الامام أبي جعفر (ع) ولما انتهى الكميت الى هذا البيت :
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرا أسدى له الغي أول
وقد اراد الكميت بهذا البيت ان جميع ما حل بأهل البيت (ع) من الرزايا
والخطوب فانه يستند الى الصدر الاول فانهم هم الذين سمحوا للأمويين أن يقفزوا الى
الحكم ، ومكنوهم من رقاب المسلمين ، ولما سمع الامام (ع) هذا البيت بلغ به الحزن
اقصاه ، ورفع يده الى السماء. وجعل يدعو للكميت قائلا : « اللهم اغفر للكميت » (٣٣).
الى هنا ينتهي بنا الحديث عن لامية الكميت ، وقد جاء فيها أنه قد رثا الامام ابا
جعفر (ع) حيث يقول :

أ موتا على حق كمن مات منهم ابو جعفر دون الذي كنت تأمل
ومن المؤكد انه نظم هذا البيت وما بعده بعد وفاة الامام أبي جعفر ٧ والحق ذلك
بلاميته.

العينية من هاشمياته :

وهذه رائعة أخرى من هاشمياته ، وقد وفد على الامام أبي جعفر (ع) ليتلوها عليه
فقال له : إني قد قلت شعرا ان اظهرته خفت القتل ، وان كتتمته خفت الله تعالى ، ثم
انشد الامام (ع) هذه الرائعة :

(٣٣) اخبار شعراء الشيعة للمرزباني (ص ٧٢).

نفى عن عينك الارق الهجوعا وهم يمتري منها الدموعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقما وحزنا كان من جذل منوعا
لفقدان الخضارم من قریش وخير الشافعين معا شفيعا (٣٤)
ووصف في هذه الايات ما حل به من هم مقيم ، وآلام عميقة جعلته دائما ارقا لا
يألف إلا الحزن والاسى ، وذلك لما حل باسياده العلويين من الرزايا والخطوب ، فقد
كوت قلبه ، وجعلته هائما في تيارات مذهلة من الاسى والشجون.
ويقول الكميت في عينيته يصف سيده الامام أمير المؤمنين (ع) :

لدى الرحمن يصدع بالمشاني وكان له أبو حسن قريعا
حطوطا في مسرته ومولى الى مرضاة خالقه سريعا
وأصفاه النبي على اختيار بما أعيى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو اطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم ار مثلها خطرا مبيعا (٣٥)
فلم ابلغ بها لعنا ولكن أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل الى جور واحفظهم مضيعا
اضاعوا أمر قائدهم فضلوا واقومهم لدى الحدثن ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا (٣٦)
وعرض الكميت في هذه القطعة من قصيدته الى الامام امير المؤمنين ٧ فذكر
مناصرتة للنبي (ص) حينما فجر دعوته المشرقة ،

(٣٤) الخضارم : السادة الكرماء.

(٣٥) في بعض النسخ (فلم ار مثلها حقا اضيعا).

(٣٦) القريع : المختار يقال : اقتريه اي اختاره.

فقد كان الامام الى جانبه يحميه ويذب عنه ، ويرد عنه كيد المعتدين والظالمين ، وكان الامام (ع) في جهاده ودفاعه لا يبتغي إلا وجه الله ، ولا يلتمس إلا الدار الآخرة ، ونظرا لما يتمتع به الامام (ع) من الطاقات الروحية الهائلة فقد اصطفاه النبي (ص) وجعله وزيرا وخليفة من بعده ، اعلن ذلك في مؤتمره العام الذي عقده في غدیر خم ، فقلده وسام الخلافة والامامة ، وقال فيه : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله »^(٣٧) ومن المؤسف . حقا . ان هذه البيعة التي عقدها الله ورسوله للامام امير المؤمنين القائد الاول للمسيرة الاسلامية لم تتفق مع رغبات القوم وميولهم فعقدوا مؤتمر السقيفة ، وتجاهلوا بيعتهم للإمام وتناسوا مقامه ، وقد حفلت مصادر التأريخ بذكر الحادث المؤلم ، وتفصيل شئونه :

ومضى الكميت في رائعته يقول :

فقل لنبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا
 إلا اف لدهر كنت فيه هداانا طائعا لكم مطيعا^(٣٨)
 اجع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعا
 ويلعن فذأمة جهارا اذا ساس البرية والخليعا
 بمرضي السياسة هاشمي يكون حيا لأمة مريعا
 وليشا في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مستطيعا

(٣٧) حديث الغدير متواتر اجمع المسلمون على روايته ، وذكرته الصحاح كافة.

(٣٨) الهدان : الجبان.

يقيم أمورهما ويذب عنهما ويتترك جديها أبدا مريعا^(٣٩)
وعرض الكميت في هذه الايات لبني أمية فدعا بالجوع والحرمان على عملائهم واذنابهم
الذين اتخمت بطونهم من أموال الامويين وهباتهم ، كما دعا لمن حرمتهم السلطة الأموية
من العطاء بالثراء وسعة العيش ، كما عرض لبني هاشم ، وانهم ساسة الأمة ، وانها في
ظلال حكمهم تجد الرفاهية ، والعيش الرغيد.

ويقول المؤرخون إن الامام أبا جعفر (ع) : لما سمع هذه القصيدة العصماء اخذ
منه الاعجاب مأخذا عظيما ، وانطلق يقول :

« اللهم اكف الكميت. »

وكرر الامام هذا الدعاء ثلاث مرات ، وقد انجاه الله ببركة دعائه فتخلص من سجن
الامويين^(٤٠).

نضاله المرير :

وناضل الكميت نضالا مريرا في الدفاع عن عقيدته ، والذب عن مبادئه ، وقد انطلق
كالمارد الجبار في احلك الظروف ، وأشدها قسوة ومحنة على أهل البيت (ع) فأخذ
يذيع مآثرهم ، ويشيد بفضائلهم ، ويدعو الناس الى الالتفاف حولهم ، ويدفعهم الى التمرد
على الحكم الاموي ، والتخلص من جوره وطغيانه.

لقد قام الكميت بدور ايجابي وفعال في زعزعة الكيان الأموي ، واسقاط هيئته ،
وكان من ابرز ما قام به في هذا المجال ما يلي :

(٣٩) الهاشميات (ص ٨١ - ٨٢).

(٤٠) اخبار شعراء الشيعة (ص ٧٢ - ٧٣).

١ . مدحه لأهل البيت :

ومدح الكميت أهل البيت (ع) مدحا عاطرا ، وعدد مناقبهم ومآثرهم في هاشمياته التي هي من أئمن اللوحات الفنية في الأدب العربي ، وقد لعبت دورا خطيرا في بلورة الوعي العربي والاسلامي ، وأوجدت شعورا عاما يتسم بالكراهية والبغض لبني أمية .

لقد مدح الكميت أهل البيت (ع) في وقت كانت الحكومة الأموية قد منعت منعا رسميا الاشادة بهم ، وفرضت سبهم على المنابر والمآذن ، وأوعزت الى معاهد التعليم القيام بتغذية النشء ببغضهم ، كما عهدت الى لجان الوضاعين بافتعال الحديث للحط من شأنهم ، وفرضت أشد العقوبات وأكثرها صرامة على من يذكرهم بخير ، فقيام الكميت بمدحهم يعتبر من ابرز الوان النضال الديني لأنه قد قاوم رغبات السلطة ، وناهض سياستها .

٢ . هجاء الأمويين :

وقام الكميت بدور خطير في مناهضة الأمويين ، فقد هجا ملوكهم ، وعدد مثالبهم وابرزهم في شعره كأقذر مخلوق ، وقد حفظ الناس ما قاله فيهم ، فزهدوا في بني أمية ، ونقموا على حكمهم وسلطانهم ، ويعتبر هجاؤه لهم من الاسباب التي اطاحت بملكهم ومن قوله فيهم :

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعة
اجعاع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعا

وقد قرأ هذه الايات على الامام أبي جعفر (ع) فدعا له بالمغفرة والرضوان (٤١)

وهجا هشام بن عبد الملك بقوله :

(٤١) معجم الشعراء (ص ٣٤٨) .

يصيب على الأعواد يوم ركوبها لما قال فيها مخطئ حين ينزل
كلام النبيين الهداة كلامنا وافعال أهل الجاهلية نفعل^(٤٢)
ولم يقتصر الكميت في هجائه على الأمويين ، وإنما هجا انصارهم واعوانهم فقد
هجا الحكيم بن عياش الكلبي ، وقد اعتز الكميت في هجائه ببني أمية ، وكان ذلك
موضع دهشة واستغراب .

وقد خف إليه ولده المستهل فانكر عليه اعتزازه ببني أمية قائلا : « يا ابة انك
هجوت الكلبي ، وغمزت عليه ، ففخرت ببني أمية ، وأنت تشهد عليهم بالكفر ، فهلا
فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهم؟! »
فأجابه الكميت جواب العالم الخبير قائلا :

« يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي الى بني أمية ، وهم اعداء علي ، فلو ذكرت عليا
لترك ذكري ، واقبل على هجائه فأكون قد عرضت عليا له ، ولا أجد له ناصرًا من بني أمية
، ففخرت عليه ببني أمية وقلت : ان نقضها عليّ قتلوه ، وإن امسك قتلته غما وغلبته .. »
وكان كما قال الكميت : فقد امسك الكلبي من جوابه إلا انه ترك الحزن والأسى
يحزان في نفسه^(٤٣) .

٣ . اثارة العصبية بين اليمانية والنزارية :

وقام الكميت بدور خطير في تحطيم الدولة الأموية فقد القى الخصومة واجح نار
الفتنة بين اليمانية والنزارية ، وهما من أهم القبائل العربية عددا ونفودا ، وكانتا من اعظم
المؤيدين للحكم الأموي ، وقد هجا الكميت في شعره اليمانيين وعدد مثالبهم فلم يترك
حيا من احيائهم إلا هجاه بأقسى

(٤٢) معجم الشعراء (ص ٣٤٨) .

(٤٣) الاغاني ١٥ / ١٢٩ .

ألوان الهجاء ، اما سبب هجائه لهم فقد روى المسعودي أنه قصد عبد الله ابن الحسن فطلب منه أن ينشئ شعرا يثير به حفاظ النفوس بين العرب لعل فتنة تحدث فتكون سببا الى زوال دولة الامويين فاستجاب الكميت ، وانطلق ينظم قصائد من الشعر الحماسي الرائع يمجد فيها اليمانيين ، ويذكر مناقبهم ، ويهجو القحطانيين ، ومما قاله :

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أيدي المهتديننا
وجدت الله اذ سمى نزارا واسكنهم بمكة فاطنيننا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبيننا
وأثر شعره فى القلوب تأثيرا عظيما ، حتى ثارت الحفاظ بين القبيلتين ، وشاع
البغض والعداء بينهما ، وانتصر للقحطانيين شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي ، واكبر الظن
أنه كان بينهما اتفاق سري على ذلك ، فانهما معا من شعراء أهل البيت (ع) وكل منهما
قد ضرب الرقم القياسي في الولاء لهم ، ومما قاله دعبل في الرد على الكميت :

افريقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشيبين الذوائب والقرونا
أحي الغر من سروات قومي لقد حيت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائيل منكم وكنتم بالاعاجم فاخرينا
الى أن يقول :

وما طلب الكميت طلاب وتر ولكننا لنصرتنا هجيننا
لقد علمت نزار أن قومي الى نصر النبوة فاخرينا
واخذت كل قبيلة تفتخر على الأخرى وتدلي بمناقبها ومكارمها ، وتنتقص القبيلة
الأخرى حتى اتسع العداء بينهما وشمل سكان القرى والبادية ،

وقد تخربت القلوب ، وانفصمت عرى الوحدة بين الأسرتين ، ونتج من ذلك ان مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية قد تعصب للزاريين ، مما سبب انحراف اليمانيين عن بني أمية ، وانضمامهم الى الدعوة العباسية ، وبذلك فقد انهارت الدولة الأموية (٤٤) ويقول أحمد امين : « وقتلت بعده . اي بعد الكميت . الدولة الأموية بقليل » (٤٥).

اعتقاله :

وشاع هجاء الكميت لليمانيين ، وصار أحداثثة الأندية والمجالس ، وبلغ ذلك حاكم الكوفة خالد بن عبد الله القسري ، وكان يتعصب لليمانيين ، فقال : والله لأقتلنه ، ويقول المؤرخون : إنه اشترى جارية في نهاية الحسن ، فرواها هاشميات الكميت ، فلما حفظتها أهداها الى هشام ابن عبد الملك ، وكتب إليه باخبار الكميت ، وهجائه لبني أمية ، وانفذ إليه قصيدته التي يقول فيها :

فيا رب هل إلا بك النصر يبتغى ويا رب هل إلا عليك المعول
وهي قصيدة طويلة يرثى فيها الشهيد العظيم زيد بن علي ، وابنه الشهيد الخالد الحسين بن زيد ، كما يمدح فيها بني هاشم ، ولما وصلت الى هشام ، وقرئت عليه غضب كأشد ما يكون الغضب ، فكتب الى خالد يأمره بقطع لسان الكميت ويده ، وأوعز خالد القسري الى الشرطة باعتقاله ، فألقت عليه القبض ، وأودع في السجن ، لينفذ فيه حكم الأعدام ، وبقي

(٤٤) حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٣١٥ . ٣١٦ نقلا عن مروج الذهب.

(٤٥) ضحى الاسلام ٣ / ٢٠٦ .

في السجن حفنة من الأيام وهو يعاني قسوة السجن ومرارته (٤٦).

هربه من السجن ،

وبقي الكميت في السجن وجلا مضطربا قد طافت به الهموم والآلام فلا يدري متى ينفذ فيه حكم الاعدام؟ ويقول المؤرخون : انه كان له صديق حميم هو ابان بن الوليد العجلي ، وكان عاملا على واسط من قبل الأمويين ، فلما انتهت إليه انباء الكميت ارسل بالفور إليه غلامه ، وأمره بالاسراع إليه ، وحمله رسالة عرفه فيها بأن مصيره القتل ، وإنه لا خلاص له منه إلا بأن يحتال فيرسل بأسرع وقت خلف زوجته الى السجن ، ويلبس لباسها ، وتكون مكانه في السجن من حيث لا يعلم السجنان ، ويكون بذلك نجاته ، وفعل الكميت ذلك ، وهرب من السجن بعد أن لبس لباس زوجته وقد ظن السجنان أنه زوجة الكميت فلم يفتشه ، وقد نجا بذلك من القتل المحتم وأنشا الكميت بعد هروبه هذين البيتين :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوائح والمشل
علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة امر أشبهت سلة النصل (٤٧)

العفو عنه :

وبقي الكميت متواريا عن انظار السلطة متخفيا ، وهي تمعن بالتفتيش عنه إلا انها لم تهتد الى معرفته ، وقد عزم الكميت على مدح هشام وبني أمية لينجو مما هو فيه ، وقبل أن ينظم فيهم أرسل وردا ابن أخيه زيد الى الامام أبي جعفر (ع) يستأذنه فيما عزم عليه ، فاذن له الامام (ع)

(٤٦) الاغاني ١٥ / ١١٤ .

(٤٧) مقدمة الهاشميات (ص ١٧) .

وقفل ورد الى عمه فعرفه برضاء الامام (٤٨) واتجه الكمييت مع جماعة من بني أسد الى دمشق ، فلما انتهوا إليها ، قصدوا جماعة من أشرف قريش ، واحاطوهم علما بالأمر ، فاجابوهم ، وخفوا جميعا سوى الكمييت الى عنيسة بن سعيد بن العاص فقالوا له :

« يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك الله بها ، هذا الكمييت بن زيد لسان مضر ، وكان

أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجا حتى تخلص إليك وإلينا .. »

واستجاب لهم عنيسة ، واتجه الى مسلمة بن هشام فقال له : يا أبا شاعر مكرمة

أتيتك بها تبلغ بها الثريا ، فقال له مسلمة : ما هي؟ فأخبره بالأمر ، فأجاره مسلمة (٤٩)

وشاع ذلك فلما بلغ هشام دعا بولده مسلمة فصاح به :

« اتجبر على أمير المؤمنين بغير أمره؟ »

« كلا ولكني انتظرت سكون غضبه .. »

« احضريه الساعة فانه لا جوار لك .. »

وقام مسلمة من مجلس أبيه ، ومضى نحو الكمييت ، فقال له : يا أبا المستهل ان

أمير المؤمنين قد أمرني باحضارك ، فقال الكمييت :

« أتسلمني يا أبا شاعر؟ .. »

« كلا .. »

ومهد مسلمة الطريق الى نجاته فقال له : ان معاوية بن هشام مات قريبا ، وقد جزع

عليه جزعا شديدا ، فاذا كان من الليل فاضرب رواقك

(٤٨) مقدمة الهاشميات (ص ١٧) .

(٤٩) الغدير ٢ / ٢٠٦ .

على قبره ، وأنا أبعث لك بنيه يكونون معك في الرواق ، فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن
يربطوا ثيابهم بثيابك ، ويقولون : هذا استجار بقبر ابينا ، ونحن أحق باجارته ، ثم تركه
وانصرف ، واتجه الكميت في الليل نحو قبر معاوية فضرب رواقه عليه ، ولما أصبح هشام
تطلع من قصره إلى قبر ولده ، فقال : ما هذا؟ فقالوا : له لعله مستجير بالقبر ، فقال :
يجار كل من كان إلا الكميت فانه لا جوار له ، فقيل له : إنه الكميت ، فأمر باحضاره ،
فاحضر وقد ربط صبيان معاوية ثيابهم بثيابه ، فلما نظر إليهم هشام اغرق في البكاء ، وقد
رفعت الصبية أصواتهم قائلين له : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا ، وقد مات ، ومات
حظه من الدنيا ، فاجعله هبة له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به ، فبكى هشام ، ثم
اقبل على الكميت ، فقال له : أنت القائل؟

وإلا فقولوا : غيرها تتعرفوا نواصيها تروى بنا وهي شذب
واعتذر الكميت ، فصاح به هشام فقال له :
. ايه يا كميت الست القائل :؟

فيا موقدا نارا لغيرك ضوؤها ويا حاطبا في غير حبلك تحطب
. بل أنا القائل :

الى آل بيت أبي مالك مناخ هو الأرحب الأسهل
نمت بارحamna الداخلا ت من حيث لا ينكر المدخل
بمرة والنضر والمالكين رهط هم الأنبل الأنبل
وجدنا قريشا قريش البطاح على ما بنى الأول الأول
. وأنت القائل :

لا كعبد المليك أو كوليده او سليمان بعد أو كهشام

من يمت لا يمت فقيدا ومن يح ي فلا ذو إل ولا ذو ذمام

« ويلك يا كميته!! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة .. »

قال الكميته : بل أنا القائل :

فالآن صرت الى أمية والأمر الى المصائر

والآن صرت بها الى المصيب كمهته بالأمس حائر

قال هشام : الست القائل ؟:

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهته والقطيعة

أجاع الله من اشبعتموه واشبع من بجوركم اجيعا

بمرضي السياسة هاشمي يكون حيا لأمته ربيعا

قال الكميته : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب؟

. بما ذا؟

. بقولي الصادق :

اورثته الحصان أم هشام حسبا ثاقبا ووجهها نضيرا

وتعاطى به ابن عائشة البد ر فامسى له رقيبا نظيرا

وكساه ابو الخلايف مروا ن سناء المكارم المأثورا

لم تجهم له البطاح ولكن وجدتها له معانا ودورا

وغزت هذه الأبيات قلب هشام ، وازالت عنه الغيظ فاستوى جالسا واخذ بيدي

إعجابه بهذه الأبيات ، قائلا :

« هكذا فليكن الشعر!! قد رضيت عنك يا كميته. »

وشكره الكميته ، وطلب منه أن لا يجعل لخالد بن عبد الله القسري امارة عليه

فأجابه الى ذلك ، وأمر له باربعين الف درهم ، وثلاثين ثوبا هشامية ، وكتب الى خالد ان

يخلي سبيل امرأته ، ويعطيها عشرين الف درهم ،

وثلاثين ثوبا ، ففعل خالد (٥٠).

لقد استطاع الكميت أن يتغلب على الأحداث بلباقته ، وقوة بيانه ، وبليغ منطقته ، وتماسك شخصيته ، فلم ينهار أمام الطاغية هشام ، ولم يراوده الخوف والفرع ، وإنما كان كالجبل في صلابة إرادته ، وقوة عزمته ، ولم يكتف بما ظفر به من السلامة والنجاة ، وإنما طلب من هشام أن لا يجعل لحاكم الكوفة عليه سلطانا وسيلا ، ويتركه وحرته فيما يقول ويعمل.

عتاب واعتذار :

ووفد الكميت على الامام أبي جعفر (ع) فرحب به ، وقرب مجلسه ، وتبسم في وجهه وعاتبه عتابا رقيقا قال له :

يا كميت أنت القاتل ؟!

فالأآن صرت الى أمي ة والأمور الى المصائر

واعتذر الكميت ، وأجاب جواب العالم الفقيه قاتلا :

« نعم قد قلت : ذلك ، ولا والله ما أردت به الا الدنيا ، لقد عرفت فضلكم .. »

ومنحه الامام الباقر الرضا والقبول ، وقال له : اما ان قلت : ذلك تقية ان التقية لتحل (٥١) وهذا إنما يتم بناء على عدم استئذانه من الامام في مدح الأمويين لقد كان الكميت صادق المودة والولاء لأهل البيت ٧ وقد امتحن في سبيلهم كأعظم ما يكون الامتحان فتعرض لسخط الامويين ونقمتهم ، وقضى شطرا من حياته في السجن ، يلاحقه الفرع والرعب ،

(٥٠) الاغاني ١٥ / ١١٥ . ١١٩ . العقد الفريد ١ / ١٨٩ .

(٥١) الاغاني ١٥ / ١٢٦ .

وهو لم يبتغ بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة.

الى جنة المأوى :

وشاء الله لهذا العملاق العظيم الذي نافح عن حقوق أهل البيت (ع) أن يرزق الشهادة على يد شرار بريته ، فقد دخل على والي العراق يوسف ابن عمر بعد عزل خالد القسري الذي نكل به ، فانشدته قصيدة يثني فيها عليه ، ويعرض بالقسري جاء فيها :

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرجاج المضرب
وما خالد يستطعم الماء فاغرا بعدلك والداعي الى الموت ينعب
وكان الحرس الذين على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم في بطنه
وقالوا : أتشد الأمير ، ولم تستأمره ، فأخذه نزيف الدم^(٥٢) وأخرج وهو وجود بنفسه ،
وأغمي عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

« اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .. »^(٥٣)

ثم فاضت نفسه الزكية ، وارتفعت الى بارئها كما ترتفع أرواح الأولياء تحفها ملائكة
الله ورضوانه.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن هذا العملاق العظيم الذي وهب مشاعره وعواطفه لآل
النبي (ص) وصاغ فكره ، وعقيدته فيهم على أساس العلم والمنطق فلم يندفع في ولائه لهم
وراء العاطفة وانما استند في ذلك الى الأدلة الحاسمة من القرآن والسنة حسب ما أشار
إليها في هاشمياته التي هي من أتمن الثروات الفكرية والعلمية في الأدب العربي
والاسلامي.

(٥٢) الاغاني ١٥ / ١٢١ .

(٥٣) الاغاني ١٥ / ١٣٠ .

وقبل أن أطوي الصفحة الأخيرة من الحلقة الأولى من هذا الكتاب أرى من الحق علي أن أشيد بالملاحظات الفنية والعلمية ، التي تكرم بها علي سماحة الحجة الأخ الشيخ هادي القرشي في هذا الكتاب سائلا من الله تعالى أن يجزيه عني خير ما يجزي أخا عن أخيه ، وبهذا ينتهي بنا المطاف عن الجزء الأول من هذا الكتاب.

أما الجزء الثاني فأود أن أبين أن من بين ما يعرض له البحث عن ملوك الأمويين الذين عاصروهم الامام أبو جعفر (ع) فقد بسطنا الحديث عنهم ، وذكرنا ما أثر عنهم من الاعمال التي لا تتفق مع قواعد هذا الدين واصوله ، والتي كان منها ما عاناه الناس من الظلم الهائل وعدم الاعتراف بأي حق من حقوقهم الفردية والاجتماعية ، فقد حولوا البلد الى مزرعة خاصة لهم يصيبون منها ما شاءوا فالسواد . على حد تعبير ابن العاص . بستان قريش ، وقد اجحفوا في جباية الخراج ، وساموا الناس سوء العذاب.

وكان من الضروري جدا عرض ذلك لأنه بصور الحياة الاجتماعية والسياسية التي عاشها الامام ، وقد اصبحت دراسة مثل هذه البحوث مما لا بد منها في الدراسات الحديثة.

كما عرضنا الى عصر الامام (ع) ذلك العصر الذي هو أكثر العصور الاسلامية حساسية ، فقد نشأت فيه الفرق الاسلامية التي كانت من اخطر الظواهر الفكرية والاجتماعية في ذلك العصر ، كما تصاعدت فيه عمليات الصراع الفكري والعقائدي بين الاحزاب التي تصارعت بصورة مذهلة على الوصول الى الحكم ، وكان من نتائج ذلك الصراع إيقاف المسيرة الاسلامية ، ووضع السدود والحواجز أمام الزحف الاسلامي ، المقدس ، هذا بعض ما سيجده القارئ في الحلقة الثانية من هذا الكتاب.

محتوى الكتاب

محتويات الكتاب

٥	آيات من الذكر الحكيم
٧	الاهداء
٩	تقديم

الوليد العظيم

١٩	الأم
٢٠	الأب
٢٠	الوليد العظيم
٢١	تسميته ، كنيته ، القابه
٢٣	تحيات النبي (ص) الى الباقر
٢٦	ملامحه
٢٦	ذكاؤه المبكر
٢٧	هيئته ووفاره
٢٨	نقش خاتمه
٢٨	اقامته

في ظلال الحسين وعلي

٣١	في ظلال جده
٣٢	في ظلال أبيه ، شئون الامام زين العابدين واحواله
٣٣	اكبار العلماء وتعظيمهم له
٣٤	سمو أخلاقه
٣٦	نشره للعلم
٣٧	حثه على طلب العلم

٣٧	تكريمه لطلاب العلوم
٣٨	احتفاف القراء به
٣٨	عتقه للموالي
٣٨	عبادته وتقواه
٤١	صدقاته ويره
٤٢	رائعة الفرزدق
٤٥	الحزن العميق
٤٦	وصاياه لولده الباقر
٤٨	ادعيته لولده
٥١	في ذمة الخلود
٥٢	سمه
٥٢	نصه على امامة الباقر
٥٣	وصيته لولده الباقر
٥٤	الى الرفيق الأعلى
٥٤	تجهيزه
٥٥	تشيعه
٥٥	في مقره الأخير
٥٦	اسطورة

اخوته وابتاؤه ٥٩

٦١	اخوته
٦١	زيد الشهيد

٦٢	ولادته.....
٦٣	نشأته.....
٦٣	عبادته وتقواه.....
٦٤	علمه وأدبه.....
٦٧	أكبار الامام الباقر لزيد.....
٦٨	مع هشام بن عبد الملك.....
٧١	مشروعية الثورة.....
٧٣	الثورة الكبرى.....
٧٧	الخيانة والغدر.....
٧٧	في ذمة الخلود.....
٨٠	التنكيل بانصار زيد.....
٨١	سخط المسلمين.....
٨٤	حرق الجثمان العظيم.....
٨٥	مع المسعودي.....
٨٥	الحسين الأصغر.....
٨٦	علمه ، حلمه ، وقاره ، تقواه ، ورعه ، وفاته ،.....
٨٧	عبد الله الباهر : لقبه ، علمه ، ولايته على صدقات النبي ، وفاته.....
٨٨	عمر الأشرف :.....
	كنيته ، لقبه ، علمه ، ولايته على صدقات النبي (ص) وفاته
٩٠	علي.....

٩٠	ابناء الامام الباقر
٩١	١ - ابراهيم
٩١	٢ - الامام جعفر
٩٢ هـ	٣ - عبد الل
٩٣	٤ - علي
٩٣	٥ - عبد الله
٩٤	السيدات من بناته
٩٤	السيدة زينب ، السيدة أم سلمة

اكبار وتعظيم

٩٧	عرض لكلمات العلماء والمؤلفين التي تقيم الامام وتشيد بملكاته ومواهبه
----	-------	--

مظاهر شخصيته

١١٥	امامته
١١٦	العصمة
١١٦	تعريف العصمة
١١٧	الاستدلال عليها
١١٨	شكوك وأوهام
١٢٠	حلمه
١٢١	صبره
١٢٣	تكريمه للفقراء
١٢٤	عتقه للعبيد

- ١٢٤ صلته لاصحابه ، صدقاته على فقراء المدينة
- ١٢٥ كرمه وسخاؤه
- ١٢٧ عبادته
- (أ) خشوعه في صلاته (ب) كثرة صلاته
- (ج) دعاؤه في سجوده (د) دعاؤه في قنوته
- ١٣٢ حجه
- ١٣٣ مناجاته مع الله ، ذكره لله
- ١٣٣ زهده في الدنيا

مواهبه وعبقرياته

- ١٣٧ الحياة العلمية في عصره
- ١٣٨ الدور المشرق للإمام
- ١٣٩ العلوم التي بحثها
- ١٤٠ الحديث
- ١٤١ روايات الأئمة
- ١٤٢ احاديث الامام الباقر
- ١٤٢ رواياته عن النبي (ص)
- ١٦٧ رواياته عن الامام أمير المؤمنين
- ١٧١ روايته عن جده الحسين
- ١٧١ روايته عن أبيه
- ١٧٢ روايته عن جابر الانصاري
- ١٧٢ روايته عن عمر

١٧٣	روايته عن ابن عباس
١٧٣	روايته عن زيد بن أرقم
١٧٤	روايته عن أبي ذر
١٧٤	تفسير القرآن الكريم ، فضل قراءة القرآن
١٧٥	الترجيح بقراءة القرآن
١٧٦	تنزيه القرآن من الباطل
١٧٦	ذم المحرفين للقرآن
١٧٧	الاستعمالات المجازية في القرآن
١٧٧	البسمة جزء من سور القرآن
١٧٨	نزول القرآن على سبعة أحرف
١٧٨	الحروف السبعة
١٨٠	انكار الامام للأحرف السبعة
١٨٠	طرق التفسير

التفسير بالمأثور ، التفسير بالرأي

١٨٢	تفسير الامام الباقر
١٨٣	نماذج من تفسيره
١٨٩	علم الكلام
١٩٠	التوحيد
١٩٠	١ . عجز العقول عن إدراك حقيقة الله
١٩٢	٢ . ازلية واجب الوجود
١٩٤	٣ . النهي عن الكلام في ذات الله

١٩٤	٤ . علم الله
١٩٥	٥ . واقع التوحيد
١٩٥ هـ	٦ . صفات الل
١٩٦	٧ . الشك والجحود
١٩٦	الامامة ، الحاجة الى الامام
١٩٧	وجوب معرفة الامام
١٩٩	وجوب طاعة الامام ، حق الامام على الناس
٢٠٠	عظمة الامامة
٢٠٠	الولاية لأئمة أهل البيت
٢٠١	الاشادة بالأئمة
٢٠٣	عدد الأئمة
٢٠٥	محن الأئمة
٢٠٥	حثه على نشر مآثر الأئمة
٢٠٦	علم الأئمة
٢٠٩	الملاحم التي أخبر عنها
٢١٥	علم الفقه
٢١٧	مميزاته
	(١) اتّصاله بالنبى (ص) (٢) مرونته (٣) فتح باب الاجتهاد
	(٤) الرجوع إلى حكم العقل.
٢٢١	مسائل فقهية
	حكم القتال في الاسلام ، المسح على الخفين ، مس الفرج

لا ينقض الوضوء ، الجهر في صلاة الاخفات ، الصلاة على
آل النبي (ص) في التشهد.

- علم الاصول ٢٢٦
الاستصحاب ٢٢٧
قاعدة التجاوز ٢٢٧
قاعدة الفراغ ٢٢٨
قاعدة نفى الضرر ٢٢٨
علاج التعارض ٢٣٠

(١) الشهرة (٢) موافقة الكتاب والسنة (٣) الترجيح
بالصفات.

- بحوث اقتصادية ٢٣١
١ . ضرورة تحسين المعيشة ٢٣٢
٢ . التحذير من الكسل ٢٣٢
٣ . مقتته لتارك العمل ٢٣٣
٤ . العمل طاعة لله ٢٣٣
مع العلم والعلماء ٢٣٤

(١) فضل العلم (٢) فضل العالم (٣) مجالسة العلماء والملتقين
(٤) مذاكرة العلم (٥) آداب المتعلم (٦) بذل العلم (٧) الحث
على التعلم (٨) التفقه في الدين (٩) العمل بالعلم (١٠) قبول
العمل بالمعرفة (١١) ذم المباهاة بطلب العلم (١٢) الفتوى
بغير علم (١٣) صفات العالم.

٢٤٢ في رحاب الايمان
	(١) حقيقة الايمان (٢) مراتب الايمان (٣) صفات المتقين
٢٤٥ مع الشيعة
٢٤٦ ١ . وصيته لشيئته
٢٤٩ ٢ . الشيعة الأوائل
٢٥٠ ٣ . صفات الشيعة
٢٥١ ٤ . نصائحه للشيعة
٢٥٣ ٥ . حب أهل البيت
٢٥٦ ٦ . تسمية الشيعة بالرافضة
٢٥٦ ٧ . دعاؤه لشيئته
٢٥٧ سنن الأنبياء وحكمهم
	(١) من وحي الله لآدم (٢) حكمة لسليمان (٣) حكمة
	في التوراة (٤) تسمية نوح بالعبد الشكور (٥) دعاء نوح
	على قومه (٦) اسماعيل أول من تكلم بالعربية (٧) مناجاة
	الله مع موسى (٨) نفي الأمية عن النبي (ص) (٩) محاورة
	بين نوح وابليلس (١٠) موت سليمان (١١) التقاء يعقوب
	بيوسف (١٢) مدة حياة يعقوب بمصر .
٢٦٢ مع السيرة النبوية
	(١) استعارة النبي السلاح من صفوان
	(٢) مسيرة خالد الى بني جذيمة
٢٦٤ سيرة الامام علي (ع)

٢٦٥ اخبار الامام بقتل الحسين
٢٦٦ صفة الامام أمير المؤمنين
٢٦٦ احداث صفين
	فك الحصار عن الماء ، معاوية مع ابن العاص ، خطبة للامام بصفين ، يوم الهرير ، وثيقة التحكيم
٢٧٣ مأساة الامام الحسين
٢٧٤ رواية عمار الدهنى
٢٨٠ المؤاخذات
٢٨١ وصاياه ، القيمة
٢٨٢ وصاياه لولده الصادق
٢٨٣ وصيته لبعض ابنائه
٢٨٣ وصيته لعمرو بن عبد العزيز
٢٨٤ وصيته لجابر الجعفي
٢٨٧ وصيته لرجل
٢٨٨ وصيته لبعض اصحابه
٢٨٩ مواعظه
٢٩٣ فضل العقل
٢٩٤ الفطنة
٢٩٤ اجالة الفكر
٢٩٥ مكارم الاخلاق
	(١) الاحسان (٢) فعل المعروف (٣) مقابلة المعروف

بالإحسان.

٢٩٧	آداب السلوك.....
	(١) طلاقة الوجه (٢) معاملة الناس بالحسنى
٢٩٧	حقوق المسلم.....
٢٩٨	قضاء حاجة المسلم.....
٢٩٨	صلة الارحام.....
٢٩٩	الصدقة ، العطف على اليتيم.....
٢٩٩	محاسن الصفات.....
٣٠٠	الصمت.....
٣٠٠	مساوئ الصفات والأعمال.....
٣٠٣	الغيبة والبهتان.....
٣٠٣	الغضب وعلاجه.....
٣٠٤	العجب.....
٣٠٤	ادعيته.....
٣٠٦	الحث على الدعاء.....
٣٠٧	روائع الحكم.....
٣١٦	نظمه للشعر.....

مع كثير عزة والكميت

٣١٩	كثير عزة.....
	ولاؤه لأهل البيت (ع) مع الامام الباقر (ع) مدحه
	لبنى مروان ، وفاته ، رواية موضوعة

٣٢٣	الكميت الأسدي ، ولادته ونشأته
٣٢٤	مواهبه ، شعره
٣٢٥	الكميت مع الفرزدق
٣٢٧	مميزات شعره
٣٣٠	صلابته في عقيدته
٣٣٠	مع الامام الباقر (ع) تعطشه لرؤيا الامام
٣٣١	رثاؤه للحسين
٣٣٣	الميمية من هاشمياته
٣٤٥	اللامية من هاشمياته
٣٤٧	العينية من هاشمياته
٣٥٠	نضاله المرير
٣٥١	١ . مدحه لأهل البيت
٣٥١	٢ . هجاء الأمويين
٣٥٢	٣ . اثارة العصبية بين اليمنية والنزارية
٣٥٤	اعتقاله
٣٥٥	هربه من السجن
٣٥٥	العفو عنه
٣٥٩	عتاب واعتذار
٣٦٠	الى جنة المأوى
٣٦٢	محتويات الكتاب